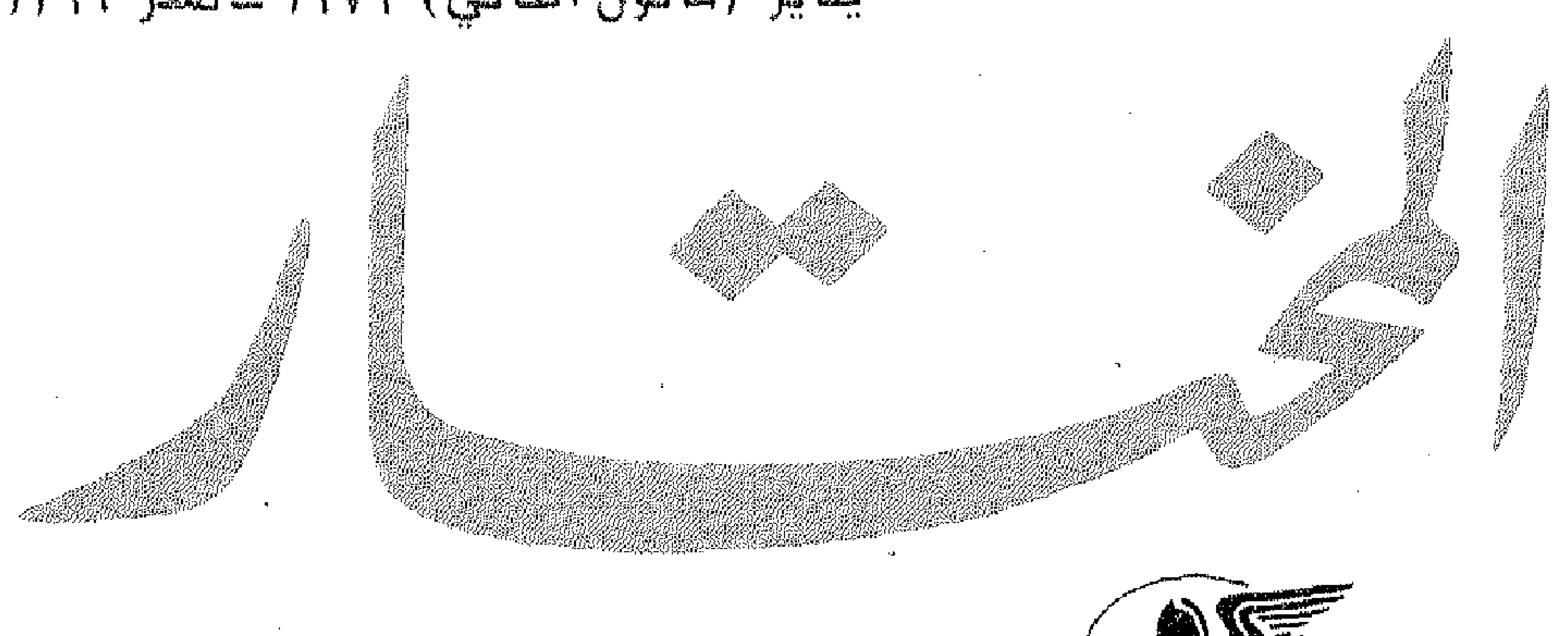
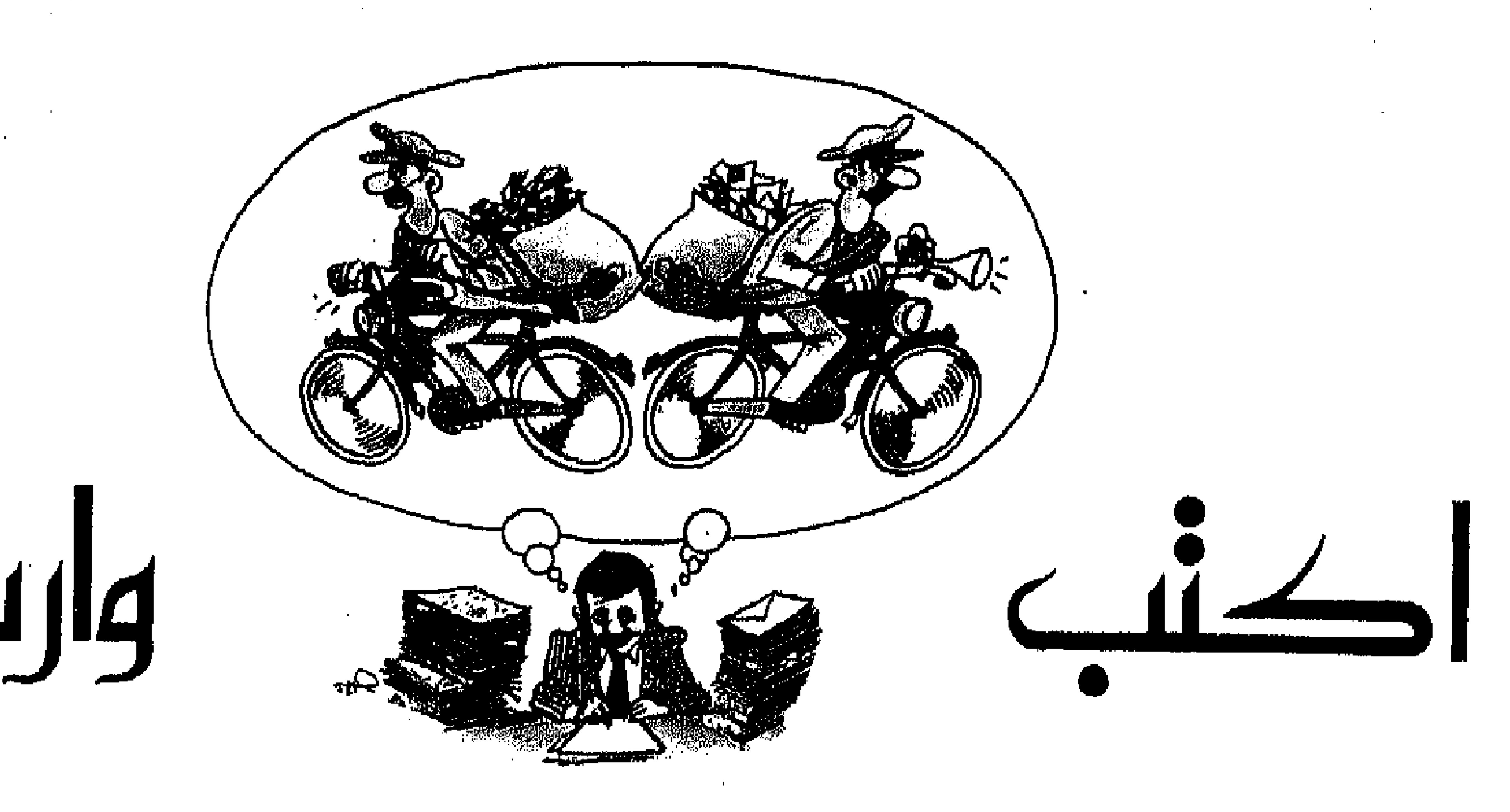
يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ ـ صفر ١٣٩٩



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
ابو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟

خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفا وجذابا ومثيرا للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولارا عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● شروط خاصة ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.
- يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



جهاز سوني القوي

إنه جهاز ستيريو منغم ودك للكاسيت ومضخم متكامل للصوت في قطعة واحدة

مع جهاز سوني الجديد لن تراسحك القطع الكثيرة لتحقيق أداء الستيريو الرائع. قطعة واحدة فقط تكفي، انه جهاز سوني HST-49 القوي - ففيه مضخم متكامل للصوت بقوة ١٠٠ واط، مع أربع منغمات ستيريو ومزود بجهاز انتقاء المحطات فائق الحساسية ودك للكاسيت مزود بنظام دولبي* وذلك في قطعة واحدة فاخرة، فتنساب انغامه الحالمة كأنغام الطبيعة.

ن جهاز انتقاء المحطات الفائق الحساسية يصمت كافة الاذاعات الاخرى عدا الاذاعة التي ترغب في الاستماع اليها.
جهاز دولبي مزود بوسائل من شأنها تخفيف الضجيج الى أدنى حد ممكن للابقاء على النقاء الصوتي للكاسيت كما وانه مزود بزر احد فقط للتسجيل بالاضافة الى مكبرين الصوت باتجاهين SS-37 من صنع سوني. انه اقوى الاجهزة على الاطلاق بمزاياه البراقة الجديدة وادائه الرائع مما يحمل منه نظاما لا يضاهى، وهذه المزايا المجتمعة هي التي جعلته يحمل اسم سوني بحق. قم بزيارة لوكيل سوني وشاهد تلك الاعجوبة بنفسك.

سوني
SONY

ح بالوصف بواسطة سماعة سوني الستيريو DR-S5 . * دولبي هي العلامة التجارية لمختبرات دولبي

بين السطور

سنة آسيا

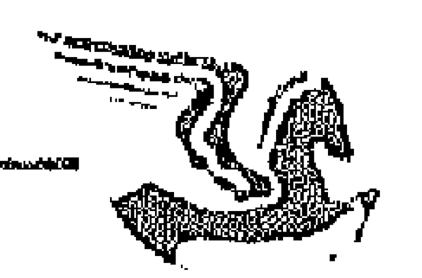
١٩٧٩ هي سنة آسيا بالنسبة الى "ريدرز دايجست"٠ فقد انضم الى اسرتها بين شهري نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الاول) عضوان آسيويان جديدان هما الكوري والعربي٠ وبالطبعتين الكورية والعربية ارتفع عدد افراد اسرة الدايجست الى ٣٩ (طبعة) واللغات التي تصدر بها الى ١٥ ٠ كما تجاوز عدد النسخ التي تصدر بها الـ ٣٠ مليونا والبلدان الـ ١٨٠٠

ولئن بدت الطبعتان الكورية والعربية جديدتين الا انهما فعلا مجددتان٠ فقد صدر العدد الاول من الطبعة الكورية في العام ١٩٥٠، الا ان رياح الحرب التي عصفت بهذا البلد بعد ثلاث سنوات تسببت في توقف المجلة من الصدور٠ اما الطبعة العربية فقد صدر العدد الاول منها في القاهرة في العام ١٩٤٣، غير ان حرب فلسطين التي اندلعت شرارتها في العام ١٩٤٧ وصل لهبها الى "المختار" فتوقف عن الصدور حتى العام ١٩٥٦ حين استأنف الصدور بعد حرب السويس غير ان الحرب ما لبثت ان اندلعت في العام ١٩٦٧ فتوقف ثانية ليعود الى قرائه الان بعد ١١ سنة٠

والملفت في "المختار" انه كان منذ صدور العدد الاول منه في العام ١٩٤٣ ظاهرة، اذ وصل توزيعه الى ١١٦،٠٠٠ نسخة شهريا، وهو رقم لم تبلغه اي مطبوعة آنذاك٠ وحتى بعد توقفه استمرت دار "اخبار اليوم" المصرية التي تولت بعثه في العام ١٩٥٦، تتسلم رسائل من القراء يسألون عن موعد عودة "المختار" ٠٠٠ وها هو عاد٠

والاهتمام غير العادي بـ"المختار" من "ريدرز دايجست" في آسيا يتجلى في وجود طبعات عدة في هذه القارةبخمس لغات هي اليابانية والصينية والانكليزية والكورية والعربية٠ وقد اصبح تقليدا ان دخول طبعة الدايجست بلدا او منطقة في العالم هو نوع من الانتماء الحضاري الى عالم من القيم والمثل التي تجسدها هذه المجلة والتي تختصر في التعلق بالحرية والايمان بكرامة الانسان وبقدرته على التقدم وتحقيق مستقبل افضل له ولعائلته وللبيئة التي يعيش فيها٠ وهذا عهد يقطعه "المختار" على نفسه٠

التحرير



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين •
رئيس التحرير: ادمون صعب •
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب •
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم •
امانة التحرير: رينا نداف •
الاخراج: اروى سيف الدين •

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية- باريس •

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية •

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح •

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37. Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204642 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:
شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

الصف والتركيب:
شركة المطبوعات العربية- باريس •

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا •

الخط: محمد ماجد •

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"

المدير العام: جون أ. اوهارا •

مدير التحرير: آلان دوليرو •

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية •

الغلاف: حمام أبيض في حديقة

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
January 1979 N°2 *(New Series)*. Vol.1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

الضحك خير دواء



العربة قبل الحصان

بعد اربعين امتحانا في قيادة السيارات وتسع سنوات من الاحباط، نجحت السيدة ميريام هارغريف في اختبار القيادة في لندن.

وقد اصبحت تلك الجدة التي تبلغ من العمر ٦٢ عاما اشهر طالبات رخصة القيادة في بريطانيا لكثرة الامتحانات التي فشلت فيها، لكنها صممت على اجتياز الامتحان لتتمكن من اصطحاب زوجها الذي يبلغ عمره ٧٩ عاما في جولات ريفية بالسيارة. والمشكلة الوحيدة الباقية امامها الآن، بعد ان انفقت ٣٠٠ جنيه استرليني على دروس القيادة، هي انها لم تعد تملك المال الكافي لشراء سيارة.

رويتر

الضحكة الاخيرة

كنا نستعد للانتقال الى مسكن جديد، فاتصلت زوجتي بشركة التلفون من اجل نقل الخط الى هذا المسكن، وعلى الرغم من عزوف زوجتي التام عن التوسع في التركيبات التلفونية فقد ظلت مندوبة مبيعات الشركة طيلة ١٥ دقيقة تعدد انواع الاجهزة والوانها، ثم ختمت كلامها بالتأكيد على ضرورة تركيب جهاز بتوصيلة خاصة في كل ناحية مسكونة من المنزل، لكن زوجتي صمدت للاغراءات كلها ورفضتها جميعا.

وشعرت زوجتي بانها قد انتصرت حين بدأت المندوبة تحرر الطلب الاساسي لجهاز تلفون وحيد. لكن المندوبة على الرغم من ذلك، احتفظت لنفسها بالضحكة الاخيرة فانهت الامر بالسؤال في لهجة جافة: "والان، يا سيدتي، الى اي غرفة تريدين ان تركضي كلما دق جرس التلفون؟

و.ك.

الضرائب المخللة

ظل احد عملاء مكتب المحاسبة الذي اعمل فيه منذ سنوات يحضر الينا ايصالاته وفواتيره والاوراق الخاصة بالضرائب ملفوفة باحكام وموضوعة في اناء كبير من آنية المخلل. وفي كل سنة كان رب العمل ينصحه بحفظ الاوراق في ملفات يتيسر له معها فرز الوثائق المتعددة لكل من يعنيه الامر.

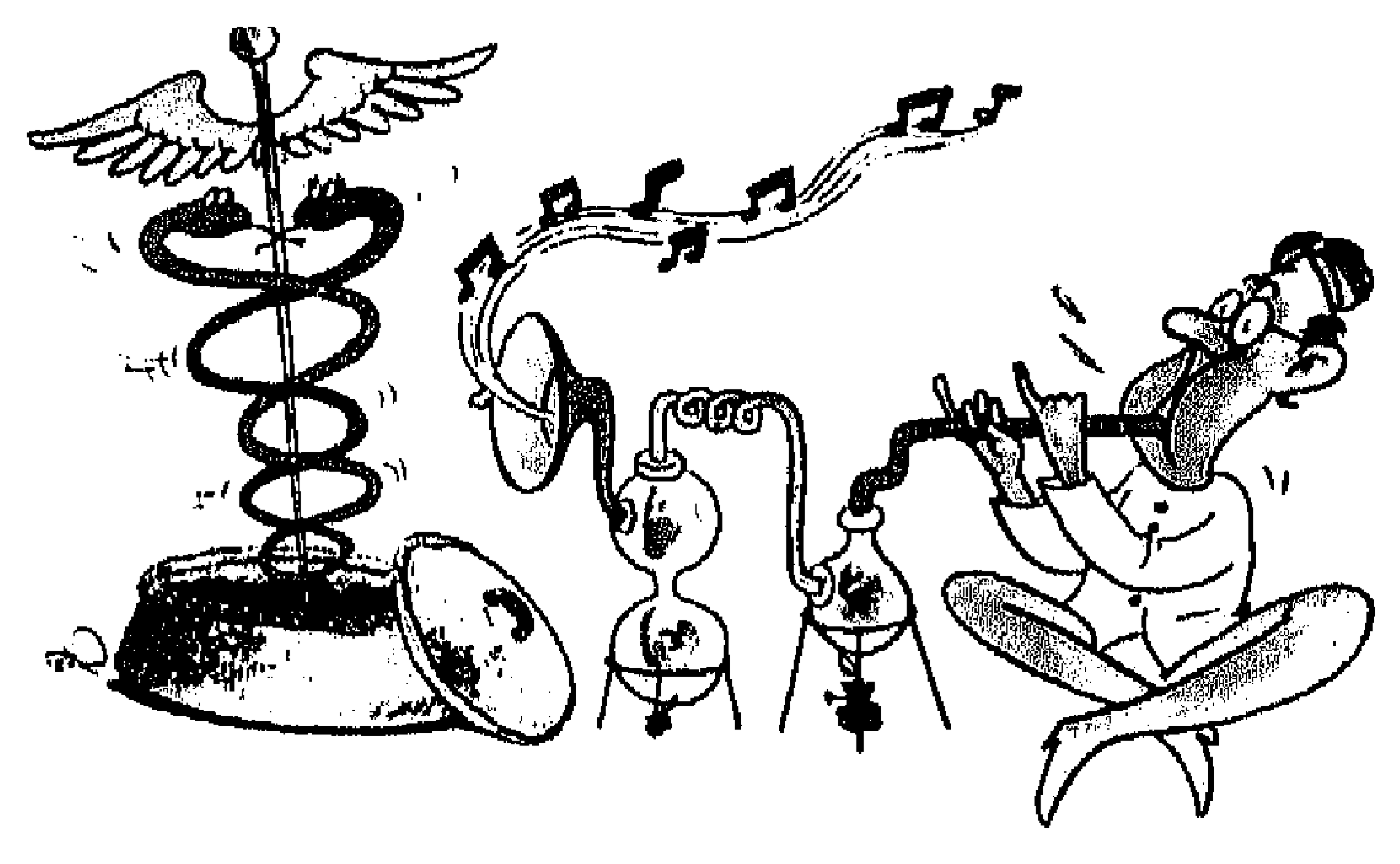
وهذا العام جاء صاحبنا كالعادة يحمل صندوقا معدنيا جديدا لحفظ الملفات. ولم يطل ابتهاجنا اكثر من لحظات قصيرة، اذ انه عندما فتح الصندوق كان في داخله اناء المخلل المعهود محشوا حتى حافته بالاوراق.

هـ.د.

لئلا يهرب الظلام

لافتة معلقة على باب غرفة التحميض المظلمة لاحد المصورين الطبيين: "نرجو ابقاء باب الغرفة المظلمة مغلقا، لان تركه مفتوحا يؤدي الى تسرب الظلام كله الى الخارج!"

ن.م.



اصداء من عالم الطب

عون على التهاب المفاصل

كيف تساعد التمارين الرياضية اليدوية في معالجة الاصابع المصابة بالتهاب المفاصل؟
عندما تصاب اليد بالتهاب المفاصل ينجم عن ذلك اختلال التوازن في تحرك عضلاتها فتتلاشى اربطتها واوتارها مما قد ينتج عنه خلع معصم اليد واعوجاج الاصابع واليد وبالتالي تشويه اليد وصعوبة قيامها بوظيفتها الطبيعية. وقد اصبح من الممكن الآن الاعتماد على جهاز عملي يتيح التمارين الرياضية اليدوية ويساعد في معالجة الايدي المصابة بهذا الداء.
وقد ابتكر هذا الجهاز وطوره الفيزيائي سيمون كروير الذي اصيب بالتهاب المفاصل اليدوية واوشك ان يفقد استعمال يديه. وقد عرض هذا الجهاز الصغير في احد المؤتمرات التي عقدها الخبراء بالروماتيزم، (ويمكن استعماله في الالتهاب العظمي المفصلي كما في التهاب المفاصل نظير الرثوي) وهو مؤلف من خمسة مثلثات جمعت في شكل علبة تحتوي على اربع فتحات للاصابع وممسكين لليد واعمدة للتمارين، تضاف اليها اشرطة من المطاط في بعض التمارين التي تستلزم تباعد الاصابع او ثنيها او مدها، او مد الابهام وتدويرها في جميع الجهات.
وقد اتضح ان استعمال هذا الجهاز الرياضي لليد، خمس دقائق يوميا، يؤدي لدى معظم المرضى الى تحسن في قوة العضلات ومجال تحرك اليد ويعيد اليها وظيفتها المفيدة. وانما ينبغي للمصابين بالتهاب المفاصل، ان يستشيروا طبيبهم قبل البدء باستعمال هذا الجهاز. ويمكن الحصول على هذا الجهاز من مستودعات الادوات الجراحية، وهو مرفق بكتيب ينطوي على التعليمات اللازمة لاستعماله، بعشر لغات مختلفة.

(مقتبس من زاوية الطبيب
في "لوس انجلس تايمس سنديكايت")

علاج اللوكيميا بالاشعة الغامرة

يقول الدكتور رالف ا. جونسون، رئيس فرع علاج الاورام بالاشعة في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، ان تغييرا جذريا قد طرأ على المستقبل الذي ينتظر المرضى بلوكيميا كرات الدم البيضاء المزمنة (نوع من سرطان الدم يصيب عادة الراشدين في قرابة الستين من العمر).
فقد اجرى الدكتور جونسون طوال عشر سنين دراسة تناولت ٤٢ مريضا باللوكيميا المتزايدة التي لم يسبق علاجها. وقد عولج هؤلاء المرضى بتعريض اجسامهم بكاملها للاشعة لمدة بلغت ستة اشهر في المتوسط، فاختفت كل اعراض المرض الاكلينيكية من ١٤ مريضا منهم، وعاد عدد كريات الدم الى مستواه الطبيعي، وبدا نخاع العظام خاليا تماما من كل ما يشير الى وجود اللوكيميا. ولا يزال عشرة من هؤلاء الاربعة عشر احياء وقد اصبح مرضهم خاضعا

للسيطرة التامة ومنهم اثنان يعيشان منذ اكثر من عشر سنين على بداية معالجتهم .
ومع ان الدكتور جونسون لا يدعي التوصل الى علاج حاسم للمرض عن طريق تعريض الجسم كله للاشعة، الا انه قلما تتحقق هذه النتائج الممتازة باي وسيلة علاجية اخرى .
وتبعا لتقدير قسم النتائج النهائية في المعهد الوطني للسرطان، فان متوسط فترة الحياة بالنسبة الى المريض بلوكيميا كرات الدم البيضاء المزمنة، وهو مرض يشخص في ٥٥٠٠ مريض جديد كل عام، يقل عن اربع سنوات منذ تاريخ تشخيص المرض .
واكثر اسباب الوفاة شيوعا بين هؤلاء المرضى، كما يوضح الدكتور جونسون، هو العدوى البكتيرية التي تؤدي الى الموت لان الجسم يفقد قدرته على انتاج كريات المناعة. وقد لوحظ ان المرضى الذين يستجيبون للعلاج بالاشعة الغامرة للجسد كله يستعيدون عادة قدرة اجسامهم على انتاج كريات المناعة .

(مجلة الجمعية الطبية الامريكية)

الانتفاع بالاسرة الفارغة

مع تزايد استعمال موانع الحمل التي تؤخذ عن طريق الفم في الولايات المتحدة، اخذت معدلات الولادة تنخفض باستمرار، فتكاثرت الاسرة الفارغة في مستشفيات الامومة ومرافق رعاية الاطفال وغرف الولادة. ومن المحظور في معظم الولايات أن تستخدم اسرة الامومة الفارغة لفائدة المرضى الآخرين، تجنبا لانتشار العدوى الى الامهات والمواليد الجدد .
ومن بين الحلول المتوافرة لهذه المشكلة، السهر على تنسيق الخدمات بين مستشفيات عدة، كما حدث في مدينة بيتسبرغ في ولاية بنسلفانيا ومدينة بروفيدانس في رود ايلاند. ففي كل من هاتين المدينتين، تولى مستشفى متخصص في التوليد استيعاب كل خدمات الولادة والطب النسائي التي يقدمها مستشفى عام قريب لكي يتفرغ هذا المستشفى العام بدوره للخدمات اللازمة لحالات المرض والجراحة الاخرى .

احزمة مقاعد في السيارات للاطفال المتدرجين في المشي

اصبحت تنسي الولاية الامريكية الاولى التي تقضي بتزويد السيارات باحزمة مقاعد للاطفال المتدرجين في المشي، فقد الزم القانون آباء الاطفال الذين تقل اعمارهم عن اربع سنوات، بان يوفروا لاطفالهم اجهزة التثبيت المعتمدة على المستوى الاتحادي على اعتبار حوادث السيارات تأتي في طليعة اسباب وفيات الاطفال .
وان الدكتور روبرت ساندرز مدير الادارة الصحية لمقاطعة روزرفورد، وكبير انصار هذا القانون، قد شبه هذا الوضع بحالة مرض معد سهل الانتشار، مع الفارق بان الاطباء والجمهور يستطيعون طلب الحماية على الفور في حالة المرض . ولا شك في ان القانون الجديد لا يعد كاملا، ولكنه بداية حسنة فالسيارات المستخدمة لاغراض الترويح عن النفس، لا تزال معفاة من التزود بالاحزمة للاطفال، على ان يعهد الى شخص من الكبار في امساك الطفل لئلا يصيبه ضرر . ويأمل المؤيدون ان تلغى في المستقبل الاعفاءات التي اقتضاها الامر لتأمين اعتماد القانون .

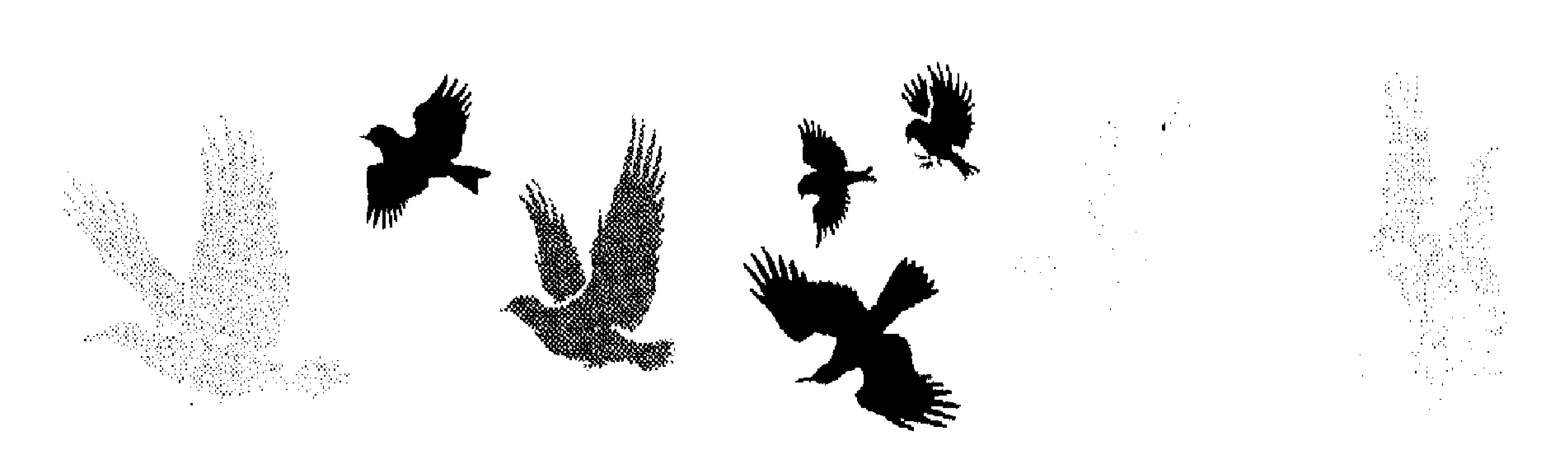
("نيويورك تايمس")

من السرة الى الساق

ان الحبل السري يحمل الى الجنين قبل ولادته ما يحتاج اليه من الدم والغذاء، نقلا من امه عن طريق المشيمة . وبعد الولادة، يقطع الحبل السري قرب بطن الطفل ويعقد ليؤلف السرة . وقد وجد اثنان من الجراحين أخيرا ان لبقية الحبل السري فوائد اخرى .
فالطبيبان هربرت وايرفنغ دارديك، وهما شقيقان متخصصان في جراحة القلب والشرايين في مستشفى مونتيفيوري في نيويورك، يأخذان أحد العروق من الحبل السري الذي استغني عنه ويشكلان منه بديلا من الشريان الرئيسي للساق لدى احد الراشدين .
وقد استخدم هذا العرق الجديد محل شرايين الساق المسدودة لدى خمسة من المرضى، فأنقذ سيقانهم من البتر .

الطائرة المثالية

ان اكثر الطائرات روعة واناقة تبدو مجرد تقليد ساذج لدى مقارنتها بتلك الرائعة التي اسمها: الطير .



هل يمكنك ان تتصور مثالا على القدرة الالهية المبدعة افضل من تلك الطائرة المثالية الاتقان التي نسميها الطير؟

ان للطير هيكلا عظميا يتميز بمرونته الفائقة وقوته الخارقة، ويتسم ايضا بانه هوائي الى حد بعيد تكثر فيه التجاويف الملأى بالهواء، ولاسيما في الطيور الكبيرة الحجم . ففي طائر البجع الضخم الذي يزن سبعة كيلوغرامات لا يزيد وزن المنقار والجمجمة والقدمين وبقية الاعضاء العظمية كلها مجتمعة على ٦٥٠ غراما، بينما تنتشر الجيوب الهوائية في بقية الجسم، وهي جميعا متصلة بالرئتين وتعمل معهما . وتقوم دورة الهواء داخل جسم الطائر بمهمة المشعاع الهوائي او جهاز التبريد، فتطرد الكمية الفائضة من الحرارة والرطوبة وتتولى عملية ابدال الاوكسيجين بثاني اكسيد الكربون بسرعة محمومة .

وليس جهاز التبريد هذا مجرد نوع من الترف، وانما هو ضرورة لا غنى عنها لتسارع العمليات الحيوية في جسم الطائر . فالطيران يستلزم مقدارا من الجهد يفوق ما تتطلبه اي وسيلة اخرى للانتقال العضوي، ولذا فان الطائر يدق قلبه دقات عدة في الثانية الواحدة، وبالتالي فانه يتنفس بسرعة تتناسب مع ذلك . وينتج من هذه السرعة، ما يحدث في اي آلة عالية السرعة، ان درجة الحرارة ترتفع لدى الطائر وتبلغ ٤١ درجة مئوية في البجع و ٤٢،٨ في البط و٤٤ في الطائر السريع .

ونظرا الى سرعة استهلاك الوقود في جسم الطائر، فان لدى كثير من

الطيور حويصلة احتياطية - وهي شبه كيس اضافي الى جانب الحويصلة الاصلية - لتخزين الطعام وتزويد المعدة والامعاء به عند الحاجة. وتبلغ سرعة الحركة التمعجية في القناة الهضمية حدا مذهلا. ولعلنا قد سمعنا جميعا عن ابو الحن الصغير الذي لم يكد يغادر العش حتى التهم في يومه اول ما يبلغ طول اربعة امتار من الديدان. وقد لوحظ ان صغار الغربان

وزن الحمامة يتمثل في عضلاتها الصدرية القوية).

ولكي ترى نموذجا يكاد يبلغ الكمال التام في المرونة بين الفقاريات، فعليك ان تلاحظ كيف تتحرك رقبة الطائر. انها تتيح للمنقار ان يبلغ بسهولة اي مكان من الجسم، كما انها تتيح توازن الطائر باكمله في اثناء طيرانه. بل ان للعصفور الدوري المدملج الصغير عددا



تلتهم كل يوم مقدارا من الطعام يفوق وزنها.

والعضلات الصدرية هي اهم الاجهزة المحركة التي تتغذى بهذا الوقود الذي يحصل عليه الطائر بتلك الكميات الملفتة للنظر. فالعضلات الكبرى منها تجذب الجناح الى اسفل ضد الهواء كي تتيح للطائر ان يندفع الى اعلى والى الامام، اما اصغرها فتعود وتدفع الجناح الى اعلى بحركة جذب من اسفل بفضل شبكة بارعة التركيب من البكارات (البكرات والخيوط الرافعة). ومن شأن عملية الكر الرائعة هذه ابقاء العضلات الكبرى في اسفل جسم الطائر لكي لا يطير وجسمه رازح تحت ثقلها، ولو كان موضعها في اعلى الجسم (وكما ان نصف وزن الطائرة الصغيرة قد يتمثل في محركها، كذلك فان نصف

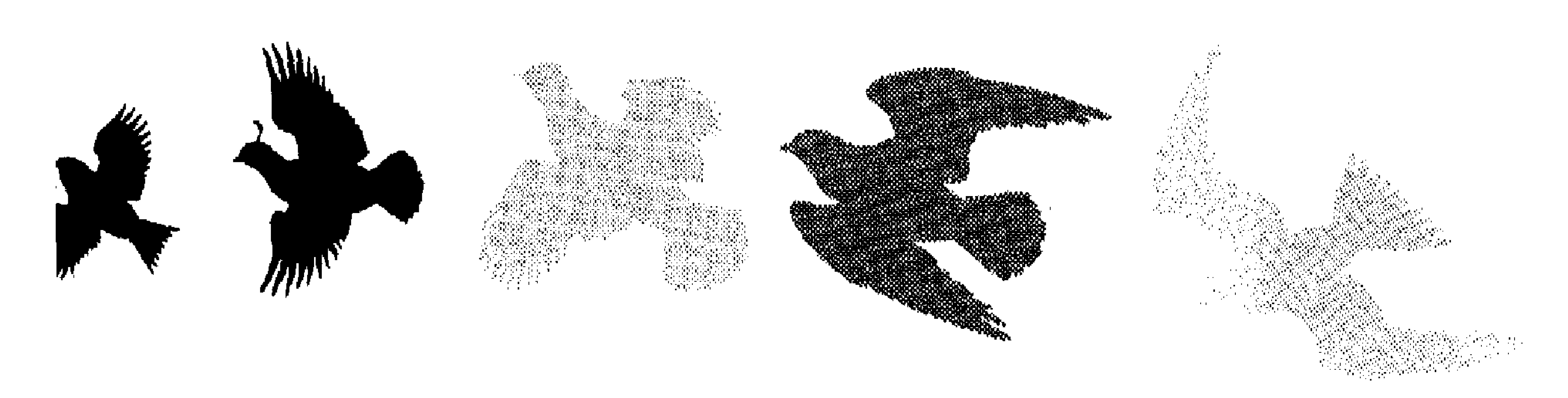
من الفقرات (١٤) في رقبته يبلغ ضعف عدد فقرات رقبة الزرافة (٧).

دور الريش - لكن ابرز الخصائص على الاطلاق في جسم الطائر هي ريشه الذي يجمع بين خفة الوزن الفائقة والقوة الخارقة. فكل عراق رئيسي - من الريش - تتفرع منه على الجانبين شعرات في شكل المروحة المألوف في الريشة، ومن كل واحدة من هذه الشعرات تتفرع فروع اصغر تسمى الشعيرات، تنبت منها خطاطيف ميكروسكوبية تسمى شعيرات التماسك. وهذه التفريعات كلها تتقاطع مع بعضها لتؤلف شبكة اشبه بالنسيج المتداخل.

واذا حاولت ان تفصل شعرات الريشة عن بعضها بين اصابعك فستجدها تقاوم ذلك بقوة لا تتناسب مع ما يبدو من رقتها، لان شعيرات

التماسك الدقيقة عندئذ تقاوم كي تظل مترابطة. وحتى بعد ان تنفصل الشعرات الكبيرة عن بعضها، عندما تتمزق شعيرات التماسك، فان الريشة تتميز بقدرة مدهشة على استعادة تشابكها، لان مجرد اعادة الشعرات الى جوار بعضها وتمسيدها طوليا بضع مرات كفيل باعادة التشابك الى شعيرات التماسك فتتمكن الريشة معه من استعادة كفايتها العملية، وكأن

الدقة يحول دون مرور الهواء باستثناء عدد قليل من جزيئياته. ثم تأتي حركة الجناحين الى اعلى فيدور الريش على محوره وينجم عن ذلك فرجات ينساب منها الهواء على نحو يقدم الينا نموذجا من البق واعقد نماذج العمل الصمامي التي توفرها لنا الطبيعة. ويلاحظ ان مختلف هذه الحركات تتداخل وتتوالف بحيث تبدأ جذور الجناحين حركة الصعود قبل ان



هناك عاملا طبيعيا يصلح ما فسد.

وفي اثناء الطيران، لا تقتصر جناحا الطائر على مجرد رفرفة من اعلى الى اسفل وبالعكس، ولا على مجرد حركة تجذيفية تدفع به الى الامام. وانما الحركة الفعلية للجناحين، كما كشفت اجهزة التصوير العالية السرعة، هي اشبه بالرقم العربي للثمانية (8)، في اتجاه عمودي على خط الطيران، اسوة بما يحدثه المجذاف او المروحة في توجيه القارب الى الامام بواسطة حركة عمودية في اتجاه تحرك القارب نفسه.

وتجيء حركة الجناحين القوية الى اسفل في شكل حركة الى الامام في الوقت نفسه. فكثيرا ما يحدث ان يتلامس الجناحان امام الصدر. كما ان تشابك الشعيرات يبلغ حدا من

تتوقف طرفاهما عن الهبوط، ويبدأ مقدما الجناحين حركة الضغط الى اسفل بينما يستمر الطرفان في حركة الصعود.

متفوقة على الطائرات - ومن الواضح ان الطيور متقدمة على الطائرات تقدما كبيرا في ما يتعلق بالتحكم بالمناورة والتوازن. فبعض الطيور، كالغربان السوداء والطيور الصغرى من الحمام، تضم اجنحتها وتطبقها فتتقلب حول نفسها في اثناء طيرانها الى الامام لمجرد التسلية. وفي ما يتعلق بعملية فرملة الهواء لتقليل السرعة لدى الهبوط على الارض، فان الطيور عندئذ تنشر ذيولها على شكل مروحة وتسبل اجنحتها اتقانا لتأدية العملية، كما ان الطيور المكففة ذات الاصابع المتشابكة - مثل الاوز - توجه

طيرانها وتتحكم بسرعتها وفرملتها باستخدام ارجلها ايضا، فضلا عن انها تستعمل حركة رقابها الطويلة كذلك في عملية التوجيه والتوازن. والهدف الرئيسي من الذيل هو تحديد الاتجاه وتغييره - الى اعلى واسفل، يمينا ويسارا ايضا - غير ان بعض الطيور التي لها ذيول عالية الكفاية يمكنها القيام بحركات معرجة وملتوية، والطيران على ظهرها او

احد قدميها على الارض كالولد الذي يركب مزلجة.

ولا شك في ان الطائر الثقيل الوزن يحتاج الى طاقة كبيرة جدا تمكنه من الاقلاع، بل ان بعض هذه الطيور - مثل البجعة - يحتاج الى مدرج يجري عليه اضافة على تحريك اجنحته بعنف وسرعة شديدين كي يستجمع السرعة الكافية للارتفاع عن الارض. وهناك طيور اخرى - كالغراء - اخف وزنا



التقلب رأسا على عقب او التشقلب الى الوراء. وسواء جمع الذيل في حزمة تشبه العصا او نشر بزاوية ١٨٠ درجة او انحرف بمقدار اي زاوية اخرى، فان له وظائف لا تحصى، من القيام بدور الزعنفة التي تساعد الطائر على حفظ توازنه الى اداء دور مظلة الهبوط او الراية التي تشير الى هوية الطائر.

الاخطاء كثيرة - ولا يعني ذلك ان الطائر يعتبر طيارا مثاليا لا عيب فيه. فالطيور ترتكب كثيرا من الاخطاء، وهناك طيور عدة تتضرر، بل وتتحطم لدى الهبوط من جراء ارتطامها العنيف باليابسة. واذا ما شاهدت فيلما يعرض ببطء لمجموعة من الطيور في اثناء هبوطها على الارض، فستراها تصحح اخطاءها في آخر لحظة بحركة من ذيلها او بجر

واقل قوة من البجعة، تقلع عن الارض مثل الطائرة القديمة ذات المحرك الواحد من طراز عام ١٩١٥.

ومن الطبيعي ان جميع الطيور الكبيرة ترتفع عن الارض في اتجاه مضاد لاتجاه الريح، اكتسابا لسرعة الهواء، وشأنها في ذلك شأن بقية الطائرات.

وقد سمعت بطائر من آكلي السمك ارتكب خطأ جسيما، فهبط على سطح بركة صغيرة وسط غابة من اشجار الصنوبر العالية. وحين هم بالاقلاع وجد انه عاجز عن الارتفاع بالسرعة الكافية للتحليق فوق رؤوس الاشجار وعن الدوران الرشيق الذي يتيح له ان يرتفع حلزونيا. وراح الطائر يشق سطح الماء ويضرب الامواج بجناحيه، ويحرك قدميه المكففتين مستميتا يائسا قبل ان يحلق في الهواء،

واوشك ان يبلغ غايته مرتين، لكنه كاد ان يموت ايضا بسبب ارتطامه بالاشجار. واخيرا، بعد انقضاء اربعة ايام كاملة من المحاولات الفاشلة، هبت ريح قوية فتمكن الطائر من التحليق السريع ضد اتجاه الريح، واستطاع بالكاد ان يمر بين قمم الاشجار منطلقا الى الحرية!

ولا ريب في ان شكل الجناح عامل اساسي من عوامل فعالية الطيران. وقد زودت الطيور بمجموعة كبيرة التنوع من الاجنحة الخاصة، كمثل ما فعل مصممو الطائرات. فهناك الاجنحة الضيقة المستدقة الاطراف التي تميز الطيور القوية السريعة الطيران كالباز والصقر والخطاف والسنونو والطائر الطنان. وهناك الاجنحة المثنية المحاور التي تتسم بها الطيور المنزلقة مثل صقر الليل. وهناك الاجنحة العريضة المصبعة التي تتميز بها طيور التحليق العالي البطيء، والاجنحة القصيرة المستديرة لدى طيور المناطق المشجرة كالطيهوج والسلوى والدوري الصغير والحسون.

وتتميز طيور النورس والقطرس وبقية الطيور البحرية باجنحة ضيقة ومستدقة الاطراف تمكنها من الانزلاق البعيد المدى والتحليق فوق المحيط الواسع.

في الواقع، ان طائر القطرس مهيأ للبقاء محلقا في الهواء الى حد يكاد يبلغ الكمال. وهذا الطائر لا يستطيع ان يضم جناحيه الطويلين في شكل مريح الى ريش جانبيه عندما يهبط فوق سطح الارض او البحر. وثمة من يعتقد ان القطرس يبسط جناحيه الى اقصاهما ويبقى طائرا عندما ينام.

وتنتظم الطيور المهاجرة في اسراب على شكل الرقم "٧". ويعزى ذلك الى المبدأ نفسه الذي تتبعه طائرات السلاح الجوي، وهو ان الطيران على هذا الشكل يعد ابسط طريقة لمتابعة القائد في السماء مع البقاء في الوقت نفسه خارج نطاق دوامة الهواء المضطرب التي تخلفها وراءها الطائرة المتحركة مع المحافظة على الرؤية الجيدة. لكن الامر يتطلب قدرات مختلفة تماما في مناورات الاسراب الكثيفة التي تضم آلاف الطيور الصغيرة. وهنا نجد السرب يتحرك احيانا في شكل عجلة (دولاب) ضخمة، تنخفض الطيور المفردة فيها وترتفع باطراد وكأنها اجزاء مرتبطة بايقاع اطار العجلة التي نراها احيانا تدور كعجلة المركبة على الطريق العام واحيانا اخرى تتحرك في شكل غير منتظم كلسان من ضباب البحر تتراكب طياته بعضها فوق بعض، ويفقد فيها كل طائر فرديته اذ يصبح جزءا لصيقا بالجماعة الكبيرة المتحركة.

وليس في استطاعة احد حتى الآن ان يدرك معنى الوحدة المدهشة في هذا التصرف. ولربما كان الامر هنا متوقفا على ما هو اكثر كثيرا من مجرد الاتصال البصري، ولعله ان يكون جزءا من خيوط التلاحم التي تربط بين الحيوات الفردية وتزود المرء بقابلية الانصهار في كتلة كبرى من الوعي الشامل الذي يتجاوز وعيه المنفرد ويتسامى فوق حدود وجوده.

لكن الشيء الذي لا يرقى اليه الشك هو ان الطيور هي اقرب الآلات الطائرة الى الكمال.

■ جاي مورتشي

قسطنطين كرمنليس وصفة طبيب للديموقراطية اليونانية



يعود الفضل الى قسطنطين كرمنليس، رئيس وزراء اليونان الشديد البأس، في ابقاء نظام الحكم النيابي حيا ومعافى في بلاده.

عندما تولى قسطنطين كرمنليس رئاسة الوزارة في اليونان سنة ١٩٧٤، كانت سلطته تقوم على اساس فريد: شخصيته القوية، بينما كانت المهمة الموكلة اليه شاقة تكاد تناهز المستحيل. ذلك ان اثينا كانت مطوقة بوحدات مصفحة تخضع لامرة ضباط متطرفين في مقاومتهم اي تغيير في النظام السياسي، وهم من مؤيدي الديكتاتورية العسكرية اليمينية التي كانت تحكم اليونان منذ سبع سنوات. كما ان البلد كان يضج بالصيحات الداعية الى الحرب ضد تركيا. وكان الاقتصاد ينوء بمعدل ٣٠٪ من التضخم.

ومع ذلك، فقد تمكن كرمنليس من اجتراح العجائب السياسية في اليونان بفضل ذلك المزيج اللبق الذي ينطبع عليه من ثبات العزم والدهاء السياسي، فاعاد الى بلاده صفاءها،

كما اعاد شارل ديغول روح النظام الى وطنه فرنسا قبل عقدين تقريبا · وها هي مؤسسات اليونان الديموقراطية مزدهرة اليوم، وقواتها المسلحة تحت سيطرة مدنية راسخة، وحكومتها من أكثر الحكومات استقرارا في اوروبا ·

وفي المدينة المشبعة بالشمس، اثينا، ذات الثلاثة ملايين نسمة، تزدحم المحلات بآخر الازياء والمجوهرات والادوات المنزلية · وتتميز اليونان بأحد ادنى معدلات البطالة في اوروبا الغربية، وهو لا يتجاوز ٣٪، وبارتفاع المداخيل بنسبة ٥٪ سنويا، بفضل التشجيع الحكومي للمبادرة الفردية · ويقول احد الاثينيين: "عندما كنت يافعا، كان الناس يقلقون على تحصيل حاجتهم من القوت، اما الآن فهم يحسبون عدد الوحدات الحرارية في الطعام" ·

لقد مرت اليونان في توعك سياسي عميق الى ان جاء كرمنليس · واليونانيون الاقدمون هم الذين اعطوا العالم مفهوم الديموقراطية، لكن اليونان الحديثة لم تتمتع الا بومضات عابرة منه · والمواطنون اليونانيون يهتمون اهتماما حماسيا بالشؤون السياسية، وذلك من اجل مصلحتهم الخاصة · وقد كان من شرور الغوغائية والنزاع الفئوي وعنف الشوارع انها اضعفت المؤسسات الديموقراطية ومهدت الطريق لثمانية انقلابات عسكرية منذ الحرب العالمية الأولى · ولئن كانت الديموقراطية كلمة يونانية، فالتشويش والفوضى والطغيان والاستبداد كلمات يونانية ايضا ·

"**وصفة الطبيب**" ـ طويل القامة، مفعم بالحياة والاناقة حتى مع تقدم السن، فضي الشعر · هذا هو كرمنليس الذي جاء "وصفة طبيب" لشعبه: قائدا قويا وحاسما · وهو، مثل ديغول، يمتاز بشخصية بارزة · فهو، وان استقطب احترام الناخبين واصواتهم، ونالها بالفعل، تصعب عليه استمالة قلوب الناس · ذلك ان كرمنليس يعاني صمما جزئيا منذ الصغر، اضطره الى تزويد اذنه بآلة تساعدها على السمع · ويقول بعضهم ان هذه البلوى جعلته متحفظا وفظا في علاقاته مع الآخرين · وهو، على الطراز الديغولي، قصير الصبر مع اولئك الذين لا يوافقونه الرأي · وحين يقاطعه ضجيج النظارة خلال انعقاد مجلس النواب، يضرب الطاولة بيده ويصرخ: "اذا لم تكموا افواهكم فلن اتابع" · وكرمنليس ـ مطلقا وبلا اولاد ـ يعيش وحده وليس له اصدقاء قريبون ·

وفي حين ان معظم السياسيين اليونانيين ينتمون الى مجموعة اثينية صرف من العائلات النبيلة الغنية التي تلقت علومها في الخارج، يتحدر كرمنليس من اصول ريفية · فهو ولد سنة ١٩٠٧ ونشأ في قرية بروتي المكدونية في الشمال · واوصل نفسه الى كلية الحقوق في اثينا عن طريق بيع صكوك التأمين · وهو لا يزال محافظا على لهجة فلاح مكدوني مما جعل متنفذي اثينا ينظرون اليه كانسان ريفي شديد الارتباك ·

لقد شهر كرمنليس اسمه خلال فاصل من الحكم النيابي في مطلع الخمسينات، كوزير للاشغال العامة بعيد عن التوافه، في حكومة الكسندر باباغوس · وشق طرقا عامة في كل

مكان من اليونان بفضل مساعدة امريكية ضخمة مسجلا بذلك خطوته الاولى في فتح ابواب التقدم الاقتصادي في وجه المناطق الريفية المتخلفة.

ثم بعد وفاة باباغوس عام ١٩٥٥، اصبح كرمنليس رئيسا للوزراء في السن الثامنة والاربعين. وبقي في منصبه ثماني سنوات، وهي اطول فترة من الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي شهدتها البلاد منذ الحرب. لكن حزب كرمنليس هزم في انتخابات ١٩٦٣، وابت عليه كبرياؤه ان يسلم بهذا الصيم، فاتخذ، حانقا، من باريس منفى اختياريا له. وقال ساخطا لدى مغادرته اليونان: "القائد السياسي الحق لا يحتاج الى الشعب، بل الشعب يحتاج الى هذا القائد".

وعلى اثر رحيل كرمنليس، انزلقت اليونان في الفوضى، واخذت الاضرابات السياسية والتظاهرات الصاخبة تنطلق كل يوم تقريبا... الى ان افاقت اثينا صباح احد ايام ابريل (نيسان) ١٩٦٧ على ارتجاج المصفحات. فقد اعلن زعيم عسكري (كولونيل) قصير وعابس، اسمه جورج بابادوبولس، نفسه حاكما مطلقا وحل المجلس النيابي وعطل الحريات المدنية وملأ السجون اسرى سياسيين. وبقي في الحكم ست سنوات ونصف سنة الى ان خلعه ضابط عسكري آخر.

وكان خليفة بابادوبولس العميد (البريغادير جنرال) ديمتريوس يوانيدس، وهو رجل احمق كان يرئس الشرطة العسكرية. فجاءت اعماله اسوأ من اعمال سلفه، وسخر رجال الشرطة العسكرية، البالغ عددهم عشرين الفا، لاقامة حكم ارهابي. وتفشى في عهده تعذيب السجناء السياسيين الذي بدأ ايام بابادوبولس.

وربما كان في مقدور الطاغية يوانيدس ان يستمر في السلطة حتى اليوم، لو لم يرتكب خطأ فادحا عندما بادر في يوليو (تموز) ١٩٧٤ الى تنظيم انقلاب ضد رئيس أساقفة قبرص ورئيس جمهوريتها الراحل مكاريوس، آملا في ان تؤدي تنحية مكاريوس الى الوحدة بين اليونان وقبرص، آخذا في الاعتبار ان قرابة ٨٠٪ من القبارصة هميونانيو الاصل. لكن تركيا، القلقة على سلامة الاقلية التركية المحاصرة في قبرص، غزت الجزيرة والتهمت ٤٠٪ من اراضيها.

ونتيجة للاذلال الذي لحق به من جراء مغامرته الخائبة، دعا يوانيدس الى الحرب ضد الاتراك. لكن الوية الجيش (الجنرالات) الآخرين، بعدما تحققوا من ان عدد القوات التركية المسلحة يفوق عدد القوات اليونانية بنسبة ٣ الى ١، رفضوا الاذعان مما ادى الى انهيار حكم يوانيدس.

"... الديموقراطية معكم" — ووجه الجنرالات نداء تلفونيا يستغيثون فيه بالرجل الوحيد القادر، في نظرهم، على لم شعث الامة... وفي الثانية من فجر ٢٤ يوليو (تموز)، هبطت طائرة كرمنليس في اثينا. وعلى الرغم من تلك الساعة المتأخرة، اصطف آلاف الاشخاص في الشوارع يحيونه ويرشقون سيارته بالزهر. وفي الرابعة فجر ذلك اليوم اقسم اليمين رئيسا للوزراء واطل على الحشد الهادر في ساحة الدستور وطمأنه: "انا معكم، الديموقراطية معكم".

وما ان تسلم زمام الامور حتى بادر في يومه الأول الى اطلاق جميع السجناء السياسيين، وقد قضى بعضهم سنوات في السجن. واعاد الى الصحافة حريتها كما اعاد حرية القول وبقية الحريات جميعا.

الا ان رئيس الوزراء الجديد وجد نفسه مجبرا على لعبة "الهر والفأر" الخطرة، بما ان اثينا كانت لا تزال مطوقة بوحدات مصفحة في قيادة ضباط يدينون بالولاء الاعمى ليوانيدس. فباشر كرمنليس تركيز الجيش في امرته بهدوء ورباطة جأش. وكان، كل يوم تقريبا، يعفي الواحد تلو الآخر من اتباع يوانيدس من المناصب الحساسة ويرسله الى المناطق الحدودية النائية او الى الجزر الايجية، "لكي يحمي الوطن من اعتداءات الاتراك".

وعندما حان الوقت لاجراء المكاشفة الاخيرة مع الجيش، عقد كرمنليس اجتماعا مع الجنرالات، اعلن فيه ما يأتي: "لا يمكنني الحكم تحت خطر الانقلاب الدائم. اريد ان تغادر جميع الوحدات المرابطة في منطقة اثينا مراكزها خلال ٢٤ ساعة". فعارضه الجنرالات بحجة ان الجند لا تمكن ازاحته بهذه السرعة. فأجابهم كرمنليس متوعدا: "اسحبوهم والا دعوت الشعب الى الوقوف ضدكم"... وكان ان سحب الجند قبل الموعد المضروب.

ثم كان في اعقاب ذلك ان طالب رئيس الوزراء الحازم بتفويض شرعي من الشعب، فاستجاب الشعب لذلك، ونال حزب كرمنليس "الحزب الديموقراطي الجديد" - ٥٤٪ من اصوات الناخبين، وهي أكثرية ملحوظة في بلد كانت تؤثر عنه التجزيئية السياسية حتى ذلك الحين.

وفي خطوة رئيسية ثانية لارساء اسس الديموقراطية، دعا كرمنليس الى استفتاء وطني حول اعادة الملك المنفي قسطنطين الى العرش او تحويل اليونان الى جمهورية. وكثيرا ما كانت العائلة المالكة، منذ قيام الملكية قبل ١٤٢ سنة، تعجل في حدوث الازمات الوطنية من جراء تدخلها في السياسة. وكان يؤثر عن كرمنليس معارضته الشخصية للملكية بسبب ذلك. لكنه لم يتخذ موقفا عاما في هذا الصدد، تاركا للشعب ان يبت الامر. فجاء قرار الشعب لمصلحة الجمهورية بنسبة لا لبس فيها، تتجاوز ٢ الى ١.

النزاع مع تركيا - وفيما كان اليساريون يعارضون كرمنليس بسبب مناهجه السياسية المحافظة عموما، حنق عليه كثير من اليمينيين لاعترافه رسميا بالحزب الشيوعي اليوناني. ولئن كان كرمنليس لا يكن في قرارة نفسه سوى الازدراء حيال الشيوعيين، فقد كانت حجته في الترخيص لحزبهم كما يأتي: "ان ابقيناهم خارج الشرعية اتحنا لهم ان يكتسبوا غموضا وسحرا يساعدانهم على اجتذاب اعضاء جدد، ولا سيما من صفوف الاحداث". وكان كرمنليس على حق. فقد تحول الاعتراف بالحزب الشيوعي الى كارثة على اتباعه. وسرعان ما انشق الحزب الى فئات متناحرة ليس في مقدور اي منها الحصول على تأييد انتخابي ملحوظ.

اما كرمنليس - وقد تمت له السيطرة الشاملة - فراح يصفي الحسابات مع شخصيات العهد

الديكتاتوري الرئيسية. فقبض على يوانيدس و٤١ ضابطا آخر وهم يخططون لانقلاب جديد، وحكم على يوانيدس بالسجن مدى الحياة. وفي سلسلة لاحقة من المحاكمات، حكم على اكثر من ١٥٠ عسكريا وشرطيا بتهمة التعذيب وسواها.

والمهمة الكبرى الملقاة على عاتق كرمنليس اليوم هي السعي الى تسوية سلمية مع تركيا. فقضية قبرص لا تزال قضية متفجرة. ولم يتسن بعد للقبارصة اليونانيين الذين شردهم الغزو التركي، وعددهم ٢٠٠٠٠٠، ان يستعيدوا بيوتهم.

ويعتبر كرمنليس ان مستقبل الديموقراطية اليونانية متوقف، الى حد كبير، على استطاعته التوصل الى تسوية مع تركيا حول هذا وسواه من الامور، مع تجنب المزيد من الاضطراب السياسي.

يبقى ان الديموقراطية لا تزال حية ومعافاة في ارض مولدها. فعلى الرغم من جميع المصاعب التي واجهها قسطنطين كرمنليس، هذا الرجل السبعيني الشديد البأس، فقد قدم البرهان على ان الديموقراطية هي، على حد قول تشرشل، اسوأ نظام ممكن اذا استثنيت جميع الانظمة الاخرى.

■ دايفيد ريد



أكثر الناس خيبة في الحياة هم الذين لا يحصلون الا على ما يستحقونه.

ساشا غيتري

"هذه اغنيتنا..."

كان الجنرال شارل ديغول يشاهد في بيته عرضا تلفزيونيا لحدث تاريخي. وترددت في الغرفة انغام النشيد الوطني الفرنسي (المارسيلييز)، فانصت اليها الجنرال وقد تحركت مشاعره، ثم التفت الى زوجته الجالسة الى جانبه وقد غامت عيناه، وقال: "انصتي يا عزيزتي... هذه اغنيتنا".

السياسة كما هي

منذ بضع سنوات، كان رجل انكليزي واقفا على ظهر باخرة تدخل ميناء مونتفيديو في الاوروغواي، فالتفت وسأل رفيقه المسافر من أهل البلاد: "اي نظام سياسي لديكم هنا؟"

فقال الرفيق: "في بلادنا حزبان سياسيان، احدهما يضم جميع الوطنيين المجدين الصادقين، والآخر يضم جميع الكسالى والمتطفلين والمحتالين. لكن المشكلة هي اننا لا نستطيع التمييز بين هذا وذاك".

سالفادور دي ماداريانجا

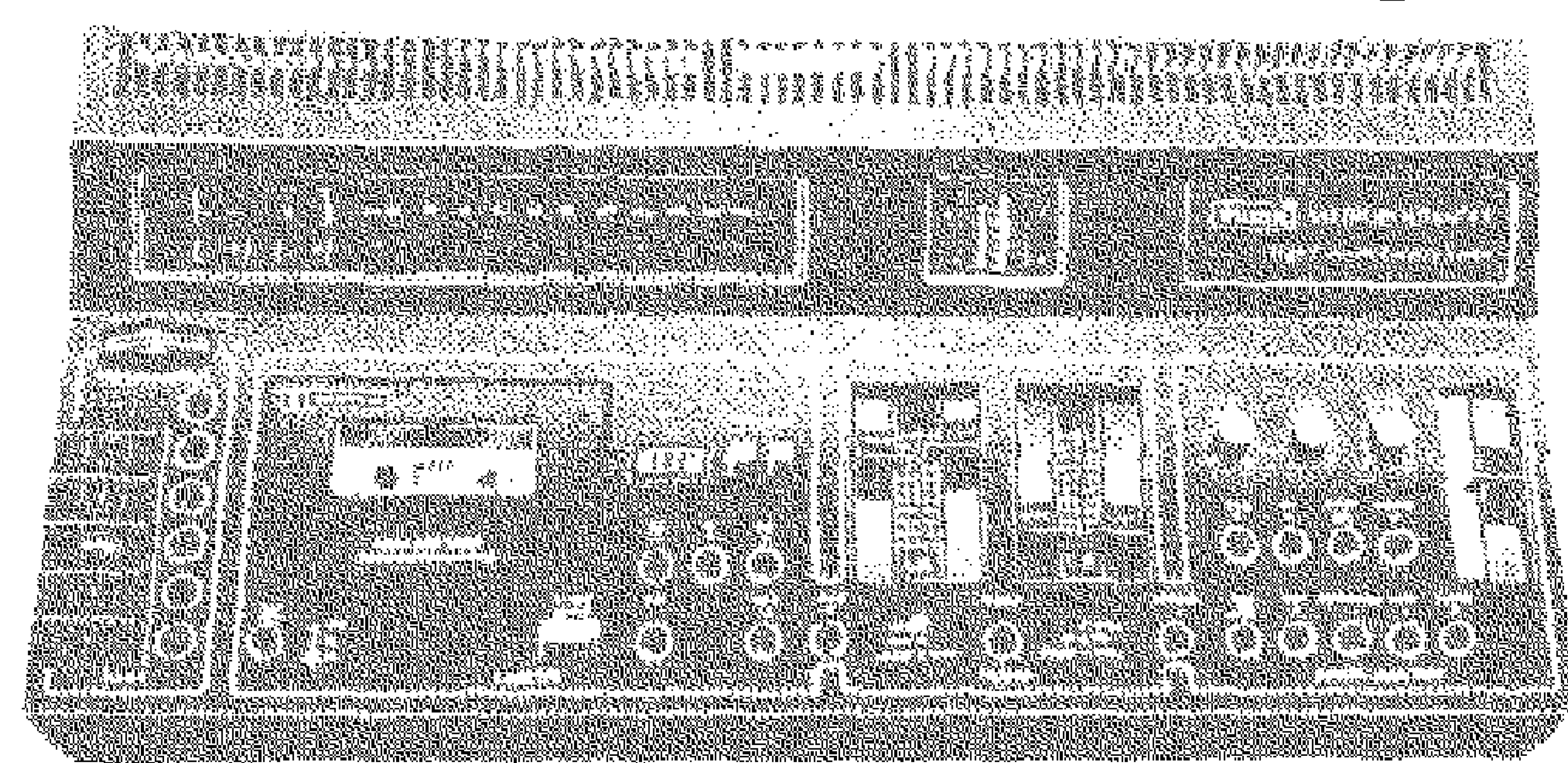
Success breeds success.

Technical expertise and high standard quality controls have made Eumig the world's leading brand in sound cine projectors.

Eumig projectors have been successful all over the world and been examples for the whole industry. We confidently anticipate this policy of pursuing excellence continuing in the future. Consequently, Eumig will continue to lead development of cine cameras with PMA lenses for much wider pictures both in sound and silent equipment. Eumig cine products give family fun to millions of people all over the world.

However, besides being the leading manufacturer of cine cameras and projectors Eumig is in the unique position of also being a leading product manufacturer in the hi-fi market. Eumig concert centres and concert cassette decks are top quality. They represent the highest development of cassette techniques and have perfect synchromesh. This means top quality sound equal to that of the best tape recorders and phono equipment.

This is a unique position for Eumig to hold. It follows, therefore, that Eumig is determined to also achieve a leading brand position in the growing field of video equipment with the background of Eumig's experience, technical achievement and emphasis on quality, it is natural therefore for Eumig to anticipate producing in this field excellent products of the highest quality.



Success breeds success–and the secret of success is producing consistently products of top quality.



Euro-Advertising

وساوس مصاب بالأرق

تشهد مرآتي على ان في استطاعتك ان تميز المصاب بالارق بلمحة بصر. فتلك الهالات السوداء حول عينيه تجعله يبدو مثل الراكون المعوق النمو، وتدلّي شفته السفلى يعيد الى الذاكرة صورة الحصان الهرم الذي يجر العربة وهو في طريقه الى مصنع الغراء. انظر الى سحنته فتجدها اشبه بكدسة ثلج عفنة في مهب الريح. واذا ما نفذت الى داخل رأسه بدت كل أفكاره وكأنها اصيبت بالرذاذ.

ما أضر الارق وما اغدره! انظر كيف تهيؤ السرير يدعوك اليه ويغريك بوعود الراحة والسكينة، ولا تلبث ان تستجيب له وتنزج في طياته الناعمة وتستلقي على وسادتك تغمرك السعادة والطمأنينة. وفجأة ينطلق صوت خفي من اعماقك يلح عليك بأن الوسادة الاخرى هي التي تريح رأسك. وما ان تبدل الوسادة باختها حتى تتبين ان الثانية ليست احن على رأسك من الأولى. ويبدأ الهلع والذعر، يستحوذان على عقلك ومشاعرك في مطاردة لا تعرف هوادة.

في البداية، تقبل عليك الوساوس، فتسأل نفسك: سحبت مأخذ التوصيل الكهربائي من مغلاة القهوة؟ هل اشتم رائحة دخان؟ هل اكتب وصيتي؟

وفي محاولة لالهاء دماغي وتهدئة ارتياعه، امضي في طرح سلسلة من الاسئلة الغريبة الاستدراجية التي لا رابط بينها ولا وازع ولا اول لها ولا آخر: هل اتذكر الخطايا المميتة السبع؟ اجل، انني اذكرها جميعا باستثناء واحدة منها... من هو اول شخص شاهد نعجة وفطن الى حياكة الملابس الصوفية؟ هل يفيدني ان آكل شيئا؟ ثم انتقل الى المطبخ واحضر بعض الطعام البسيط... ولا ألبث ان احمل نفسي مسؤولية هذا الفعل الاثيم: النهم.

اعود ثانية الى السرير، وسرعان ما يتملكني وسواس المرض: ما العمل لو كانت تلك القعقعة البطنية نذيرا بالتهاب الزائدة الدودية او غيرها من

الأوعية الداخلية؟... الساعة الآن الأولى بعد منتصف الليل. هل ينبغي ان اتناول حبة دواء؟ لا....

وأخذت اردد مقطعاً من رواية "عطيل" (الفصل الثالث، المشهد الثالث): "لا الخشخاش المخدر (الافيون) ولا الييروح ولا اي عصير منعّس في العالم يساوي لعنة واحدة"... الساعة الآن الاولى والنصف صباحا. يا الهي! هل انقضى نصف ساعة بكامله وانا اتفرس في ساعتي؟ وهل اقتصر ذلك على نصف ساعة فقط؟

دقت الساعة الثانية. ليس في البيت كتاب ارى فيه فائدة. ومع هذا، فقد اخذت اتصفح ما تيسر لي وكأنني اتناول وجبة لا تنتهي من الطعام التافه المذاق. الساعة الثالثة. لا يزال الليل حالك السواد، ولكني ارى عبارة منقوشة على لوح دماغي واضحة وضوح النهار: "يمر الوقت. وانت تشيخ"... الساعة الرابعة. يغلبني النعاس وانام نوما خفيفا متقطعا ثم افيق مرة ثانية واتساءل ان كان هناك مخزن ادوية يفتح طوال الليل: اظن ان لا ضرر من ان اتناول منوما كالييروح، تلك العشبة التي تنتمي الى الفصيلة الباذنجانية. الييروح: على اي مقطع تقع النبرة في هذه اللفظة؟

وما لبثت الاعجوبة ان تحققت. ولكن قبل ان ادري بها كان النعاس غلبني مرة اخرى، وقد اخذت هذه المرة احلم بالمراعي الخضر وسحب الصوف الناعم. وفي تلك اللحظة بالذات دقت الساعة المنبهة.

■ ارنست بقلر

تأملات معاصرة

الفنان:

الفنان العادي ينظر الى الفتاة الجميلة ويرى فيها المرأة العجوز التي ستغدوها في المستقبل. والفنان الافضل منه ينظر الى المرأة العجوز ويرى فيها الفتاة الجميلة التي كانت في ريعان الصبا. والفنان العظيم ينظر الى المرأة العجوز فيرسمها تماما كما هي ويحمل المشاهد على ان يرى فيها الفتاة الجميلة التي كانت في ريعان صباها، بل اكثر من ذلك، فانه يجعل اي مشاهد يرهف الاحساس بحيث يتلمس في هذه الفتاة الجميلة نبضات الحياة والشباب وهي سجينة جسمها المتهدم. بل انه ايضا يجعلك تتحسس تلك المأساة الهادئة المتصلة الحلقات التي تستنتج منها انه لم تولد فتاة في العالم تعيش ملء قلبها اكثر من ثمانية عشر ربيعا مهما رحمتها الساعات القاسية.

ر.ا.ه.

العبارة الزائفة:

في احدى المقابلات الاخيرة التي اجريت مع كارل ساندبورغ قبل وفاته سئل عما اذا كانت هنالك عبارات زائفة، فأجاب انه على علم بواحدة منها على الاقل، وهي: "على وجه الحصر" او "مقصور على"، مثل: الانتماء الى النادي مقصور على... يعيش في بيئة محصورة على... فان هذا "الحصر" او "القصر" في تقديره، معناه الشعور بالتفوق على الغير في المقام، اي انك تعتبر الاخرين غير جديرين بالانضمام الى النادي المقصور على البعض ولا يستحقون الارتباط بعلاقات المودة والصداقة مع اعضاء البيئة "المحصورة".

ك.ل.ت.

المبالغة الواقعية:

ذات يوم القى هوارس مان - وهو من مشاهير المربين الامريكيين في القرن التاسع عشر - خطابا في افتتاح اصلاحية للاولاد، وصرح في كلمته انه لو انقذ ولد واحد فقط من الدمار لعوض ذلك كل تكاليف البناء والرعاية والعمل التي استلزمها تأسيس هذا المعهد. ثم التقى هوارس مان احد الحضور في جلسة خاصة فداعبه سائلا اياه: "الم تبالغ قليلا حينما قلت ان كل التكاليف ستعوض اذا هي ساعدت في انقاذ ولد واحد؟" فأجاب مان: "لم ابالغ اذا كان ذلك الولد ابني".

ب.ب.

الصمت والاصغاء:

يتميز الهنود الحمر بالصمت والعزلة والكتمان. فالسكون الداخلي ليس شيئا مروعا يوقع الرهبة في النفس وانما هو ادعى لاعتباره مستودعا للقوة الروحية. وقد تعلم الاطفال الهنود كيف يجلسون هادئين الى جانب ام او اخت لهم تجلس هي الاخرى بهدوء مطمئن. يقول لوثر ستانديغ بير زعيم هنود السيو في داكوتا "تعلم الاطفال كيف يجلسون بصمت وسكون ويستمتعون بذلك. لقد تعلموا كيف يستخدمون اعضاء الشم وكيف ينظرون من دون ان يكون هناك شيء يرى، وكيف يركنون على الاصغاء حينما يخيل للجميع ان كل شيء صامت".

ف.م.

النمو:

يبدو لي الاطفال اشبه بطيارات الورق، انك تنفق ردحا من الزمن محاولا رفعهم عن الارض، تركض معهم الى ان تصبحا كلاكما مرهقين الى حد اللهاث ثم يتعثرون في الهبوط، يرتطمون بأعلى السطوح، وانت تداري وتصلح وتواسي وتكيّف وتعلّم وتراقب كيف يرتقي بهم الريح وتطمئنهم الى انهم سيتقنون الطيران يوما ما، واخيرا يحلقون في الجو، فيحتاجون الى المزيد من الخيوط وعليك الاستمرار في الارسال، وانما في كل واحدة من كرات خيط القنب تتحسس بشيء من الحزن الممزوج بالبهجة، وتتعالى الطيارة ابعد فأبعد، وانت تدرك انه لن يمضي وقت طويل قبل ان يقطع ذلك المخلوق الجميل خط الحياة الذي يجمعكما معا لكي يحلق كما اريد له ان يحلق حرا وحيدا، عند ذاك فقط تعلم انك قد اتممت عملك واديت رسالتك، ا· ب·

الحكمة:

ان ما يعلمه الانسان وهو في الخمسين مما لم يعلمه وهو في العشرين شيء يتعذر نقله او تلقينه للآخرين في اغلب الاحيان، فالمعرفة التي يحصلها المرء مع العمر لا تكتسب بالكلمات بل باللمس والبصيرة والسمع والظفر والفشل والارق والتفاني والمحبة، اي خبرات الانسان وانفعالات هذه الارض وانفعالات المرء نفسه والآخرين، وبعض الولاء والاخلاص وقليل من الاحترام للاشياء التي لا تستطيع رؤيتها، ادلاي ستيفنسون

روعة الطبيعة:

تأتي السماء في أشكال عدة واحجام كثيرة، فسماء الاسكيمو كما يقولون حارة، وسماء العرب باردة تعج بالحوريات، ولكن اعطني بحيرة جبلية زرقاء بعد انتهائي من رحلة تسلق طويلة، وطوقها بالاشجار التي لم تلامسها الفأس واملأها بأسماك الغدران الهائمة في الاعماق والمتحضرة للوثوب والطيران، ودع السمنة تعلن الفجر بتغريدها المستطيل، واعطني دفء الشمس بعد السباحة وبرودة الليل تحت النجوم، ودع الصباح يبذر باكورة اشعاعه في حقول الثلج على القمم الغريبة،

ب· ب·

السلطة والحرية:

لا يسعك ان تصون حرياتك في هذا العالم ما لم تصن حرية الآخرين، فأنت لن تكون حرا الا اذا كنت انا حرا، وان الملمة التي تنزل بي ربما اصبحت اداة للايقاع بك، وان الحكومة التي لا تملك القوة الكافية لتحمي جميع مواطنيها احرى بها الا تعيش على وجه هذه الارض، ك· د·

الزواج:

الزواج اشبه بصندوق تروس السيارة الثلاثي السرعة: العاطفة والصداقة والحب، ليس من الحكمة ان تتحطم علبة تروسك بسبب عدم تدرجك في تغيير نمط السرعة، اي ان تقفز فورا الى درجة الحب، فلا بدّ لك ان تأخذ الامور بتؤدة ورفق من الاول الى الآخر، فأساس الحب هو التقدير والاحترام وذلك ما يتعلمه المرء من خلال العاطفة والصداقة، بيتر اوستيذوف

الايمان:

في عام ١٩٧٧، مرّ ٤٤ مليونا من الناس خلال مطار اوهير في شيكاغو متجاوبين مع اصوات غير بشرية مكبرة آليا بالكهرباء تدعوهم الى التوجه نحو اغشية اسطوانية من الالومينيوم لكي تنطلق بهم محركات غريبة نحو الفضاء الاعلى، ولم يبال الركاب بمعرفة شيء عن هذه المحركات واعتلائها الفضاء، مستسلمين الى ايمانهم بها، ومع هذا، فاننا لا نزال ننعت القرن الثاني عشر بانه هو عصر الايمان،

ج· و·

الرمال الساخنة تتحرك

السحر الذي يوحيه منظر الصحارى، خصوصاً الصحراء الكبرى، يخفي رعباً يتمثل في زحف بطيء للرمال نحو الأرض الخصبة. وهذا الخطر من شأنه تهديد عشرات الألوف، بل مئاتها، بالعطش والجوع.



يواجه العالم ظاهرة تنذر بالخطر الاكيد من جراء زحف الصحارى واتساع مساحاتها باستمرار. فالصحراء الكبرى في افريقيا تزحف جنوباً مسافة ٥٠ كيلومترا كل عام في بعض البقاع، حتى انها ابتلعت خلال نصف القرن الماضي ما يقرب من ٦٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع من الاراضي الصالحة للزراعة. كذلك اتت الصحراء الهندية على خمس مساحة الهند، وابتلعت صحراء الاتاكاما مئات الكيلومترات المربعة في شمال شيلي. والامر نفسه تقريبا حاصل في الشرق الاوسط وايران والارجنتين وافريقيا الجنوبية وفي بعض انحاء سيبيريا والصين والولايات المتحدة.

وفي مقابل ذلك، ليس هناك مكان واحد في العالم تنحسر فيه الصحارى وتتراجع، مما يشكل واقعا مشؤوما بالنسبة الى مستقبل البشرية. فالصحارى والمناطق القاحلة وشبه القاحلة التي لا تتجاوز أمطارها السنوية ٣٥٠ ملليمترا، اصبحت مساحتها تعادل ٤٣ في المئة من مساحة اليابسة قاطبة. مع ان غالبية هذه المناطق كانت في الماضي ارضا زراعية خصبة. فالشمال الافريقي ظل احدى المناطق الرئيسية لزراعة الغلال

طوال ستة قرون في عهد الامبراطورية الرومانية. وهناك تحت رمال الصحراء الكبرى تكمن اطلال عدد من المدن الكبيرة والحواضر الضخمة. وقد ازدهرت ايضا امبراطوريات رحبة في بلاد ما بين النهرين استمرت زهاء اربعين قرنا قبل استحالة ربوعها بيدا مقفرة.

ظاهرة التصحر - ولا بد من ان نتساءل كيف تحولت هذه الاراضي، التي كانت خصبة مزدهرة في يوم من الايام، الى صحارى جرداء. ترى هل تكون التغيرات المناخية هي السبب؟

ان خبراء الارصاد الجوية لهم تحفظاتهم في هذا الصدد. فالتغيرات التي طرأت على درجات الحرارة ومعدلات تساقط الامطار في المناطق القاحلة كانت، في معظم الاحيان، طفيفة منذ بزوغ شمس الحضارة. ويرى خبراء الارصاد ان أكثر من تسعة ملايين من الكيلومترات المربعة من الصحارى التي انتشرت منذ ذلك الحين (تمثل ٦،٧ في المئة من مساحة اليابسة) هي كلها تقريبا من صنع الانسان.

ونستطيع ان نتخيل شريط الاحداث التي افضت الى هذه النتيجة كما يأتي:

عندما اتجه الانسان، في بادىء الامر، الى الزراعة قلع الاشجار والنبات واحرقها. ثم اخذت مزروعاته تمتص كل ما في التربة من عناصر غذائية، فأضطر، بعد انقضاء بضعة مواسم، الى مغادرة حقوله والانتقال الى اقرب منطقة لم يسبق استغلالها، مكررا العملية نفسها هناك. ولا يزال الانسان يتبع هذا الاسلوب في الزراعة باجتثاث الاشجار وحرقها، في بقاع واسعة من افريقيا وامريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا.

وهكذا، تحولت الحقول المهجورة الى مراع للماشية والاغنام المتزايدة الاعداد، فأخذت تلتهم كل ما في الارض من حشائش واعشاب.

في الوقت نفسه عمد الانسان الى قطع اشجار الغابات لاستخدامها في البناء والحصول على الحطب. وهذا لا يزال اهم مصادر الوقود المستخدمة للطهي في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. ثم تأتي السيول المتساقطة على المرتفعات فتجرف تربتها وصخورها وتجتاح الاراضي الجرداء وتحدث فيها حفرا عميقة. وعندما يحل القحط، الذي يجتاح هذه المناطق كل جيل تقريبا، كانت الرياح تنقل معها طبقة التربة السطحية غير الثابتة التي تكونت على مر آلاف السنين. وأخيرا تعرت التلال حتى تحولت الى كتل من الصخور والحجار المتراكمة وكأنها "رصيف صحراوي" لا يصلح لأي نوع من الحياة النباتية.

الري والتملح - بيد ان هناك اسبابا وظروفا اخرى يعود اليها التصحر في منطقة ما بين النهرين، حيث كانت الزراعة تمارس منذ قرابة ستة آلاف عام. فبالنظر الى قلة الامطار لجأ الانسان الى عملية الري، ولكنه غفل عن أهمية التصريف السليم للمياه ولم يكتشفها الا بعد آلاف السنين. فالري، من دون تصريف مناسب، يؤدي الى تملح التربة، اذ ان مياه الري المتجمعة في الحقول تتبخر في موسم الربيع، تاركة في التراب ما تحمله من املاح وقلويات وغير ذلك من المواد المعدنية، ومتسببة في

ضعف المحاصيل.

واذا اتجهنا شمالا، رأينا ان مشكلات المزارع كانت تتفاقم بسبب قطع اشجار الغابات الجبلية، لان الامطار المتساقطة على السفوح العارية من غطائها النباتي تجرف كميات من الطمي تترسب في قاع الانهار وتسد الترع والقنوات مؤدية الى فيضانها. وتوالت الفيضانات عاما بعد عام، وارتفع مستوى المياه الجوفية، وازدادت ملوحة التربة السطحية المثقلة بالمياه المتسربة الحائلة دون نمو النبات.

ومع تعاقب الرطوبة والجفاف، على مدى الفي سنة، تكونت قشرة من الاملاح على سطح التربة، بلغت كثافتها حدا وصفه العالم الايكولوجي اريك اكهولم بقوله: "هناك مساحات كبيرة من جنوب العراق اصبحت تتألق اليوم تحت اشعة الشمس كأنها حقول مغطاة بالجليد".

ويقول عالم التربة السوفييتي فكتور كوفدا ان ما بين ٢٠ و٢٥ مليون هكتار من اراضي العالم الزراعية تحولت الى صحارى بسبب التملح والتشبع بالمياه منذ ان عرف الانسان الري. والغريب ان هذا الخطأ الجسيم ما زال يتكرر حتى الآن. وهناك بين ٥٠ و٧٠ في المئة من الاراضي التي بدأ ريها حديثا في مصر وسوريا وايران وباكستان معرضة للتملح. وقد تكونت مساحات واسعة متملحة في افريقيا الشمالية والوسطى وفي امريكا الجنوبية ومناطق زراعة الرز في الشرق الاقصى. بل ان بعض اراضي زراعة قصب السكر التي لم يمض على ريها اكثر من عشر سنين في السنغال قد اصبحت مواتا. ومن الامور الباعثة على القلق توقف الزراعة كل عام في نحو عشر مساحة الاراضي المروية في العالم، ومجموعها ٢٠٠ مليون هكتار. ووجه الخطر في الامر هو ان الاراضي المروية تنتج ما بين ٣٠ و٤٠ في المئة من غذاء الانسان، على الرغم من انها لا تمثل سوى ١٥ في المئة تقريبا من مجموع الاراضي المزروعة في العالم.

وقد زاد من حدة هذه المشكلة بناء السدود الضخمة. فقد ظل نهر النيل طوال ٥٠ قرنا يفيض على ارض مصر كل صيف فيغسلها من الاملاح ويرسب عليها طبقة رقيقة من الطمي المخصب. ولكن بعد بناء السد العالي في اسوان، صار من الضروري سحب المياه الى الحقول بواسطة المضخات. وليست هناك وسيلة للتخلص من الاملاح المترسبة. كما ان تجمع الطمي وراء السد اضطر مصر للمرة الاولى في تاريخها، الى استخدام المخصبات الصناعية.

دور المناخ – ومن الغريب في ما يتعلق بالصحارى التي نشأت بفعل الانسان انها كثيرا ما تنمو من تلقائها نتيجة لتغير المناخ. ومن ذلك ايضا ان نسبة الماء في الغلاف الجوي فوق صحراء ثار الهندية الكبيرة تصل الى ٨٠ في المئة مما هي فوق الغابات الاستوائية المطيرة. لكن الامطار التي تتلقاها الصحراء المذكورة قليلة جدا. ويرى العلماء ان رمال الصحراء تعكس جزءا كبيرا من طاقة الشمس بدلا من ان تمتصها. كما ان كميات كبيرة من الغبار العالق في الجو تحجب جزءا آخر من اشعة الشمس عن الارض، فلا تسخن الى الحد اللازم لسقوط الامطار. فكأن الصحراء

تتغذى من نفسها، وهكذا يغدو كل حيز من الارض المتصحرة سببا لتصحر حيز متاخم مساو له في المساحة.

ولا يقل شؤما أثر التصحرّ على الحياة نفسها. ففي السنوات العشرين التي أعقبت قطع الغابات في الولاية البرازيلية اسبيريتو سانتو التي كانت في ما مضى وافرة الخضرة، اختفت ٢٠٤ أصناف من الطيور، مخلّفة وراءها الحشرات تلتهم المحاصيل. ويقول طبيب مختص في الأمراض الجلدية من جامعة الولاية انه، في غياب الأشجار التي تقي المستوطنين الالمان ذوي الجلود الرقيقة حر الشمس، وجد ٩٠ في المئة من الناس الذين فحصهم مصابين بسرطان الجلد أو ببوادر هذا المرض.

ويجدر التساؤل عما اذا كانت هناك وسيلة لوقف امتداد الصحراء. والجواب هو انه لا سبيل الى هذا اذا زالت التربة الفوقية في المنطقة المعنية بفعل الرياح، فأصبحت المنطقة صخرية أو "رصيفا صحراويا"، او اذا تراكمت الاملاح فيها فأضحت طبقة كثيفة بينما لا مياه كافية لغسلها. اما اذا بقيت المنطقة مغطاة بتربة كافية لترسخ جذور النبات، فيصبح من الممكن وقف التصحر، بل تحويل الصحارى الى اراض قابلة للزراعة. ووصايا علماء الايكولوجيا في هذا الصدد بسيطة واضحة تلخص بالآتي:

○ مسح الاراضي القاحلة لتحديد ما يصلح منها للرعي، وما يصلح للزراعة، وما لا يمكن اصلاحه.

○ حصر عدد المواشي بما يتناسب مع استيعاب المراعي، والامتناع عن تربية الماعز الا في المناطق غير المعرضة للاتلاف.

○ تطبيق نظام الزراعة المتناوبة او تحديد عدد المواسم التي يتعين فيها اراحة الارض المنزرعة، والسهر على ثبات غلة الارض حتى في السنوات المطيرة، لكي تحتفظ التربة برصيد من الرطوبة لمواجهة فترات القحط.

○ اعادة تشجير التلال، وغرس الاشجار والجنبات في الكثبان الرملية دعما لكيانها، كذلك تشجير السهول لتثبيت تربتها السطحية.

○ تعزيز استخدام آلات الطهي العاملة على الطاقة الشمسية والغاز وغيرهما من مصادر الوقود بدلا من الحطب.

○ شحل المراعي وتنقيتها من الشجيرات والنباتات غير الصالحة للغذاء كيما يتاح نمو الحشائش والعلف.

○ تعديل تصاميم مشروعات الري بحيث لا تزود المزروعات الا بالمقدار اللازم لها، وايجاد القنوات لتسرب المياه، واقامة المصارف المائية الملائمة، والتريث في بناء السدود او شبكات الري حتى القيام بدراسات مستفيضة حول احتمال الاضرار التي تنجم عنها.

نتائج باهرة ــ وقد اسفر تطبيق هذه التوصيات عن نتائج باهرة. ففي مناطق الهند القاحلة، مثلا، تضاعفت المحاصيل وبلغت احيانا ثلاثة اضعاف ما كانت في ٢٤ مزرعة تجريبية. واقيمت ٢٠٠ بحيرة جديدة في منطقة صحراء تين شان الصينية التي استصلحت اراضيها. وقد ادى الحد من عدد المواشي وتنظيم الرعي في النيجر، التي اتلفت مراعيها بسبب الرعي المفرط، الى ايجاد واحة

خضراء وسط الصحراء تبلغ مساحتها ٤٠ الف هكتار. ويعتقد الخبراء انه يمكن استصلاح حوالى خمسة ملايين من الكيلومترات المربعة من اراضي الصحراء اذا ما توافرت الادارة الحكيمة لذلك.

وعلى الرغم من سهولة تطبيق هذه التوصيات، فأن كثيرا من حكومات العالم الثالث لا تملك الموارد المالية ولا الوسائل التكنولوجية اللازمة لتطبيقها. وهذه الحكومات تنفق عادة مواردها المالية على خطوط الطيران الوطنية والطرق العامة وما شابهها من المشاريع بدلا من تعمير الاراضي والتصدي لمشكلات الجهل والتخلف والفقر.

ويقول احد الرعاة في منطقة الساحل الافريقي: "لقد كان لدي ١٠٠ رأس ماشية، نفق منها ٥٠ بسبب الجفاف، ولكن في المرة المقبلة سيكون لدي ٢٠٠ رأس".

ويتساءل احد السنغاليين: "كيف نطالب شخصا بالتخلي عما لديه من ماعز، وهي كل ما يملكه؟"

وفي مثل هذين القولين دليل على ان وقف التصحر في مثل هذه البلاد يقتضي كثيرا من حملات التوعية المكثفة ومن المساعدات الاقتصادية الضخمة.


وربما تلقت هذه الدول قريبا بعض ما تحتاج اليه من اسعاف. فقد نظمت الامم المتحدة مؤتمرا عن التصحر في نيروبي، عاصمة كينيا، خلال شهري اغسطس (آب) وسبتمبر (ايلول) ١٩٧٧، ضم ١٥٠٠ مندوب عن ٩٥ دولة، ركزوا اهتمامهم على وضع خطة لوقف التصحر في عام ٢٠٠٠، فأيدوا ٢٨ توصية يتسنى تنفيذ معظمها لكل دولة بمفردها بالاعتماد على مواردها الخاصة ومعونات المنظمات الدولية.

وقد اعطيت الاولوية لستة مشروعات دولية، يتناول اثنان منها ربط اربع من دول جنوب غرب آسيا، واربع من دول امريكا الجنوبية، بشبكتين لمراقبة عملية التصحر عن طريق الاقمار الصناعية. وثمة مشروع آخر تشترك فيه ١٢ دولة عربية يتناول التدابير الكفيلة بالمحافظة على المياه الجوفية. ومن بين هذه المشروعات واحد تشترك فيه ١٢ من الدول المتاخمة للصحراء الكبرى لانشاء مجموعة من "الاحزمة الخضراء" على طول حدودها الشمالية والجنوبية. اما المشروع الاخير فيستهدف تحسين اساليب تربية الماشية في سبع من دول الساحل.

وقد ابدى الدكتور مصطفى طلبة، الامين العام للمؤتمر، ارتياحه الى النتائج التي توصل اليها المؤتمرون. وقال: "لعل المؤتمر كان يفتقر الى جو الاثارة والتشويق الذي يحيط بعمليات نقل المواد الغذائية بالطائرات لاغاثة المناطق المنكوبة، ولكنه، في الامد البعيد، سيكون اهم منها كثيرا بالنسبة الى خير البشر".

الا ان الالتزام الدولي بمكافحة التصحر جاء متأخرا. وقد حذر، في هذا الصدد، الدكتور اديك بورما، المدير العام السابق لمنظمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة من "ان يواجه العالم في المستقبل مشكلات غذائية تهون امامها المشكلات التي يواجهها في هذا القرن ما لم تقو الجهود على وقف زحف الصحراء على الاراضي المنتجة".

■ رونالد شيلر



أشعة الشمس الغاربة فوق
صحراء الجزائر
تضفي على كثبان
الرمال أشكالا هندسية رائعة.

إنها بعيدة وصامتة ومرعبة··
هذه هي الصحراء الكبرى ذات الجمال الأخاذ، ولو كان أحياناً نذير سوء·

الرمال السّاخنة تتحرّك / ٢

السحر

"الصحراء الكبرى" او "الصحارى"··· يكفي ان يصل المرء الى اولها حتى تغمره - كما حصل للقدماء - عزلتها الموحشة الفسيحة· اسمها وحده يجفل: فهو مشتق من الكلمة العربية "صحراء" التي تعني البرية السمراء الباهتة او القفر· والصحارى أكبر صحراء في العالم· فهي تمتد على طول افريقيا الشمالية حتى تبلغ مساحتها تسعة ملايين كيلومتر مربع·

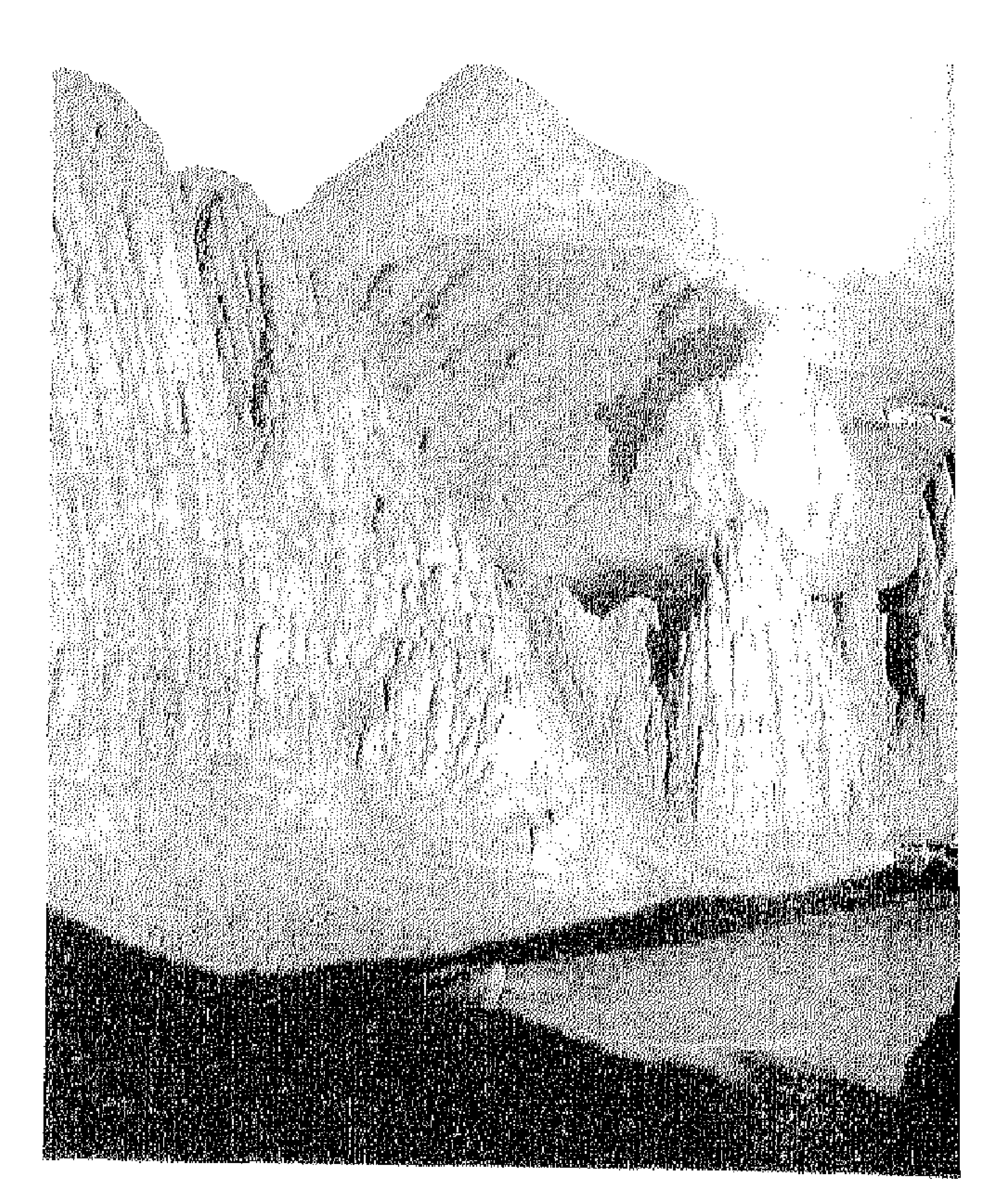
والصحراء الكبرى هذه، التي تكاد تخلو من نفس او حياة، استعصت على المستكشفين ألوفاً مؤلفة من الأعوام· وهي، نقيضاً لتصورات معظم الناس، ارض حجرية بور تذرو رمالها الريح وتتخللها مساحات شاسعة من الصخور الجرداء المرئية·

وتراوح حرارة هذه الصحراء في فصل الصيف بين ٢٠ درجة مئوية ليلاً و٥٨ نهاراً· وبما أن هناك حواجز تفصلها عن البحار، مثل جبال الأطلس التي ترتفع بينها وبين البحر الأبيض المتوسط، فنادراً ما تصل اليها الرياح الرطبة· ونتيجة لهذا، يشح المطر حتى لا يتجاوز معدل هطوله السنوي

PHOTOGRAPHS BY KAZUYOSHI NOMACHI

ليس كل ما في الصحراء الكبرى رمالا ٠ فالاعمدة المتحجرة في اهقار الجزائرية كونتها الحمم البركانية منذ مليوني سنة ٠

بيوت من طين في واحة تيميمون في الجزائر ٠






١٣٠ الى ٢٥٠ مليمترا . وفي بعض المناطق تمطر مرة واحدة كل عشر سنين.

ويقول علماء الآثار إن عملية الجفاف بدأت منذ آلاف السنين. وكانت الصحراء الكبرى قبل ذلك الوقت موطنا اخضر يرعى عليه الفيل والبرنيق. ولا تزال طريقة الحياة النشطة التي درج عليها سكانها الآدميون آنذاك ظاهرة في الرسوم الحجرية. وفي وقت ميلاد المسيح كانت تلك الصحراء قد اتخذت الشكل الذي هي عليه الآن.

وهناك قرابة مليونين من الناس، يسمون عموما "البربر"، يحتالون على العيش في الصحراء الكبرى. ويعيش معظمهم حياة غير مستقرة في قرى مكتظة ببيوت الطين، بين اشجار النخيل المثمرة في الواحات. غير ان النبات في تلك الواحات لا يعدو كثيرا كونه شجيرات شائكة مغبرة الخضرة. والينابيع هناك - وهي غالبا ما تنضب - تعطي في العادة ماء موحلا ومشبعا بالرمل.

اما قوافل الجمال الاسطورية فقد اعطت دورها، على نطاق واسع، لعربات الشحن ذات العجلات المخفوضة. والسبب بسيط، وهو اقتصادي: فطاقة الجمل على المشي تبلغ ٥٠ كيلومترا في اليوم، وتبلغ حمولته ٩٠ كيلوغراما. في حين تعادل قوة الشاحنة التي تسع ثمانية اطنان قوة عشرات الجمال، وهي تقطع مسافة ٥٠٠ كيلومتر في اليوم.

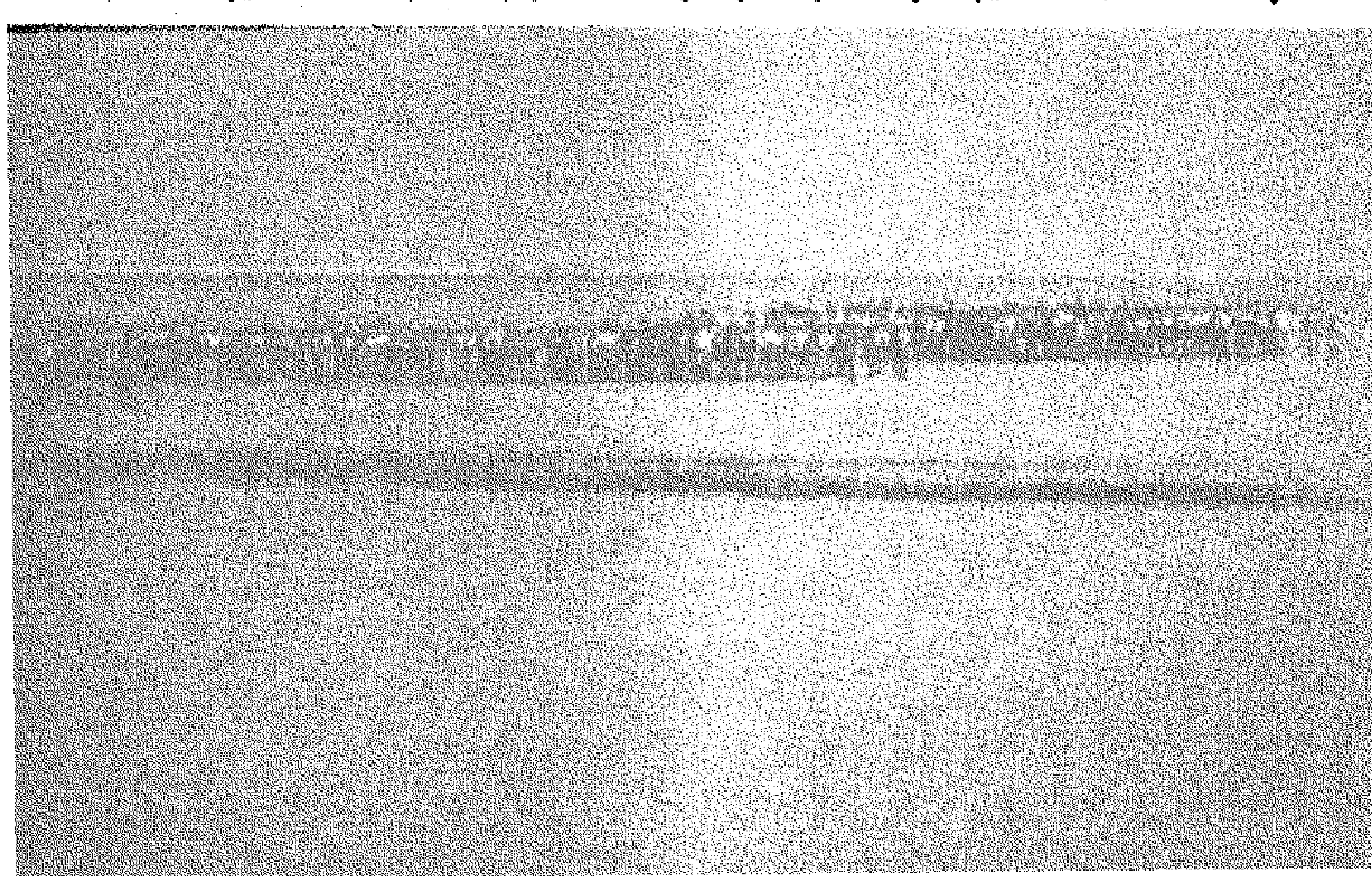
وعلى رغم هذه المبتكرات الحديثة، تبقى الصحراء الكبرى مثيرة للرعب كما كانت في القِدَم. فهي - بجبالها الحجرية وكثبانها الرملية وواحاتها التي يطول انتظارها - حقاً عالم قائم في ذاته.


ضباب رملي رقيق
يلف هذه الواحة المستقطعة
في كثرار في الجزائر ؛
الى اليسار : رسم حجري قديم
في تاسيلي ناجر (الجزائر).

▲ واحدة من قوافل الجمال القليلة الباقية تحث الخطى عبر صحراء الفزان الليبية .

▼ قافلة جمال تسير عبر الصحراء ، ويبدو لآلة التصوير، سراب ساقية صغيرة .





من فوقه (كانوا يقولون ان الشمس تموت ليلا، وان الانسان عندما يموت يذهب غربا) · وبالتالي، فقد كان له الفضل في جعل الحياة تعتمد على عوامل يمكن التنبوء بوقوعها وتحديدها هندسيا · وبمقدار ما تتمثل الحضارة في انتصار النظام على الفوضى وفي الايمان بالتجديد يمثل النيل الاطار المثالي لمولد الحضارة ونشأتها ·

كان قدماء المصريين شعبا يعتمد اعتمادا عميقا على الصور الذهنية، حتى ان كتابتهم تمثلت في مجموعة من الخبرات البصرية – الهيروغليفية المركزة على الرموز فجعلت منها حروفا (ساكنة فقط اذ لم تكن لديهم حروف لين) · ولأن كتابتهم كانت مقولبة في صور مكررة لا يتغير شكلها فقد تعذر عليهم التجريد اللفظي وبناء فلسفة في المعنى اليوناني للكلمة · ولم يستطيعوا المجازفة في معاني الكلمات ·

الاهتمام بالانسان – لكن قدماء المصريين، كما يتضح من فنهم، كانوا يهتمون اهتماما صادقا بالناحية الانسانية · فهم راحوا، منذ مستهل عهدهم تقريبا، يصنعون التماثيل الصغيرة التي تمثل اناسا عاديين في اثناء قيامهم باعمالهم، مما يدلل على ما لديهم من حساسية مرهفة لشخصية العمال · ولا ينتظر للمرء ان يتوقع مثل ذلك في الفن البابلي او الاشوري · كما ان لا اثر له ايضا في فن الاغريق حيث العمال كانوا عبيدا مسترقين لا يستحقون تدوين انشطتهم، اللهم الا كشخصيات هزلية في الفن المسرحي · كذلك يكشف الفن المصري عن حب للحيوانات وللطبيعة عموما · وقد اذهل المؤلف اليوناني هيرودوت حين زار مصر قرابة عام ٤٥٠ قبل الميلاد، بعد فترة طويلة من ايام عظمتها الرائعة، اذ وجد ان المصريين لا يفكرون في انفسهم كجنس مستقل عن الحيوانات · وروى ان اول ما كان يفعله المصريون حين يشب الحريق في احد المنازل، هو انقاذ القطط فتتناقلها الايدي من شخص الى آخر بينما تستعر النار وتندلع ·

وقد شيد الملك زوسر، على مسافة بضعة كيلومترات من ممفيس التي اصبحت عاصمة مصر فترة من الزمن بعد عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، قصرا اقام في وسطه مقبرة له · وكان ذلك هو الهرم الاول، المعروف باسم سقارة · وفي رأيي ان هذا المبنى هو واحد من الاماكن المقدسة في العالم، بل مهد الحضارة بالذات · ولا عجب، فان اهرامات مصر ومقابرها هي بطريقة بنائها، مبان دينية · ويتبين من الرسوم المنقوشة في المقابر ان المصريين كانوا يعتقدون في الخلود، وخصوصا في بعث الجسد · لكنهم رمزوا الى ذلك بطريقة مادية هي تحنيط الجسد وملء المقبرة بالاشياء التي تدعو اليها الحاجة في ما بعد الحياة الدنيا او بصور لهذه الاشياء ·

فجميع النقوش والرسوم المأتمية البارزة مليئة بمثل هذه المؤن لان المصريين كانوا يعتقدون ان الانسان

٤ – هذا النقش يظهر اخناتون وزوجته نفرتيتي واحدى ابنتيهما وهم يقدمون العبادة الى اله الشمس آمون ·

٥ – جمال نفرتيتي الخالد مجسدا في تمثال نصفي شهير في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ·

٦ – اهرام الجيزة بنيت بين عامي ٣٠٠٠ و ٢١٨٠ قبل الميلاد ·

حين يموت ينقله شخص في قارب ذي مجاذيف عبر الماء الى الغرب حيث يستقبله اله يدعى اوزيريس٠ وهذه صورة نموذجية بدئية تقبلها الاغريق ولاحقت خيال البشرية على مدى التاريخ٠ وهناك نصوص كثيرة تدل على الاعتقاد بان الاعمال الطيبة يثاب عليها في الحياة الآخرة٠

وهذه الحضارة المصرية الأولى التي سميت المملكة القديمة، دامت اكثر من ٧٠٠ سنة٠ وليس هنالك بلد آخر عرف الاستقرار مثل هذه المدة الطويلة٠ بما فيه الامبراطورية الرومانية٠

العصر الذهبي – والتماثيل التي ترجع الى ذلك العهد تصور رجالا ونساء يعتقدون اعتقادا رائعا في قدرهم٠ ثم بدأ الانحلال قرابة عام ٢٣٠٠ق٠م٠ وسادت قوى الدمار زهاء ثلاثة ارباع قرن٠ وبعدها عاد النور في الفترة المعروفة بالمملكة الوسطى، وهي الفترة الثانية من عظمة مصر في التنمية الانتاجية٠ وقرابة ١٦٨٠ق٠م٠ غزا الهكسوس مصر انطلاقا من سوريا، وكانوا مزودين بعربات تجرها الخيول، كانت هي دبابات العالم القديم، ولم تكن مصر كذلك٠ وبعد نحو ١٠٠ عام نجحت محاولات الفراعنة الذين تمرسوا في فنون الحرب لطردهم٠

ومرة اخرى جمع شتات الثقافة المصرية وبدأ ما يعتبر عموما العهد الذهبي لمصر، المملكة الجديدة٠ ووليت مقاليد الملك امرأة تسمى حتشبسوت وتشير كل الدلائل الى انها كانت حاكمة قديرة٠ فهي حافظت على السلام واصلحت المدن والمعابد وكتبت اشعارا مشبوبة لمحبوبها العظيم – الآله آمون – واقامت في التلال القاحلة على مقربة من طيبة معبد دير الباري الذي يعد اعظم تراث خلفته هذه الملكة للبشرية من بعدها٠

لكن اغرب حدث في تاريخ مصر وقع في عهد امنحتب الرابع عام ١٣٧٨ق٠م٠ كان امنحتب مصمما على توجيه مصر الى عبادة اله واحد٠ فشيد عاصمة جديدة سماها اخناتون وغير اسمه ليصبح اخناتون٠ وكرس حياته وحياة ملكته الحسناء الذكية نفرتيتي لعبادة الهه، الشمس٠ وكان اخناتون شاعرا ايضا، فقد جاءتنا اناشيده للشمس في احد النقوش المدونة، وهي تشبه بصورة تثير الدهشة نشيد الشمس لاحد اقطاب المسيحية في القرون الوسطى: القديس فرنسيس الاسيزي:

"تتألق الارض
عندما تشرقين في الأفق
وتزدهر الاشجار جميعا والزروع
وترفرف الطير فوق الغدران
وترفع اجنحتها
ابتهالا واجلالا لك"٠

كما ان بعض السطور في نشيد اخناتون هي نفس ما جاء في المزمور ١٠٤ من الكتاب المقدس بالحرف تقريبا:

"ما اعظم اعمالك يا رب
كلها بحكمة صنعت
ملآنة الارض من خليقتك"٠

لقد كان عماد سيادة مصر الطويلة في احترامها للنظام الطبيعي للامور: العودة السنوية لمياه النيل واهبة الحياة٠ وكانت حضارة المملكة القديمة قائمة على تجديد الطبيعة والمحافظة عليها وليس على تضخم

أسرار السعادة الزوجيّة

ان البيت الذي يسوده الحب
والتضامن هو اثمن الثروات في عصرنا هذا
الذي يسوده القلق وعدم الاستقرار .

لا تزال عالقة في ذهني ذكرى ذلك الشاب الذي زارني ليكلفني الاشراف على زوجته حين تلد طفلهما الاول. وكان مضطربا وهو يفتح محفظته في عيادتي، فتساقطت منها عرضا تذكرتان كرتونيتان ووقعتا فوق مكتبي، فرأيت لفوري انهما تذكرتا ارتهان. وغرق الشاب في الارتباك واوضح انه لم يكن يعمل الا نصف الوقت وقد رهن ساعته كي يدفع لي مقدم اتعابي، فقلت له لتوي ان يؤجل دفع اتعابي جميعها، مقدمها ومؤخرها، ريثما تتحسن ظروفه المالية. ثم تملكني حب الاستطلاع، فسألته: "وماذا عن تذكرة الارتهان الاخرى هذه؟".

وتضاعف حرج الشاب، ثم قال متلعثما ان اليوم التالي هو عيد ميلاد زوجته وقد رهن اوسمته التي استحقها في الحرب كي يشتري لها هدية — مجرد بروش (دبوس زيني) صغير من الفضة.

ان هذا الاهتمام الرقيق بمراعاة مشاعر الاخرين، وهذا النكران للذات هما العماد الذي يقوم عليه بيت الاسرة. فليس مكان في الاسرة لامرأة او رجل اناني لا يهتم الا براحته الشخصية، واطلاق العنان لاهوائه وشهواته. وليس الزواج رحلة مفعمة بالمتعة الخالصة واللامبالاة. لكن الازواج والزوجات الذين لا يتنصلون من مسؤولياتهم والذين يجبهون ما في الواقع من صلابة ومرارة وعناء ويتغلبون عليها، فانهم يحصدون من اخلاصهم وتفانيهم ثمارا غنية رائعة من دفء الحياة العائلية الحميمة ومن بهجة البيت المتضامن الذي يتشارك افراده في اهتماماتهم ومصالحهم وتعاطفهم وميولهم ومسراتهم. واذا كان حديثي عن هذا الموضوع يكشف

كان ا. ج. كرونين يعمل طبيبا في جنوب ويلز في الجزر البريطانية ثم في حي بيسووتر في مدينة لندن نفسها قبل ان يتحول الى احتراف الكتابة في السن الثالثة والثلاثين. وقد الف الكثير من الكتب التي احتلت صدر قائمة الرواج، ومن بينها: "القلعة"، و"مفاتيح المملكة"، و"وراء عالمنا هذا".

عن مشاعري العميقة ازاءه، فان سبب ذلك هو ما تمتعت به من سعادة غمرني بها زواجي على مدى فترة تزيد على الخمسين عاما.

فضيلة الولاء — وقد سئلت مرارا عدة ان اذكر الزم الفضائل الضرورية لتحقيق هذه الوحدة التامة. والرد على هذا السؤال هو، بلا ادنى شك: الولاء. فالخيانة الزوجية هي اسوأ جريمة في حق الزواج، وهي الصخرة التي تتحطم عليها سعادة الاسرة في اغلب الاحيان. غير ان هناك مظاهر اخرى لعدم الولاء قد تكون من الناحية المادية اقل بروزا للعيان، لكنها لا تقل في خطورتها عن الخيانة الصريحة.

وقد حدث في اثناء ممارستي لمهنتي كطبيب ان عرفت اسرة تتمتع بالرخاء المادي، ولكن يسود حياتها تيار خفي من عدم الانسجام. وكانت الزوجة امرأة لا يرقى الى فضيلتها الشك. واذا حدث ان تعرضت لاتفه اشارة توحي بانحرافها قيد انملة عن الولاء لزوجها لما قابلت ذلك الا بأعمق الازدراء. ولكنها على رغم هذا كانت تقضي ساعات ايامها جميعا وهي فريسة رغبة لا شعورية تدفعها الى الحط من قدر زوجها في عيون اطفالهما، ترفع حاجبيها في دهشة ساخرة، او تتبادل نظرة مستخفة مع ابنها او ابنتها كلما ابدى زوجها ملاحظة مهما كانت بسيطة، ولا تعدم وسيلة تظهر بها انها تنتقد افكاره وملابسه، بل وحتى مظهره.

وان هذا النوع من انعدام الولاء التام يتجلى في المثل لدى الزوجات اللائي يتناقشن في امر ازواجهن وراء ظهورهم، كذلك لدى الازواج الذين يشكون الى نساء اخريات سوء الفهم الفادح الذين يعانونه مع زوجاتهم، ولدى الزوجات والازواج الذين يهرولون بحثا عن التعاطف لدى صديق او قريب، حاملين اليه او اليها حكايات مؤسفة عما يعانونه من هذا المظهر او ذاك من مظاهر التهور والقسوة... وكل ما تحويه قائمة النقائص البشرية التي يراها كل منهم في الآخر، ولكنه لا يرى منها شيئا على الاطلاق في نفسه هو.

ومن المستحيل لأي مشاركة ان تبقى في مثل هذه الظروف. فعلى امثال هؤلاء الناس ان يدفنوا اسباب تشاحنهم وشجارهم في فناء بيتهم الخلفي، وان يجتهد كل منهم قدر استطاعته في مقابلة هفوات شريكه بالابتسام، وان يهزأ بتلك الضغائن الصغيرة التافهة، ويغسل منها نفسه لئلا تتضخم وتشوه نظرته الى الامور.

البيضة الفاسدة — ولعل الفهم العملي السليم اجدى السبل وخير الوسائل في المحافظة على توازن العلاقات في حضن الاسرة.

وانني اذكر في هذا الصدد احدى الامسيات خلال الاشهر الاولى من زواجنا، حين عدت الى بيتي في ذلك المسكن الرث الذي كنا نقطنه في قرية تريجيني، تلك القرية الخشنة في ويلز حيث كنت احاول ارساء مستقبلي كطبيب. كنت كئيبا، ينتابني القلق على مريض ساءت حاله، ويثقلني التعب بعد يوم كامل قضيته متجولا تحت المطر لزيارة المرضى، وينهش الجوع احشائي.

كنت استطيع ان التهم ثورا كاملا، لكن زوجتي الشابة جاءت تخطر برشاقة لتضع امامي بدلا من ذلك بيضة واحدة صغيرة مسلوقة. وتمالكت اعصابي بجهد جهيد وكسرت قشرة

البيضة، فاذا بها فاسدة. وانهار عندئذ كل شيء، فرحت اوجه اليها كل ما اعرفه من النعوت واسرفت في سوء التصرف. وكانت هي بدورها قد قضت يومها تكافح متاعبها، فالقمتني من الالفاظ القاسية النابية مقدار ما اخذت. وتطور الامر بيننا من سيء الى اسوأ، حتى توقفنا فجأة ورحنا ننظر احدنا الى الآخر بعيون محتقنة وفجأة تجلت لنا سخافة الموقف بأكمله، وانفجرنا في نوبة من الضحك الشديد وقد احتضن كل منا الآخر.

واذ عاودنا الانسجام، ركبنا القطار مسافة ١٥ كيلومترا عبر الوادي الى اقرب مدينة، حيث تناولنا عشاء مشبعا من اللحم المفروم المتبل.

وبذلك "سوّي" نزاع كان ينذر بمأساة انفصال، وانتهى الى صلح بهيج، وكل ذلك لان زوجين شابين قد استطاعا رؤية الجانب المضحك في بيضة فاسدة. ولا شك في ان التسامح النابع من الخلق السليم له شأنه الكبير في دفع عجلة الحياة كي تمضي بالاسرة هنيئة ناعمة. وكلما تقدم الزوجان في السن استطاعا تحقيق العجائب بممارسة ذلك النوع من الديبلوماسية اللبقة الذي يسمى "فن المجاملة". فاذا بدأ زوجك يفقد شعره ويلهث قليلا عند صعود الدرج، فتحاشي ان تعلقي على هذه الاعراض الناجمة عن تقدم العمر. واذا ظهرت على زوجتك اعراض ذلك الترهل الذي يخيف المرأة ويؤذنها بانتصاف العمر، فأكد لها ان امتلاء جسمها يجعلها اكثر جاذبية مما كانت حين وقعت في غرامها للمرة الاولى.

ولا ريب في ان الحنان والوداد عاملان لهما ابعد الاثر في تعزيز وحدة الاسرة واستقرارها. غير ان الابعد اثرا من هذا كله هي الحاجة الى وجود مظهر من مظاهر التدين والورع.

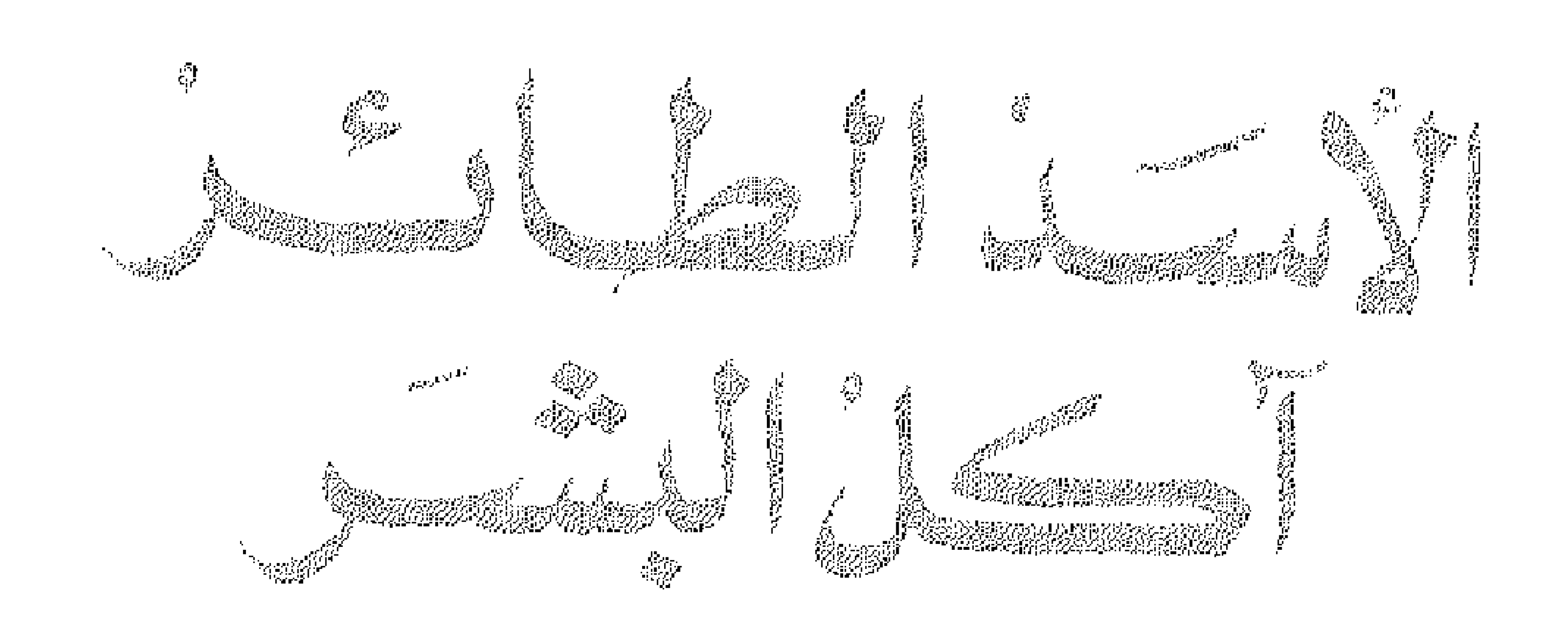
وما زال الانسان، منذ بداية الزمن، تتملكه رغبة اساسية في اتخاذ رفيق (او رفيقة) له في حياته، وانجاب اطفال يمدهم بالغذاء والمأوى ويحميهم مما يتهددهم به العالم الخارجي من اخطار. وقد جاء الدين فبارك هذا الحافز البدائي واسبغ عليه الكرامة.

ومنذ ذلك الحين وعلى مدى قرون، احتلت الاسرة مكان الصدارة، لا باعتبارها مؤسسة تكفل حماية الاخلاق فحسب وانما ايضا بصفتها عاملا حاسما في تطور الحضارة الانسانية. فحيثما تزدهر الاسرة قوية متحدة، يقوم المجتمع القوي السليم. وفي عصرنا هذا الذي يسوده الخوف والقلق وعدم الاستقرار، يجد الناس انفسهم فيه وقد اطاحتهم القوى العدائية وتملكهم الشعور بالعزلة السجينة في وحدة قاتمة.

لقد اضحت الاسرة هي الملاذ والامل الاكبر في حفظ الذات وفي صيانة ما يعتز به الناس من كرامة انسانية وحشمة الحياة.

■ ا. ج. كرونين

كان اليوم عيد ميلاد زوجتي، وكنت اعتزم الخروج لاشتري هدية لها. وادركت هي مقصدي، فقالت لي حين تأهبت للخروج: "ارجوك الا تشتري لي اي شيء من تلك الاشياء العملية، فالذي احتاج اليه فعلا هو الاشياء غير العملية".



كانت الصدمة عنيفة صرعت الصياد وطرحته أرضاً فتدحرجت بندقيته بعيداً، وتصلب جسده في انتظار الدفعة القاضية من أنياب الأسد .

كان القمر هلالي الشكل ينسل الى الافق في غمرة الظلام الدامس عندما شارف الاسد حافة القرية الافريقية النائمة، حيث بلغت انفه رائحة البشر ممتزجة بشميم الدخان المتصاعد من نار المخيم الخامدة والجعة البدائية المنزلية الصنع.

انبطح الاسد على الارض قابعا وقد جمع كتفيه، وراح يزحف عبر الممر المكشوف بين سقيفتين، ثم جمد كالحجر الصلب عندما رأى ثلاثة اجساد مكومة قرب احد الجدران الجانبية. وبعد لحظات عاد ينساب عبر الظلال.

ومر الاسد باول رجلين نائمين بعد ان تشمم رأسيهما في سكون، ثم وقف فوق رأس الثالث وانفتح فكاه، ثم انغرست انيابه الطويلة البيضاء في صدغي ضحيته، واخترقت العظام الرقيقة عبر محجري العينين، وغرزت في المخ كالحراب. واجتاحت جسد الرجل رعشة واحدة ثم همد.

وسحب الاسد الجثة بهدوء بعيدا عن النائمين الآخرين، ثم قبض عليها من الكتف المرتخية، وراح يجرها بعيدا بين الاشجار.

وحمل القط الضخم فريسته بسهولة مسافة خمسة كيلومترات، وغاب بها في اعماق احد الممرات التي تحوكها الاغصان المتشابكة، حيث بدأ ينهشها وهو يمضغ بجانب فكه حتى اصبح فمه وصدره وقد غطتهما الدماء الداكنة. وحين بزغ الفجر ينير صفحة السماء، لم يبق من جسد الضحية الا اشلاء قليلة. وكان الاسد، آكل رجال تشابونكوا، قد احس بالعطش بعد التهام ضحيته التاسعة، فانطلق من الدغل ليروي ظمأه من النهر القريب.

مطاردة الاسد - كنت استعد - بعد انتهاء موسم الصيد - كي انطلق في اجازة، عندما اتصل بي باللاسلكي مفوض المقاطعة الشرقية في زامبيا، وقال "يؤسفني ان افسد عليك اجازتك، لكن اسد تشابونكوا اللعين قد افترس رجلا آخر من قبيلة "سينجا" في الليلة الماضية، فاهتاج مجلس القبيلة مطالبا باجراء حاسم. ولعلك تستطيع ان تستغني عن يوم او نحو ذلك لتذهب الى هناك وتتولى هذا الامر".

وكان المفوض يعرف ان الاسود آكلة البشر لا تصاد عادة في يوم او نحو ذلك. وكان قد سبق لي صيد السنانير آكلة البشر مرتين، واوشكت في كلا المرتين ان اصبح مجرد رقم في احصاءات الضحايا. لكنك كيف تستطيع ان ترفض طلبا لمفوض المنطقة اذا ما شئت ان تحتفظ بالتصريح الذي تحمله كصياد محترف.

وعلى ذلك لم تكد تمضي ساعة واحدة حتى كان حامل بندقيتي، ويدعى سايلانست (الصامت) يجلس الى جواري في السيارة اللاندروفر، ونحن نخترق الغبار نحو قرية كامبيسي حيث تقيم قبيلة "سينجا".

رحب بنا رئيس القبيلة، وبسط امامنا البطانية الملوثة بالدماء التي كان الرجل الضحية ينام ملتفا بها. وتعقب سايلانت آثار الاسد، وحدد المكان الذي قبع فيه يراقب القرية، وكيف تسلل نحو النائمين، واين بدأ يجر الجثة. وعمرت بندقيتي ذات العيار ٤٧٠ والماسورتين بالخراطيش الطويلة ذات الرؤوس اللينة، وبدأت مسيرتي في اثر الاسد، يصحبني سايلانت حاملا حربته الطويلة.

وقرب العصر وجدنا البقعة التي توقف عندها الاسد ليتناول وجبته البشرية، وكان احد الضباع قد زارها ايضا، فلم نسترد من بقايا الرجل المسكين سوى قطعة من عظمة الفك فيها آثار الانياب وبعض شظايا العظام التي لا يمكن تمييزها. فتولى سايلانت جمع البقايا الحقيرة في لفافة من لحاء الشجر، وبدأنا مسيرة العودة، اذ لم يبق سوى ساعة واحدة قبل هبوط الظلام، علما بان امهر صيادي الارض وامضاهم سلاحا لا يجدي فتيلا امام هجمة اسد في حلكة الليل.

ولم يخطر في بالي ان آكل الرجال سيكرر فعلته في تلك الليلة بعد ان امتلأ بوجبة دسمة، وانما قررت على رغم ذلك، ان انام خلف حاجز من فروع الاشجار الشائكة محتفظا ببندقيتي الى جانبي على اهبة الاستعداد. ولم يكن من عادتي ان ابالغ في الاحتياط، ولكنك بعد ان تكون فرغت لتوك من وضع كل ما تبقى من جثة رجل في علبة قهوة صغيرة لتدفنه، فان هذا لا بد وان يدفعك الى التفكير. كما ان الاسود آكلة البشر تتميز باسلوبها الرهيب في الظهور حيث لا يتوقعها احد.

ولست ادري ما الذي ايقظني لعله كان صوتا او لعلها الحاسة السادسة التي تنمو لدى اولئك الذين يتجولون في الادغال الافريقية. وبعد ان استيقظت ظللت دقائق طويلة ارهف السمع، ثم نسبت ذلك في النهاية الى مجرد توتر في اعصابي. ولم يلبث سكون الليل ان مزقته سلسلة من الصرخات الرهيبة، فامسكت ببندقيتي ومصباحي الكهربائي، وازحت سياج الاشواك، واندفعت حافيا في اتجاه الصوت. ومضيت اطرق ابواب الاكواخ في القرية حتى بلغت كوخا وجدت داخله رجلا يهذي في عصبية شديدة وقد اتسعت حدقتاه ذعرا ورعبا.

اخذها من ساقها – كان الرجل قد صحا من نومه حين تحركت زوجته كي تقضي حاجة، فحذرها من الخروج، ولكنها اصرت. وما كادت تخطو خارج الكوخ حتى امسك بها الاسد من ساقها. واستطعت ان اتبين من الاخاديد التي حفرتها مخالبه في الارض ان الامر لم يمر من دون مقاومة شديدة من المرأة، وان الاسد تمكن منها وجرها بعد ذلك بعيدا.

كان ذلك قبل شروق الشمس بساعتين، ومن ثم كان هناك احتمال ان نتمكن من اقتفاء اثر الاسد لنفاجئه وهو يلتهم ضحيته، او نقطع عليه طريقه الى النهر ليشرب قبل ان ينسحب الى حيث يقضي ساعات الحر راقدا.

وانطلقنا – سايلانت وانا – في اثر الاسد في الساعة ٥،٣٠ بينما كان الفجر الكاذب يحيل اشكال الاشجار الى امساخ وحشية مرعبة. وقادنا الاثر خلال دغل متناقض الكثافة مسافة بضعة كيلومترات، ثم انعطف وسط النباتات الكثيفة التي تنمو على حافة نهر مونيا مادزي الضحل.

وكانت حشائش الكومبريتوم الخضراء الشمعية اللون تعلو الى ارتفاع بيت، مما جعل الظروف كلها في مصلحة الاسد.

وكان سايلانت يتحرك امامي

تخلى بيتر كابستيك عن عمله في وول ستريت في نيويورك في عام ١٩٦٤ كي يشتغل صيادا ودليلا محترفا في الادغال وقد عمل كصياد محترف مرخص من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٥ في زامبيا وبوتسوانا وروديسيا.

مباشرة، وقد احنى قامته وركز عينيه على الاثر الذي نقتفيه، ومد حربته امام جسمه كالرمح. وقد جرت العادة بين الصياد ومساعده قصاص الاثر — حامل البندقية ان يتولى احدهما متابعة الاثر بينما يتولى الثاني عملية التغطية لمواجهة احتمال الوقوع في مكمن. ففتحت قفل الامان في بندقيتي، واتخذت اهبتي للتصويب السريع في الظلال الداكنة بان رفعت اداة التصويب الليلي، وهي خرزة كبيرة من عاج الخنزير البري. ومضينا نتقدم ببطء خلال النباتات المتكاثفة، ونحن نرهف السمع لنتبين صوت تكسر العظام او الزمجرة الخافتة التي تصدر عن الاسد وهو يأكل. وكتمت الارض الطرية الرطبة اصوات اقدامنا ونحن نتقدم متسللين، ولكنها لم تستطع ان تكتم دقات قلبي العنيفة المتسارعة.

واخذت استعيد في ذهني هجمات الاسود التيواجهتها منقبل : الزئير الذي يبعث الشلل، والانتفاضة السريعة لذؤابة الذيل، ثم الاندفاع المنخفض بسرعة لا تصدق. فالمشهور عن الاسد المهاجم انه يقطع مئة متر في ما لا يزيد كثيرا على ثلاث ثوان. واذا انقض علينا في هذا المكان فسيكون ذلك من مسافة قريبة لا تتيح الفرصة الا لطلقة واحدة، اذا تيسر اطلاقها.

وفجأة، جمد سايلانت امامي كتمثال من الابنوس، وهو باق على انحنائه وقد رفع رأسه يراقب شيئا على يساره، ثم بدأ يتراجع نحوي ببطء شديد وهو يتقهقر سنتيمترين اثنين في كل حركة. وافهمني بالاشارات ان هناك يدا بشرية ملقاة الى جانب الطريق، وانه يشتم رائحة الاسد. وحمل الي النسيم الخفيف الرائحة نفسها التي لا يمكن ان يخطئها احد، تلك التي يخلفها القط المنزلي في يوم رطب.

الاسد الطائر — وبدأت اسير الى الامام بخطى بطيئة وقدمين منفرجتين وقد غلبني التوتر وانا احمل بندقيتي مخفوضة عند اسفل خصري مباشرة. وفي تلك اللحظة عينها سمعت ضوضاء قريبة جدا من جانبي الايمن، فدرتلفوري على عقبي واذا بماسورتي بندقيتي تصطدمان بالاسد الذي كان طائرا في الهواء، وقد تجاوز رأسه الذي يبدو كهالة من الاسنان الحادة، فوهة البندقية، وقرب الى درجة تجعل اصابته امرا مستحيلا. وبدا جسم الوحش الذي يزن ٢٠٠ كيلوغرام وكأنه معلق في الهواء، ولم يلبث ان صدمني، فأنطلقت الرصاصة اليمنى من بندقيتي بطريقة ما فاصابته تحت الضلوع واخترقت بطنة بزاوية ضحلة.

ووجدتني منطرحا ارضا اتقلب في التراب، بينما بندقيتي تتدحرج بعيدا فتصلب جسمي وانا اتوقع طعنة الانياب الطويلة. لكن صيحة عالية اخترقت ضباب ذهولي. لقد كانت صيحة سايلانت، سايلانت الطيب المخلص يحاول بها اجتذاب الاسد بعيدا عني، ووجدت القط الضخم يقف فوق رأسي وقد بدت عليه الحيرة، ثم وثب بعيدا ليهاجم حامل البندقية الذي جرى نحوه مصوبا حربته.

وفي وثبة واحدة، ازاح القط الهائل حربة سايلانت جانبا وطرحه ارضا، حيث سمره بثقل جسده وقوته الخرافية فسارعت انفض عني خدر الصدمة وقفزت واقفا ازيح الاغصان كالمجنون بحثا عن البندقية، فرأيت

شيئا يلمع فوق الارض الداكنة - كانت حربة سايلانت - وقد انكسر قائمها عند منتصفه فخطفتها لفوري·

وامسكت الحربة بيدي الاثنتين وقد خفضت نصلها قليلا، ثم دفعتها بكل ما في جسدي من قوة وبكل ما انتابني من استماتة في عنق الاسد حيث شعرت بالنصل الحاد يقطع طريقه في مضاء مخترقا اللحم والاعصاب، حتى احسست به وسمعته يصطدم بالعظم· هناك زأر القط الهائل زئيرا عاليا وافلت سايلانت، ولكني انتزعت الحربة الدامية وطعنته بها مرة اخرى، فبلغ نصلها الحبل الشوكي ومزقه، فانهار الاسد لتوه مرة واحدة، ولم تصدر منه بعد ذلك ايما حركة، في ما عدا التقلصات العضلية التي راحت تتماوج في فخذيه· الى ان صرع الموت آكل رجال تشابونكوا·

انتزعت حزامي وسارعت اربطه حول ذراع سايلانت الممزقة لاوقف النزف· وبدا ان سايلانت لم يصب الا في ذراعه، اضافة الى بعض الجروح التي احدثتها مخالب الاسد في صدره، فاخرجت من جيبي زجاجة صغيرة مليئة بالمطهر، ودهنت جروحه، ثم سقيت الصياد الشجاع جرعة كبيرة من الماء ورفعته على كتفي وانطلقت عائدا الى القرية·

ولم تحل اصابات سايلانت دون الابتهاج الذي عم قبيلة "سينجا" وذهبت جماعة منها لمشاهدة الاسد والعودة بجثة آخر ضحاياه التي كان قد التهم نصفها· اما انا فقد وضعت سايلانت في السيارة اللاندروفر وانطلقت به الى المستشفى الذي يبعد ١٢٠ كيلومترا، حيث تولى الطبيب امر العناية بجروحه·

وحين عدت الى مخيمي في تلك الليلة، كان اول ما فعلته هو انني اخذت حماما طويلا· وكان جنبي قد بدأ يتلون بالاسود والازرق حيث صدمني الاسد· وادركت في تلك اللحظة فقط الى اي مدى كنت قريبا من ان اصبح الضحية الحادية عشرة، على انني في المرة المقبلة، عندما يطلب مفوض المنطقة خدمة مني، سيجدني وقد اعترت متاعب شديدة جهازي اللاسلكي·

■ بيتر هانا واي كابستيك



لا تساعدنا خبرتنا في تجنب ارتكاب الحماقات، لكنها تمنعنا فقط من الاستمتاع بها·

صلاة المائدة

كان احد المبشرين يجتاز منطقة بيداء فصادف اسداً هائجاً وجهاً لوجه· فزأره الأسد وقال له ان يستعد للموت فركع المبشر بحرارة لم يسبق لها نظير· ثم نظر خلسة من خلال أصابعه فرأى الأسد راكعا ورأسه منحن بين كفيه·

فالتفت المبشر نحو السماء شاكرا واعرب عن دهشته وحمده "ان تلين كلماتي قلب وحش ضار"· واذ ذاك ارخى الأسد مقدميه وزأره قائلا: "اخرس يا احمق! انني اتلو صلاة المائدة"·

صور من الحياة



اول نزهة مجانية

خلال الاسبوع الاول من عمله كسائق اوتوبيس، اخطأ شقيق زوجتي اتجاهه وهو في الطريق السريع من الضاحية الى محطة الاوتوبيس المركزية وسط المدينة. وارتاع اذ لاحظ انه يجتاز المنتزه العمومي باشجاره المتبرعمة واحواضه المفروشة بنباتات الربيع المزهرة، فقرر ان يتصرف وكأنه لم يضل الطريق. وحين وصل اخيرا الى محطة الاوتوبيس تنفس الصعداء اذ وجد انه لم يتأخر سوى بضع دقائق عن موعده.

وكان اول راكب خرج من الاوتوبيس سيدة عجوز توقفت لتقول: "اود ان اشكرك ايها الفتى لهذه الجولة المجانية في المنتزه خلال الربيع. فانني اركب هذا الاوتوبيس منذ سنين ولم انعم يوما بمثل هذه الرحلة!".

ك.ج.

"الى سندريلا لندن"

كنت متأخرة عن موعد عملي ذات صباح، واستطعت بالكاد ان اقفز الى القطار وهو يتحرك خارجا من المحطة، لكن قفزتي انتهت - لسوء الحظ - بان انخلعت من قدمي فردة حذاء وتدحرجت على خط القطار.

وحين وصلت الى لندن ودخلت مكتب ناظر المحطة وانا احجل على قدم واحدة، وجدت لديه رسالة تقول ان فردة حذائي الضائعة ستصل بالقطار التالي. وهي وصلت بالفعل معنونة الى "سندريلا، لندن".

ب.هـ.

المزيد من "السرعة"

في حديث الى مجموعة من الطلبة، سئل اليكس هالي الذي قضى ١٢ عاما يبحث ويكتب "الجذور"، ماذا كان يفعل لو علم ان كتابه سيحظى بمثل هذا النجاح الهائل، فرد: "لكنت طبعته على الآلة الكاتبة بمزيد من السرعة".

خواتم ما قبل الخطوبة

كان زوجي يعمل مدرسا فراح يتناقش مرة مع زملائه حول ولع المراهقين بلبس الخواتم في فترة ما قبل الخطوبة. وسئل احد المدرسين ما اذا كان يسمح لابنته بان تقبل مثل هذا الخاتم من رفيقها، فصاح قائلا: "ابدا على الاطلاق! فبعض الفتيان يسيئون فهم الخاتم ويحسبون انه اجازة للتعلم..."

ج.ف.

هنا الشرطة...

حدث ذات يوم في النادي البحري الذي ننتمي اليه ان تولى مدربنا اختبار مكبر الصوت الجديد، فاداره في اتجاه بيت النادي صارخا: "هنا الشرطة اننا نعلم انك هناك فاخرج رافعا يديك فوق رأسك. ولدهشتنا خرج رجلان مسنان من رجال تنظيف البناية رافعين مكانسهما فوق رأسيهما.

س.ر.

صفعة من بسكويت

كنت اتوقع وصول الضيوف في اي لحظة، عندما رأيت ابني الذي يبلغ ثلاثة اعوام والذي كان تام النظافة منذ دقائق، وهو يلعب في اوحال الحديقة، فسحبته مسرعة الى داخل البيت كي اغير ملابسه مرة اخرى. ولا بد انه كان يتوقع صفعة تأديب لانه رفع رأسه وسألني باستسلام فلسفي: "هل يمكنني ان آخذ قطعة من البسكويت بعد ان اتوقف عن البكاء؟"

ن.ج.

كلية "العجائب"

ان ابني وهو طالب جامعي، من غلاة المتحمسين لموسيقى الروك، لذلك دهشت حينما وجدته، وانا عائد من عملي في اول يوم من اجازته الجامعية، يستمع الى سيمفونية لبيتهوفن. فقلت لنفسي انها لجامعة ممتازة راقية اذ هي استطاعت ان تحدث هذا التغيير لدى ابني في بضعة اسابيع. وفي اليوم التالي، استقبلت ايضا بتحية من بيتهوفن، كانت هذه المرة "كونشرتو" على الكمان، فلم استطع ان امسك عن التعليق، فقلت: "الله، يا ابني، لا بد ان الكلية قد فعلت العجب في تذوقك للموسيقى".

فرد في كآبة: "كلا يا ابي، لم يكن لدي مجال للاختيار، فقد اخذت كل التسجيلات التي تروقني الى الكلية".

ر.ا.ج.

لعبة علم النفس

ذهبت مع ثلاثة من زملائي في قسم الفلسفة لنلعب الغولف، فوجدنا عند الكومة الاولى اربعة من اختصاصي علم النفس وهم على وشك ان يبدأوا اللعب.

فقال احد زملائي مازحا: "ايها الرفاق، لا بد انكم في وقت عصيب حقا، تحاولون لعب الغولف بينما انتم تحطمون نفسية بعضكم البعض".

فرد واحد منهم: "نحن على الاقل لا نجادل في ما اذا كانت الكرة موجودة حقا او غير موجودة".

"لا... لا... عسكري"

قسم الشرطة في الضاحية الصغيرة التي اعمل فيها قبض على لص وهو يقتحم مستودعا ذات ليلة. واقر اللص بان هناك شريكا له ينتظره في سيارة، وراح رجال الشرطة يبحثون عن هذه السيارة الى ان وجدوها لكنهم لم يجدوا الشريك. وعاد الشرطيون الى القسم تاركين ضابطا يقود السيارة من اجل حجزها.

وبعد ربع ساعة حضر الضابط مبتسما ومعه شريك اللص مكبلا بالحديد، وروى القصة: "عندما اوقفت السيارة عند نقطة تقاطع قفز المتهم من الشجرة التي اختبأ فيها وفتح بقوة باب السيارة ووثب الى جواري من دون ان يلاحظ من انا، وصاح قائلا: "هيا بنا نبتعد من هنا". الا انه لم يلبث ان استدرك ونظر الي قائلا في انين: "لا، لا، عسكري"، وحاول القفز خارج السيارة فامسكت به ووضعت الحديد في يديه".

ف.ت.

الفطر "المعتق"

يتلقى المتجر الكبير الذي اشترى منه حاجياتي كمية من الفطر الطازج كل اسبوع. وهذا الفطر سرعان ما يفقد لونه الابيض ويسود عند حوافه، حتى وان بقي محفوظا داخل غلافه في رطوبة باردة. ثم يضطر البائع في طبيعة الحال الى تخفيض ثمنه الى النصف.

وذات صباح لاحظت ان السعر الاصلي للفطر ظل دون تغيير، على الرغم من انه كان في بداية يومه الرابع في المتجر. فقد كتب البائع الماكر على بطاقة الثمن، تحت كلمة فطر "معتق" ووضع خطا تحتها. وعندما عدت الى المحل آخر النهار وجدت ان كمية الفطر قد نفذت بكاملها.

ا.م.هـ.

أجرأ إمرأة في العالم

كيتي اونيل بهلوانية
هوليوود الجسورة الاولى
تتدفق كالموج
الهائج وتلتطم
بالتحديات وتتجاوزها
تحديا تلو الآخر،
على رغم العائق
الذي ينتابها
منذ نعومة اظافرها
والذي لو وجد لدى
كثيرين من الناس
لابقاهم على هامش الحياة .

هناك على سطح بناية من ستة طوابق اشتبكت امرأة في صراع ضار مع رجل كان يبدو مصمما على قتلها. اخذ يدفعها بعنف شديد وهي تتراجع القهقرى من شدة الضغط الى ان باتت قاب قوسين او ادنى من الحافة الخطرة، وما لبثت ان فقدت موطىء قدميها فطرحت نفسها جانبا، وفي اوج يأسها استدارت بحركة لولبية ووقعت. وراحت تنشب اظافرها بالنتوءات. ثم امسكت بافريز السطح بكلتا يديها في تشبث مستميت لتفادي الهبوط القاتل.

كانت كيتي أونيل تؤدي دورا تمثيليا روتينيا مثيرا ضمن المسلسل التلفزيوني "باريتا". وكثيرا ما كانت تقوم بدور البديل لممثلات اخريات فاتاح لها ذلك ان تمثل مشاهد تثير الهلع في القلوب في كثير من الافلام التلفزيونية والسينمائية. وخلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ لعبت كيتي دورا مثيرا في احد برامج مؤسسة الاذاعة القومية (ان.بي.سي.) الذي يتميز بالاثارة الخارقة وقد سجلت رقمين قياسيين للنساء: الاول في تمثيل اطول سقطة من شاهق ومقدارها اربعة وثلاثون مترا، والثاني في تمثيل اعلى سقطة من نوعها على الاطلاق فوق النار.

كما ان كيتي هي المرأة الوحيدة التي تؤدي دور "عربة المدفع المتدحرجة"، وهو دور بالغ الاثارة والخطورة تستخدم فيه اداة تفجير تسبب انقلاب عربة في اثناء تحركها. وتعتبر كيتي ايضا واحدة من النساء القليلات اللواتي يتمكن من الانغماس في النار المستعرة. وللقيام بهذا الدور المثير تلبس كيتي بدلة واقية مكسوة بالغراء وتضرم فيها النار وتصل درجة الحرارة داخل البدلة الى اكثر من تسعين درجة مئوية قبل ان يتم اخماد اللهب.

ولدت كيتي اونيل في الرابع والعشرين من مارس (آذار) عام ١٩٤٦، ولا يبدو لك انها تلك المرأة المثيرة التي تتزاحم عليها هوليوود للقيام بادوار المخاطرة والاثارة. وهي قصيرة القوام لا يزيد طولها على ١٥٧ سنتيمترا ولا يتجاوز وزنها ٤٤ كيلوغراما. وتنم عيناها الزرقاوان الخضراوان عن ملامح خاطفة من النزوع الى الاثارة والاذى كما يوحي تركيبها العام بمقدار من الرشاقة وسرعة الخاطر، خصوصا طريقتها الخاصة الخاطفة التي ترد بها الى الوراء شعرها الكستناوي الغامق.

وبما ان كيتي تتكلم بصوت عال متداخل النبرات والحروف فان معظم الناس الذين يقابلونها يظنون ان لديها عطلا جزئيا في النطق. واما الحقيقة، فهي انها اصيبت بالصمم الكامل منذ الطفولة الأولى.

سقطت عليها المصائب - كان عمرها اربعة اشهر حين اطبقت عليها في آن هجمات الحصبة والنكاف (ابو كعب) وجدري الماء فافقدتها السمع. لكن والدتها، وهي هندية اصيلة من قبائل الشيروكي، عقدت عزمها على تمكين ابنتها من التمتع بحياة طبيعية فذهبت الى جامعة تكساس لتتعلم كيف تتكلم مع طفلتها وكيف تعلمها. وهكذا بدأت الوالدة عملية شاقة في ترويض حواس اربع لكي تملأ الفراغ الذي خلفته الحاسة الخامسة المعطلة.

تقول كيتي: "علمتني كيف اسبح وكيف استجيب للاتجاهات حينما كنت طفلة. ثم علمتني كيف اقرأ الشفاه واتكلم". وقد راق الأم بعد ذلك،

انطلاقا من تجربتها مع طفلتها، ان تعلم اطفالا آخرين من ذوي العاهات السمعية، وآل الحال معها الى تأسيس مدرسة الاصغاء البصري في ويشيتا فولز في تكساس.

دخلت كيتي الصف الثالث من المدرسة الابتدائية وحصلت في الحال على درجات جيدة وبناء على تشجيع واستحثاث والدتها لها، اخذت دروسا في العزف على البيانو. وتعلمت كيف تلعب على الشيلو مستمتعة بذبذباتها الرنانة ومحافظة على سلامة نغماتها "بالاحساس".

وحينما بلغت الثانية عشرة اشتركت في منافسات السباحة وتعزز اهتمامها بالغوص. ولكن بما ان السمع والتوازن متصلان احدهما بالآخر الى حد كبير، فقد راود الشك مدربيها في ان تتمكن كيتي من اداء الحركات البهلوانية الدقيقة التي يستلزمها التنافس في مجال الغوص.

وتقول كيتي ان الدهشة التي استولت عليها وعلى مدربيها حينما تبين لهم ان واحدا من غواصي الفريق الذي تنتمي اليه لم يحضر اجتماع السباحة في اوكلاهوما. فلم يكن منها الا ان سألت المدرب السماح لها بالقيام بهذه التجربة. وكان ان احرزت المكان الأول.

ومضت قدما في هذا المضمار ففازت بلقب غوص الالعاب الاولمبية الصغيرة للمنطقة الجنوبية الغربية، ولفتت الدكتور الطبيب سامي لي الذي حاز بطولة الغوص الاولمبي مرتين ودرب عددا من الغواصين الموهوبين الاحداث في اناهيم - كاليفورنيا.

وحينما بلغت كيتي السادسة عشرة انتقلت الى اناهيم لتدرس على يد الدكتور لي. وداومت على المدرسة الثانوية في الصباح وكرست بعد ظهر كل يوم للتدرب اربع ساعات متوالية على الغوص، وكانت تحتفظ بالعشيات للدروس النظرية. وقد اعجب لي بقوتها وعزمها العنيد لكنه كان يمتعض كل مرة يراها تقذف بنفسها الى الماء خطأ وترتطم بها بسرعة ٥٥ كيلومترا في الساعة بعد قفزة من منصة العشرة امتار. وظلت اشهراً عدة تحمل في جسمها رضوضا بشعة من حجم الفطيرة، لكنها كانت تستهين بهذا القصاص.

الواثقة من نفسها - قالت كيتي مرة لمخبر صحافي ببعض التحدي: "في مقدوري ان اعمل كل شيء. وانني احب كل الاشياء التي يقول الناس انها تتجاوزني بسبب صممي. ربما كان علي ان اشتغل بصعوبة اكثر من البعض ولكن ما قولك في مشاعر الهزل والمرح التي تستولي علي حينما ابرهن على انهم مخطئون".

وفي عام ١٩٦٤ جاء ترتيبها الثاني عشر في المحاولات التجريبية لفريق الولايات المتحدة في العاب طوكيو الاولمبية. وبعد ان ربحت خلال حياتها الغوصية ثمانية وثلاثين وشاحا ازرق وسبع عشرة ميدالية تذكارية من الطراز الأول واحدى وثلاثين ميدالية ذهبية، راحت ترتاد عالم الالعاب الرياضية كلها، وكانت نفسها تتوق الى هذه الالعاب كلما اشتدت خطورتها. وهي قالت لي: "اظن انني احب الخطر ومشاعر الاثارة، وانما اود في اغلب الاحيان ان يكون لي هدف، شيء من الحلم الذي ابتغي تحقيقه".

فقد اشتركت كيتي في سباق القوارب وسباق السيارات واستخدمت

في مبارياتها ايضا سيارة من طراز خاص مجردة عادة من المعدات غير الضرورية ولكن يمكن تعديل محركها لكي يحقق سرعة خاطفة.

وتبارت كيتي كذلك في سيارات معدة خصيصا للسباق. ومارست التزلج على الماء باقصى سرعة. وفي عام ١٩٧٠ سجلت رقما قياسيا عالميا باعتبارها اسرع امرأة متزلجة على الماء بلغ رقمها ١٦٨،٧٤ كيلومترا في الساعة.

ودخلت كيتي مضمار القيادة السريعة الخطرة للسيارات خارج الطرق والمسالك المألوفة وشاركت في سباق السيارات على كثبان الرمل وهي سيارات صغيرة خفيفة الوزن معدلة خصيصا لتساق على تلال الرمل والشواطىء. ثم بدا لها سباق الدراجات النارية عبر الحقول وداخل مناطق الريف امرا فيه تحد واغراء وهكذا لم تلبث ان حصلت على اعتراف بمهارتها وتصنيف لقدرتها وانجازها في مستوى الخبراء، واصبحت المرأة الوحيدة في العالم المؤهلة لدخول حلبة التنافس لتسجيل رقم قياسي في السرعة العالمية.

الطريق الوردي ـ وفي اجتماع خاص بالدراجات النارية في كاليفورنيا عام ١٩٧١ التقت كيتي منافسا يدعى دوفي هامبلتون. وهو قال عنها: "كانت خارقة لا تصدق. لم اكن اتصور انني استطيع قيادة دراجة نارية بالطريقة التي تستطيعها هي من دون ان اسمع صوت التروس في ناقل الحركة لدى تغيير السرعة ومن دون ان اعلم هل هي في الدرجة الأولى ام الثانية ام الثالثة، كذلك من دون ادراك ما اذا كان المتنافس اللاحق بها قد اصبح قاب قوسين او ادنى منها".

وكان الاعجاب متبادلا. فلم ينقض العام حتى تزوج الاثنان.

استقرت كيتي خلال السنوات القليلة الأولى من الزواج وخلدت الى السكينة، غير ان الحياة الروتينية ما لبثت في النهاية ان اصبحت مزعجة وباعثة على الضجر. كان دوفي عضوا في "جمعية الاثارات المتناهية الحدود" وهي منظمة اخوية في هوليوود تضم افذاذ رجال الانجازات الجريئة، وكان يعرض نفسه للخطر بانتظام في السينما وفي مشاهد تلفزيون مثيرة.

يقول دوفي: "كانت كيتي قد اعياها الملل والقلق، فسألتها ماذا تود ان تعمل؟ فاجابت: "ولماذا لا اعمل تماما العمل نفسه الذي تقوم به انت؟ علمني كيف اؤدي ادوار الاثارة". وهكذا بدأت اعلمها كيف تقع ارضا، وتصطنع قتالا وتدحرج سيارة. وحينما بدأت فعلا القيام بكل هذه الحركات الايهامية اثارت المرح الصاخب والدهشة لدى الجميع. وبعد فترة قصيرة اخذت كيتي تقدم المشاهد المثيرة الرائعة في برامج التلفزيون. فتهافتت عليها عروض العمل واضطرت الى رفض الكثير منها.

وبعد ان اضطلعت بهذه المجموعة من المشاهد المثيرة والالعاب الرياضية الجريئة التي كانت مقصورة على الرجل تقليديا، قررت كيتي ان تمضي الى بلوغ الرقم القياسي النسائي للسرعة العالمية الارضية والذي كان آنذاك ٤٩٦،٥٨ كيلومترا في الساعة. وفي شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٦ اجرت اختبار سرعة على بحيرة جافة في كاليفورنيا فقادت قذيفة ارضية طولها ١١،٥ مترا ذات عجلات ثلاث مزودة بقوة

صاروخية، بسرعة قدرت بنحو ٥٧٦ كيلومترا في الساعة. وكانت على اتم استعداد لاثبات ذلك رسميا في مساق اطول. وهي اختارت لهذا الغرض بحيرة "داري ليك الفورد" في صحراء جنوب شرقي اوريغون المقفرة، خلال الاسبوع الاول من ديسمبر (كانون الاول) وكان الشتاء قد اخذ يتقاصر لكن البحيرة هيأت لها مجالا املس نسبيا يبلغ طوله ثمانية عشر كيلومترا.

وفي الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ارتدت كيتي بذة القيادة ووضعت خوذتها على رأسها وانثنت داخل ركن القيادة واطلقت العنان لمحرك سيارتها ذي الـ٤٨ الف حصان واندفعت الى الامام كالسهم في اتجاه اولى الخلايا الكهربائية الضوئية التي توقت مرورها عبر المسلك. وخلال ثوان اصبحت السيارة وكأنها بقعة ضئيلة في الافق.

وكان المطلوب القيام بجولتين في اتجاهين متعاكسين خلال ساعتين وذلك تلافيا لاي افضلية من جراء الريح او الانحدار. والسرعة الرسمية هي متوسط الجولتين حسبما تشير الى ذلك اجهزة التوقيت. وفي ختام الجولة الأولى دار المهندسون حول السيارة وملأوها وقودا وضبطوا كل اجهزتها. وانطلقت كيتي من جديد في زئير صاخب وشدها ضغط السرعة الى ظهر مقعدها المعد لشخص واحد. وبعد دقائق مرت امام احدى نقاط الايقاف واعلن الحكم ان متوسط السرعة بلغ ٥١٨ كيلومترا في الساعة.

لكن كيتي كانت ترغب في تحقيق سرعة اكبر لتسجل رقما قياسيا يظل قائما بعض الوقت. وفي السادس من ديسمبر (كانون الاول) حققت معدلا جديدا صاعقا في السرعة يبلغ ٨٢٥ كيلومترا و١٣٠ مترا في الساعة، ولم تتمكن من التوقف النهائي الا بعد ثمانية كيلومترات. وبذلك اصبحت كيتي اسرع امرأة على وجه البسيطة.

والواقع ان كيتي كانت تود ان تسجل رقما قياسيا اعلى من كل ما سلف، ولو تيسرت لها الطريق الملائمة لمضت نحو حاجز الصوت نفسه الذي يقارب الـ١١٩٠ كيلومترا في الساعة. واذا ما تم لها ذلك فسيكون للمرة الثانية اذ انها قد تغلبت من قبل على حاجز صوتي آخر في حياتها الخاصة بفقدها حاسة السمع.

■ فيل بووي

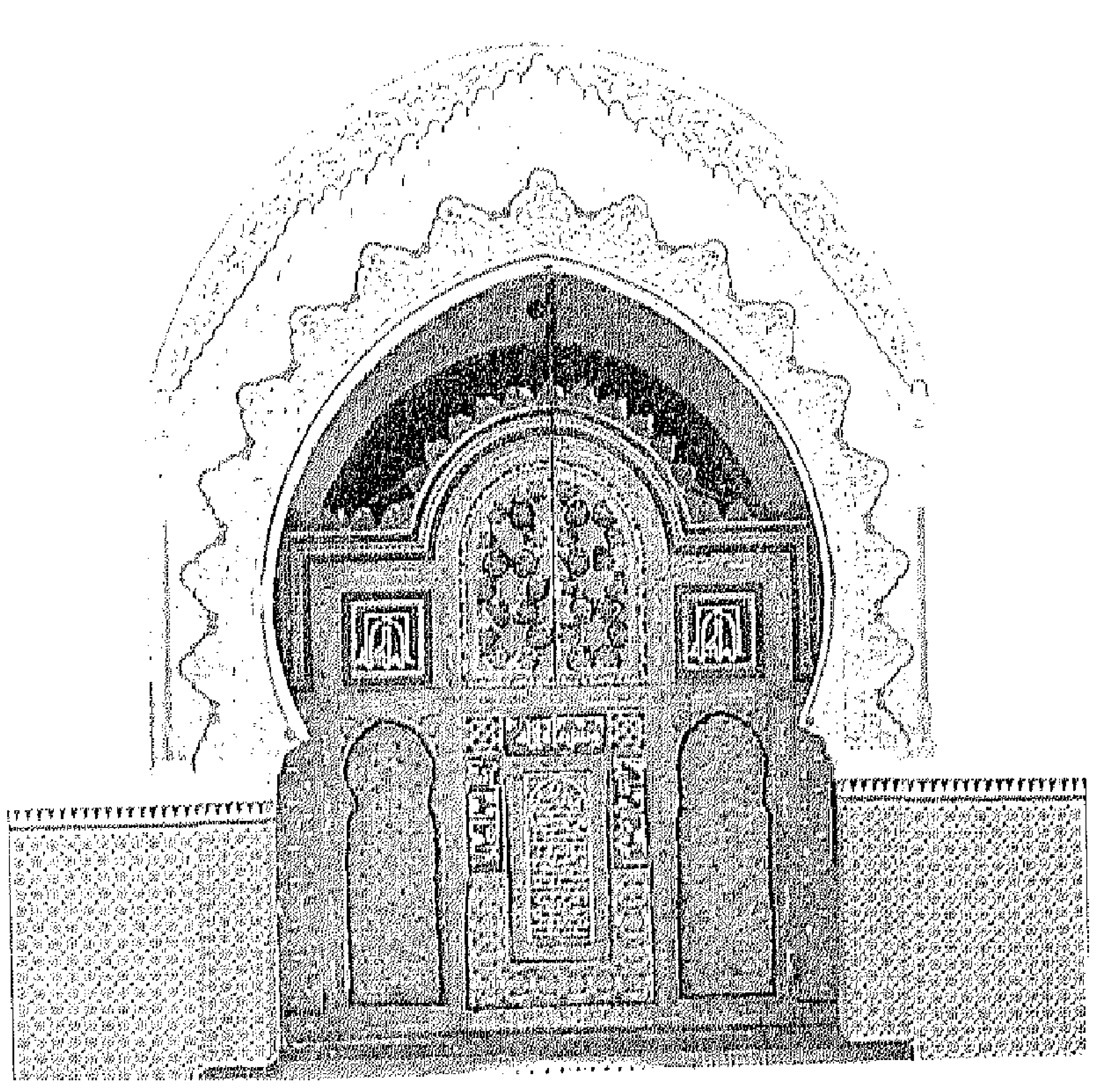


قال الكاتب الفرنسي مرسيل آشار، بحزن: "ان شيخوختك تبدأ عندما ترتاد المطاعم حيث يخدمك مضيفون لائقون بدلا من المطاعم التي تخدمك فيها فتيات لطيفات".

مجلة "الضحك الحر" - فرنسا

قال صديق لصديقه: "لقد علمت بأنك تجادلت مع زوجتك. فكيف انتهى الأمر؟

- لقد جاءتني دبيبا على يديها وركبتيها
- الى هذا الحد؟ وماذا قالت؟
- قالت: كن رجلا واخرج من تحت السرير.



المغرب السّاحر

بلاد مليئة بالمفاجآت الشائقة ومزيج مدهش يجمع بين الماضي والحاضر.

لم يكن الامر حلما، لكن اسطورة. بل قل احتفالا عربيا اصيلا: مهرجان الفروسية. وقفنا عند طرف الحقل حيث يعترض جوانبه نبات البوغنفيلية، واخذنا نشاهد الفرسان تلفهم العباءات البيضاء وهم ينحدرون نحونا ملوحين ببنادقهم الطويلة. ثم يكبحون خيولهم بغتة عند اللحظة الاخيرة ويطلقون العيارات النارية في الفضاء. لم نر في حياتنا مشهدا من هذا الطراز الرائع الا في السينما.

ما ان يصل المسافر الى المغرب حتى يجد نفسه مغمورا بسحر هذا العالم الغريب، خصوصا لدى رؤيته ذلك المثلثالناقص المنفرج الذي ينتصب وسط مدينة مراكش القديمة ويعلو ابنيتها المصنوعة من الطوب. ويسمى هذا البناء الفريد "جامع الفناء"، نسبة الى الحكام

بوابة جامع في فاس. (شوستال)

المحليين الذين درجوا فيه طوال قرون على عرض حصادهم الاسبوعي من رؤوس المنشقين المناوئين او اللصوص وقطاع الطرق.

اما اليوم فالامر يختلف تماما، اذ انك ترى باحة هذا المثلث تعج وتتضوع بفيض من الحياة. ويتجمع فيها المغاربة ببرانسهم القديمة، حلقات حلقات كأنها كوكبة من فصول الاستعراض الجانبي. فهنا تتشقلب القرود في حركات بهلوانية وتلتهم البرتقال تحت انظار ثعلب صغير اهيف حذر. وهناك افعى من نوع الصل تتقلب مبهورة بانغام الناي ونقرات الدف. وثمة شلة من الراقصين السمر يتمايلون في حركة لولبية على نغمات الطاسات النحاسية، بينما يطوف السقاؤون بقربهم المنتفخة بالشراب وتتعالى جلجلة الاجراس الصغيرة والطاسات المعلقة في صدراتهم الجلدية.

اما المجموعة الكبرى فهي تلك التي تتحلق حول رواة الحكايات. وكثيرا ما يبلغ عدد هذا الجمهور ٣٠٠ شخص حابس الانفاس حول رجل قبلي ابيض الشعر نابض بالحياة، يتحدث ويومىء بثقة واعتداد ويروي على غرار اقرانه في العهد القديم، قصص الابطال الذين برزوا في الماضي وجاهدوا في سبيل الدين، بينما جمهور المتحلقين الاميين يستمعون الى هذه القصص في اصغاء تام. ثم ينتهي، بعد قرابة نصف ساعة، من رواية حكايته التي خلبت لب المستمعين، فيبدأ هؤلاء نقر النقود النحاسية مطيّرين اياها في الهواء لتستقر امامه على طبق من الصفيح.

والى "جامع الفناء" هناك مغريات اخرى يعرضها المغرب على المتجولين والمسافرين، منها: شواطئه الرملية التي تضاهي بروعتها شواطىء ماليبو او وايكيكي، وقمم جبال سلسلة

عيد الفروسية في مراكش. (انغلبرث)



الاطلس المغطاة بالثلوج التي تفوق بمعدل ارتفاعها جبال الالب، وقراه المبنية من الطوب وكأنها اطار لاخراج فيلم في هوليوود عن مآتي بطل اسطوري من العهد القديم ومآذنه الشامخة ومدنه الحديثة التي تجمع نواديها الليلية بين الرقص الشرقي والحان الموسيقى الغربية.

الماضي حي – يقع المغرب على الساحل الشمالي الغربي من القارة الافريقية، ويتساوى في مساحته مع اسوج او كاليفورنيا، ويبلغ عدد سكانه قرابة ١٧،٥ مليونا، تتجاذبهم ازمنة مختلفة من اعماق الماضي السحيق الى مشارف المستقبل. ففي روما، ليس "الفوروم" و"الكوليزيه" سوى اثر متخشب جامد لحضارة غابرة. اما في المغرب، فالماضي لا يزال حيا تهتز نبضاته مع الحاضر.

المغرب الساحر يتيح لك ان ترى في جلبة الاسواق القديمة في مدينة فاس رجلا اسمر البشرة ينقش اشكالا هندسية بالغة التشابك والتعقيد على طبق نحاسي، يرفع مطرقة في يده اليمنى ويعتصم ساعة في



رقصة في جنوب المغرب. (سابين فيس)

اليسرى، كما يتيح لك ان تشهد في الاعياد الوطنية في العاصمة الرباط عرض رجال الحرس الملكي وهم يتقلدون السيوف ويمتطون الجياد المطهمة، بينما تشق فوق رؤوسهم عباب الفضاء اسراب منسقة من الطائرات المقاتلة النفاثة. وقد ترى عند منتصف الطريق بين شاطىء المتوسط والصحراء الكبرى رتلا من الشاحنات المسطحة تنقل دبابات امريكية الصنع، بينما تمر جماعات الفلاحين المنصرفين الى حرث الارض وهم يسيرون وراء جمل مشدود الى حمار في شكل تخطاه الزمن.

المغرب الساحر لا يزخر بالتناقضات فحسب، بل يخبىء ايضا لزائره مقدارا لا يحصى من المفاجآت. فانك ترى في فناء الجامع الكبير في مكناس، الذي كان قد تقادم عليه الزمن حين كتب شكسبير مسرحية "هاملت"، حلقات من التجار بجلابياتهم الثقيلة يبيعون ويشترون اصواف الجمال التي جزت لتوها، فيما تترصدهم نظرات نسائهم المنطلقة فوق الخمار من عيونهن الثاقبة. اما الموازين التي يستعملونها فهي اطباق نحاسية معلقة بسلاسل الى اطراف قضبان عارضة. ففي الطبق الايسر يضعون اكوام الصوف، وفي الايمن ثمانية معايير متساوية الاحجام. ثم يباشرون نقل المعايير واحدا تلو الآخر الى طبق الصوف، حتى يتوازن الثقلان فيتكافأ الصوف وثلاثة معايير من جهة مع المعايير الخمسة الباقية في الجهة الاخرى. لكنك فيما انت ترى عملية البيع والشراء هذه، يمكنك ان ترى ايضا سيارة مرسيدس وهي تحاول شق

طريقها بين الجموع المحتشدة.

وداخل متحف الآثار القديمة في الرباط، على مقربة من الجامع الكبير، ينتصب تمثال نصفي من البرونز لجوبا الثاني، ابن اول ملك من ملوك البربر وزوج سيلين ابنة انطونيو وكليوباترا. وقد ملك جوبا طوال ٤٩ سنة عم فيها الازدهار مقاطعة "افريقيا نوفا" (افريقيا الحديثة)، حينما كان المغرب جزءا من الامبراطورية الرومانية. ثم افل نجم روما، وفي القرن السابع الميلادي دخل الاسلام. وعلى رغم ان المغرب انفصل في مرحلة مبكرة عن مركز الخلافة، الا انه ظل متمسكا بالدين الاسلامي، فقاتل الصليبيين وغزا اسبانيا وكدس المغانم والممتلكات. وفي عام ١٦٧٢، تبوأ مولاي اسماعيل العرش وارسى اسس الدولة العلوية الشريفة التي لا تزال تحكم المغرب حتى هذا اليوم. وقد بدأت فترة الاحتلال الفرنسي عام ١٩٠٧، وانتهت بسلام عام ١٩٥٦، قبل خمس سنوات من وفاة محمد الخامس، والد الملك الحالي مولاي الحسن الثاني.

اصل القيراط — ونظرا الى البون الشاسع بين شمال البلاد وجنوبها، يستحيل حصر المغرب بوصف جغرافي مجمل. فالساحل الاطلسي يتميز على امتداده بمسحة اوروبية، والدار البيضاء، التي كانت في مطلع القرن العشرين قرية تعيش على صيد السمك، شهدت نموا سريعا عقب الحرب العالمية الثانية واضحت اليوم حاضرة حديثة يصل عدد سكانها الى المليونين. اما العاصمة الرباط فهي مدينة شاملة تضم جنسيات مختلفة وتقوم فيها مباني السفارات وتخيم عليها هيبة السلطة. واما طنجة (وحتى فاس نفسها) فلا تخلو من الطابع الاوروبي، تصطف فيها المقاهي طوال ارصفة الشوارع ويجلس فيها الباعة المتجولون بجانب عرباتهم يرتشفون الشاي الاخضر وهم يتصفحون باهتمام جريدة "فرانس سوار" كما لو انهم في جادة الشانزيليزيه الباريسية.

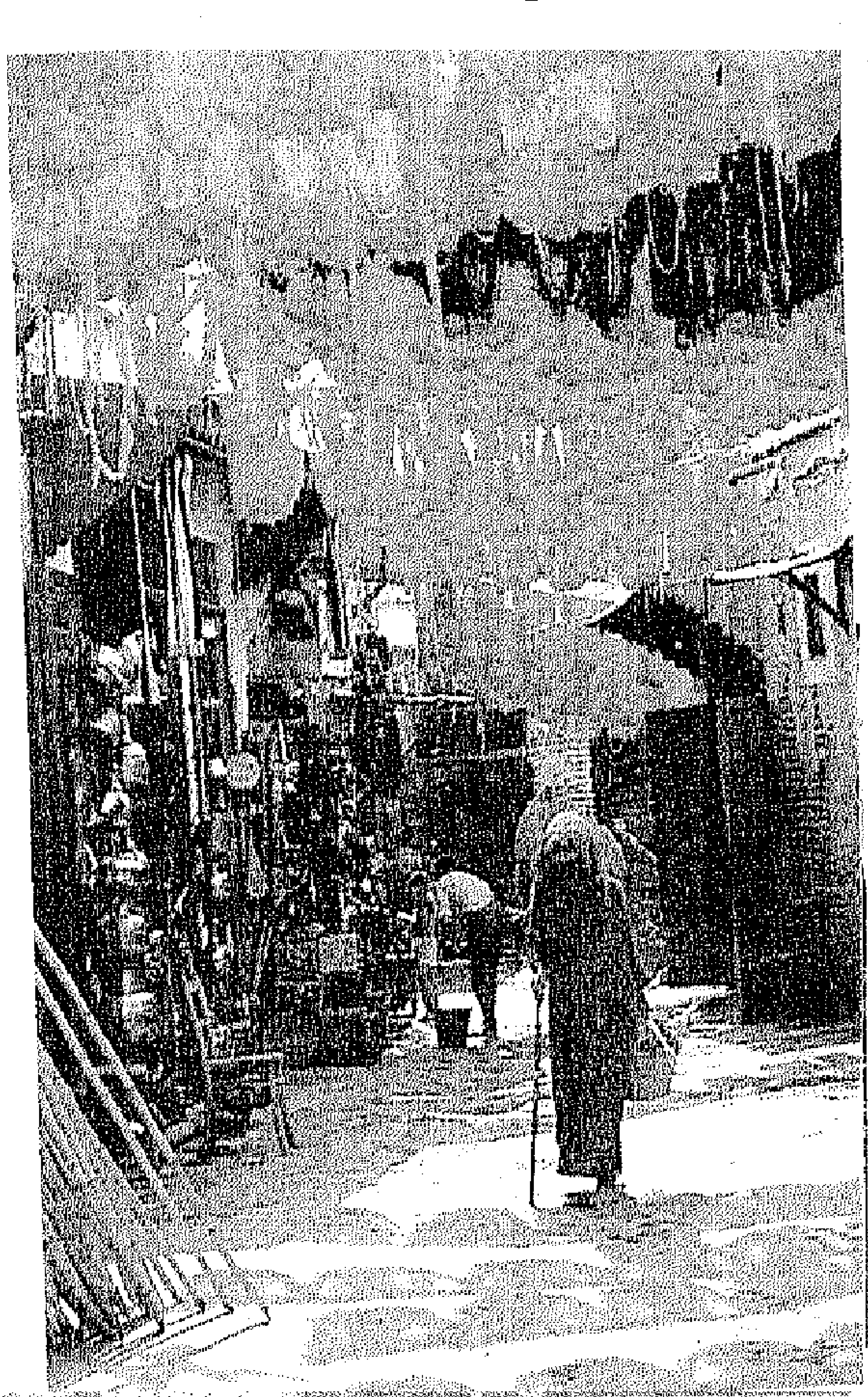
غير ان الاشياء تتبدل كليا عند اجتيازك جبال الاطلس واقترابك من الصحراء. فالى جنوب البلاد، تمتد المناطق الصخرية الجرداء الى عتبة الصحراء الكبرى المترامية الاطراف. وتقع عينك على لوحة تشير الى ان تمبكتو تبعد مسيرة ٥٢ يوما. وفي هذه المناطق يعيش "الرجال الزرق"، نسبة الى نسيج لباسهم المصبوغ بالازرق النيلي، وهو صباغ باعهم اياه الانكليز في القرن الثامن عشر، فاصبح هذا اللباس الزي الاصيل. وكثيرا ما يترك هذا الصباغ اثرا على ايديهم ووجوههم. وقد يسعدك الحظ فتصادف وانت تعبر مناطقهم شجرة نادرة هي نوع من الخروب الذي ينتج قرونا قاسية. ويروى ان هذه القرون كانت تستخدم معيارا للذهب في اقدم العصور، ومنها اشتقت كلمة "قيراط" الحالية.

وايا تكن الاحوال الجغرافية والمناخية، فثمة شيئان تلقاهما اينما طفت في انحاء المغرب، هما جموع البشر المتدافعة في الاسواق القديمة والصناعة الفنية الرائعة التي تتسم بها الجوامع. وباستثناء بعض المصانع المجهزة لتجميع قطع السيارات في ضواحي الدار البيضاء



وصادرات السردين والفوسفات، فان اقتصاد المغرب لا يزال قائما على نحو رئيسي على الزراعة والصناعات الحرفية واليدوية من النحاس والجلود والنسيج والفخار وهناك صناعة اخرى نامية هي السياحة التي زودت بفنادق فخمة على امتداد البلاد، من الشاطىء الى الصحراء الكبرى.

ولا بد للزائر لدى دخوله اسواق فاس او مراكش القديمة بلا دليل، من ان يضيع في متاهة زنقاتها وازقتها المتعرجة المكتظة بالعربات والمواشي والدواب، حيث يكثر الناس من ترداد عبارة "بالك، بالك" قاصدين بها: افسح الطريق. ويطغى على حواس

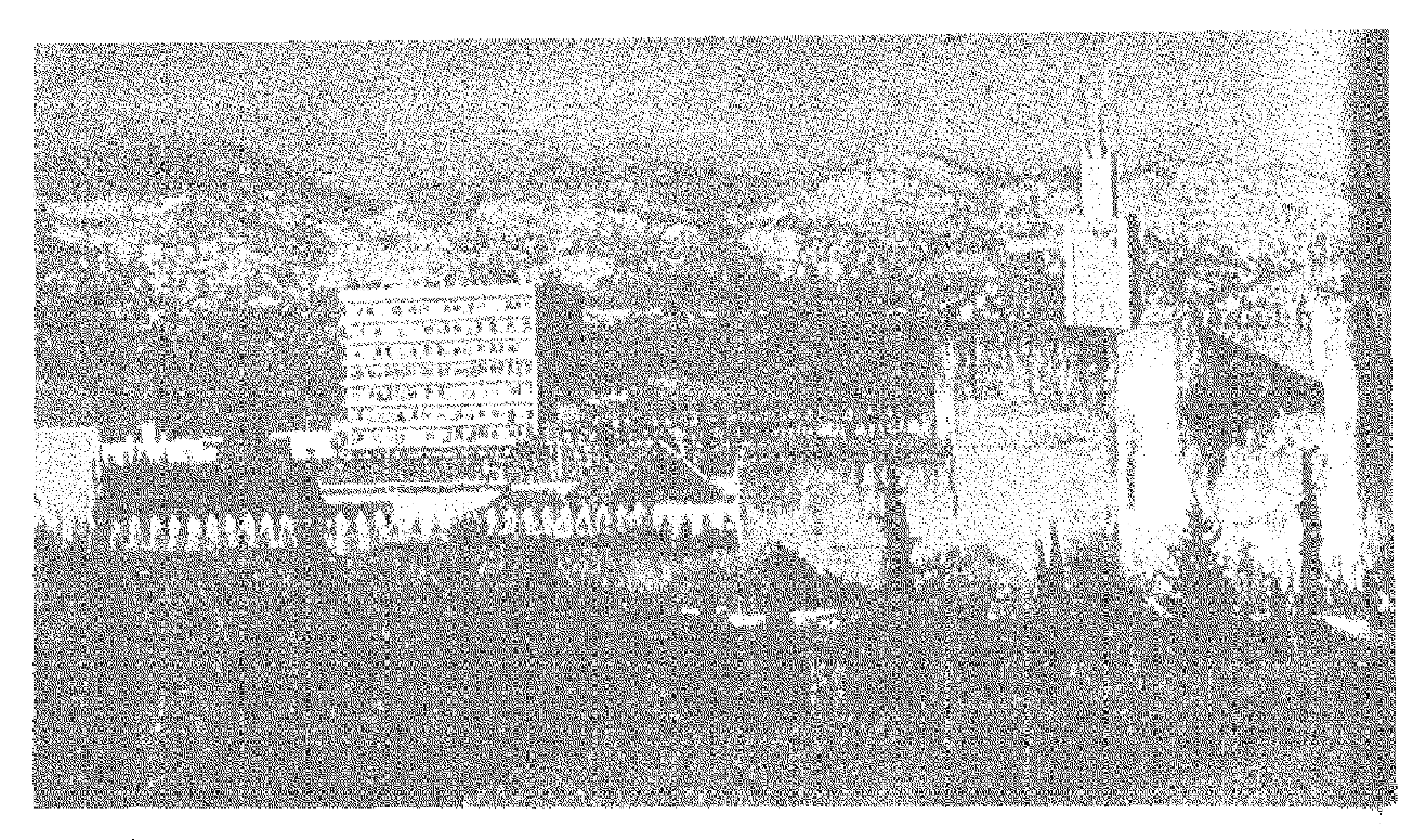


صوف مصبوغ منشور ليجف في سوق مراكش.
(جورج هولتون)

السالك في تلك الاسواق خليط عارم من الاصوات والالوان والروائح الطيبة والعفنة في آن.

فهذا بائع في زي ساحر، ينادي الناس لابتياع حيوان مجفف: ثعلب او ذئب، او سحلية، والى جانبه باعة آخرون يعرضون على المارة انواعا من "كريم البشرة نيفيا" واجهزة التلفزيون.

انتعاش حرفي – والصناعات اليدوية في المغرب لا تزال تتبع الاساليب القديمة التي يرجع عهدها الى قرون خلت. فانت ترى فتيات لا يتجاوزن العاشرة يعقدن الخيوط بخفة مذهلة ويحكن السجاد المغربي الذائع الصيت. وترى صبية شبه عراة يغطسون الجلود في اجران كبيرة حمراء او زرقاء او خضراء، يوازي حجم الواحد منها ستة اجران حمام. كما ترى ارجلا منتعلة تشد على دواسة آلة خياطة لتوثيق الزخارف المذهبة على القفطان.



القديم والحديث يتعايشان في مكناس. (شوستال)

لقد اصبحت المدينة القديمة عنصرا طبيعيا متداخلا في صميم حياة المغاربة، حتى ان السلطات الرسمية قررت انشاء مثيل مصغر لها في الدار البيضاء الحديثة: مدينة قديمة كاملة بزنقاتها الضيقة الملتوية وحجيراتها الصغيرة. فهل تنجح الفكرة؟ ذلك ان سكان الدار البيضاء العصريين ينظرون الى المدينة القديمة نظرة اسلافهم الى المدن الجديدة.

وعندما يغادر المرء الاسواق القديمة يتنفس الصعداء لخلاصه من الجلبة، ولكن لا يسعه ابدا ان ينسى سعيرها الذي ينقله الى القرون الوسطى. وعلى نقيض ذلك الجوامع الكبيرة، حيث الجو المنعش يضفو بالزرقة والسكون، وحيث يقصر الدخول على المؤمنين، وحيث يتعالى تجويد آيات القرآن الكريم، كما تعلو دعوة المؤذن للمؤمنين خمس مرات في النهار لكي يتوجهوا بابصارهم قبلة مكة المكرمة ويسجدوا للصلاة.

واما المرأة فقد بدأت بالظهور بعد طول احتجاب، واخذت الصبايا في المدن يركبن الدراجات الى الجامعة، ويخلعن الحجاب بعد الزواج، ويجالسن الزوار في الدار. لكنهن يقتصرن في بعض الاوساط على سكب الماء الساخن لغسل ايدي المدعويين قبل تناول الطعام، كما يتولين تأمين خدمة المائدة وفقا لسياق مرسوم. اما في الريف فالزوجة اكثر تحفظا، وانما تسعها المشاركة الرزينة في الحديث اذا لاقت تشجيعا من زوجها، والا فهي تجلس ساكنة وعلى وجهها ابتسامة الرقة والرضا. وعندما طرحت السؤال على زوجة احد اصدقائي البربري الاصل: "هل ترغبين في مزيد من الحرية والمناسبات؟" ابتسمت وهي تهز كتفيها استهجانا واجابتني بالفرنسية: "ولماذا؟ فالمرأة هنا لا يعوزها شيء مما يستلزمه نمط الحياة في المغرب".

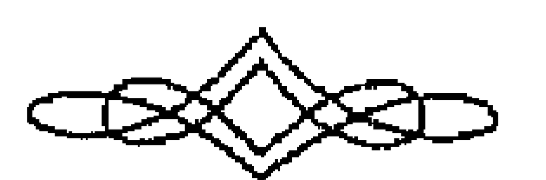
وقد مني المغرب بهزة عنيفة

وصدمة رهيبة في ٢٩ فبراير (شباط) عام ١٩٦٠، وجاءت دلائل الانذار بالخطر الداهم وتحسس وقوعه في نباح الكلاب وهياج القطط ونهيق الحمير بصوتها المنكر على ساحل اغادير الصيفي. وما هي الا ١٥ دقيقة حتى انقض الزلزال على الريفييرا ودمرها بفنادقها الفخمة الخمسة وحصد ارواح سكانها البالغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة.

وفي غضون ساعات معدودة حضر الملك محمد الخامس الى مكان الكارثة يصحبه ولي عهده الحسن الذي تولى على الفور قيادة عمليات الاسعاف. وكان اول تصريح له: "سنعيد البناء فورا".

ووفى الامير بوعده وفاء تاما، ولم يبق اثر لتلك الفاجعة سوى النصب الذي اقيم لتخليد ذكرى الضحايا. واستعادت اغادير اليوم رونقها السابق واصبحت قبلة زوار المغرب، يشدهم اليها جاذبها الافريقي الدافيء الساحر الخفي.

■ وليم ا.هـ. بيرني



رسام الزمن

سئل الرسام اوسكار كوكوشكا عن الاشخاص الذين رسمهم والذين يراوحون بين الرئيس التشيكوسلوفاكي المعروف ت.ج. مازاريك (ولد عام ١٨٥٠) وكارلو بونتي الصغير (ابن صوفيا لورين المولود عام ١٩٦٨): "لماذا يبدو جميع الاشخاص في رسومك كبارا في السن؟" فأجاب: "ان رسام الصور الزيتية الذي يلاحظ ملامح الوجه بكافتها ويشدد على خطوطها انما يخرج منها ما سوف يخرجه الزمن في ما بعد. ولكم قيل لي: "ان الصورة التي رسمتها لي تتطور معي لتصبح مثلي تماما مع كل عام يمر".

وداع قاض

اجاب القاضي وليم و. دوغلاس العضو السابق في محكمة العدل العليا في الولايات المتحدة على رسالة من زملائه القضاة المعبرين عن اسفهم لتقاعده، فقال: "انني اتذكر تلك الرحلات بزوارق "الكانو" الطويلة الخفيفة التي قمت بها طوال حياتي. فالذين يبدأون الرحلة على مزالق الأنهر قد يكونون غرباء بعضهم عن بعض في البداية، ولكنهم على وجه التقريب يصبحون اصدقاء حميمين في النهاية، بعد تغلبهم على الرياح العاتية وصمودهم للايام الماطرة وتحملهم للاعباء الثقيلة المنهكة. وانما كان هناك على الدوام مخيم مريح بين شجر القضبان وكانت هناك اناشيد المياه في الليل، وموسيقى الطيور.

واخيرا، كان لا بد من موعد مع النار نضرمها في المخيم الاخير، ومن طهي الافطار الاخر على مجمرة الليلة الاخيرة. وكان لا بد من ان تدق ساعة الفراق... وكانت دائما ساعة حزينة. وفي الحقيقة لم يكن هناك فراق لان الذكريات العالقة في الاذهان هي حصيلة الجهد المتناسق الموحد وضمير الساعات الجميلة اضافة الى الساعات القاتمة والخاوية.

واعظم رحلة كانت هي التي قمت بها معكم ايها الاخوة الذين كنتم غرباء عني في بدايتها وها انتم الآن اصدقاء يفيضون بدفء المودة في نهايتها.

(نيويورك تايمس)



القناع السويسري للاجرام المنظم

هذه قصة لم ترو من قبل: كيف استطاع كوبي - امريكي من كبار المجرمين ان يخفي معالم امواله في حسابات سرية في المصارف الاجنبية.

يحصد الاجرام المنظم في الولايات المتحدة الامريكية ارباحا طائلة غير مشروعة من تجارة المخدرات، والقمار والربا الفاحش والاحتيال٠

وقد تبلغ قيمة هذه الارباح ما يقرب من ٦٠ الف مليون دولار سنويا، يهرّب جانب كبير منها الى خارج البلاد ويُخفى في متاهة من الحسابات السرية في المصارف الاجنبية ومن الاستثمارات في ما وراء البحار، حيث كانت تلك الاموال ـ الى عهد قريب ـ في مأمن تام من اكتشافها او مصادرتها او فرض الضرائب عليها٠

واذا تيسر تقفي آثار هذه الاموال وتدفقها الى مخابئها النهائية، اصبح من الممكن عندئذ اقامة صمامات احتجاز لقطع مسار هذه الشبكة التي تكفل الحياة للاجرام المنظم٠ وعلى ذلك فقد تولت وكالات عدة ـ مثل مكتب التحقيقات الفديرالي ومصلحة الايرادات الداخلية وادارة مكافحة المخدرات - تشكيل فرق عمل متخصصة تضم شرطيين ومحاسبين ومحللي معلومات، فقضت هذه الفرق اشهرا حافلة بالمصاعب والعقبات وهي تحاول جمع الوثائق التي تتيح تعقب بعض هذه العمليات غير المشروعة٠

وهنا نروي بالتسلسل قصة واحد من هذه التحقيقات المهمة٠

كان اسمه البرتو سيسيليا ـ فالكون، لكن عمال الحدائق الذين يتولون تقليم الحشائش في تشابولتابيككانوا يدعونهمن- باب الاحترام ـ "دون البرتو"٠ وقد اشاد قصره في الواجهة الصخرية من تل عال، يطل على بقية البيوت الفخمة في ذلك الحي الانيق الناضح بالثراء والمرتفع سامقا عن بقية الاحياء المرصوصة بالحصى الصلب والذي انشئت فوقه مدينة تيجوانا المكسيكية الواقعة على الحدود٠ وكانت سيارة رائعة من طراز رولزرويس الفاخر تقف بارزة في الممر المؤدي الى المنزل٠ وكانت هناك عربات المخيمات والبيوت المتنقلة على عجلات ـ وكلها تحمل لوحات ترخيص من ولاية كاليفورنيا الامريكية ـ في حركة مستديمة ذهابا وايابا طوال ساعات الليل٠

وفي الساعة السادسة من مساء يوم ١٨ مايو (ايار) عام ١٩٧٣، كان البرتو سيسيليا فالكون قد انتهى لتوه من اجتماع طويل مع المسؤول عن حساباته (الذي يعيش في فيلا من طابق واحد داخل العزبة) وعدد من الامريكيين الذين تربطه بهم صلات العمل٠ وبعد ان انصرف الجميع، اجتاز حجرة الجلوس الفاخرة، ووقف امام النوافذ الطويلة المزودة بالزجاج الواقي من الشمس، وهو يحدق في اتجاه الولايات المتحدة التي تقع على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال٠ وكان رجلا نحيل القوام في الثامنة والعشرين من عمره يرتدي ملابس على احدث طراز ويخاله الناظر وكأنه فنان ناجح من فناني موسيقى الروك٠ وقد قدم في عام ١٩٦١ الى مدينة ميامي لاجئا من كوبا، لا يملك شروى نقير، فعمل هناك مديرا لمحل زهور ثم كاتبا في مخزن للملابس ثم بدأ يدرس من الخارج للحصول على شهادة جامعية ويشتغل بعمل اضافي آخر، هو ايصال شحنات المخدرات لحساب منظمة اجرامية تتجر بالكوكايين والماريجوانا٠ ولم يلبث ان تعلم هذه "المهنة" بسرعة٠

وعندما وقع افراد المنظمة التي يعمل لحسابها في قبضة العدالة، سارع الى الحلول محلهم في التعامل مع مصادر توريد المخدرات وانتقل الى مدينة تيجوانا، واصبح بين ليلة وضحاها واحدا من أكبر تجار المخدرات في المكسيك.

وكان سيسيليا ومعاونوه قد انتهوا، في الاجتماع الذي انفض منذ حين في ذلك اليوم، من عرض نشاطهم خلال الشهر، فوجدوا انهم قد اتموا حتى نهاية مايو (ايار)، تصريف ٥٧ طنا من الماريجوانا في انحاء الولايات المتحدة سواء بالتوزيع على تجار الجملة او بالتخزين في كاليفورنيا تمهيدا للتسليم. وكان ذلك يعني جني ارباح تبلغ ٧ ملايين دولار تقريبا، تضاف اليها حصيلة أخرى من ارباح الاتجار بالكوكايين والهيروين.

كان سيسيليا في الماضي يستثمر امواله في العقارات، حيث اشترى فيلات في اكابولكو ووادي الحجار، ومدينة مكسيكو وفي مدينة لاجولا في ولاية كاليفورنيا. اما القبو الحصين في قصره في مدينة تيجوانا فيندر ان يحتوي على اقل من ٥٠٠ ٠٠٠ دولار نقدا. وكانت له حسابات (معظمها بأسماء مستعارة) في سبعة مصارف مكسيكية على الاقل، فضلا عن حساب آخر في بنك باركليز في مدينة ناسو، عاصمة جزر البهاما، لكن براعة التحايل لا تكمن في مجرد اخفاء النقود، بل في استثمارها ايضا كي يتحقق منها اكبر عائد مستطاع.

ورأى سيسيليا ان يتخذ له قدوة من كبار زعماء الاجرام المنظم في الولايات المتحدة، فقرر ان يفتح سلسلة من الحسابات في مصارف سويسرا، حيث يصون القانون سرية الودائع، فضلا عن ان هذه المصارف تقدم خدمات استثمارية من افضل ما يمكن الحصول عليه في سائر العالم.

اكداس من المال – ومع حلول نهاية شهر مايو (ايار)، كانت ١٩ سيارة نقل من ذوات الخزانات الضخمة التي تظاهرت بأنها تعود الى الولايات المتحدة فارغة لتعاود شحن الاسفلت منها، قد سلمت ٥٧ طنا من الماريجوانا في كاليفورنيا. وكانت آخر سيارة منها تحمل ثلاثة اطنان من الماريجوانا، مضغوطة في قوالب رُصَّت داخل فراغات معزولة وراء عدد من الحواجز في مقدم خزان السيارة ومؤخره. وفي الساعة الثالثة من مساء يوم ٣١ مايو (ايار)، اجتازت السيارة الحدود عند سان ايزيدرو، ثم توقفت في المساء في مزرعة صغيرة على مشارف بلدة كورونا. ومع بزوغ الفجر، كانت قوالب الماريجوانا قد رُصَّت في مخزن مسقوف بالصفيح في المزرعة، وقد وقف ثلاثة من العملاء يريدون شراءها، بسعر ١٢٠ ٠٠٠ دولار للطن الواحد، تدفع نقدا ومقدما.

وفي مساء يوم ١٠ يونيو (حزيران)، سلمت النقود التي تجمعت على شكل اوراق مالية من فئات ٢٠ و٥٠ دولارا و١٠٠ دولار داخل عدد من حقائب السفر الى شقة صغيرة في مدينة سان دييغو في كاليفورنيا. وقضت امرأتان الليل تعملان بعناية لفرز الاوراق المالية في اكداس حسب فئاتها، ثم وضع مبلغ الثلاثمئة وستين الف دولار داخل صندوقين صغيرين اغلقا ووضعت عليهما الاختام.

وفي باكورة الصباح التالي، تسلم

رسول هذين الصندوقين ووضعهما في مؤخر سيارته٠ ونظرا الى ان جمارك الولايات المتحدة لا تتمتع الا بسلطة تفتيش محدودة في ما يتعلق بالمسافرين الخارجين من البلاد، فقلما تتعرض السيارات للتفتيش عندما تعبر الحدود لتدخل المكسيك٠ ولم يأزف عصر يوم ١١ يونيو (حزيران) حتى تم تهريب المال بأمان عبر الحدود وتسجيله بواسطة المسؤول عن حسابات سيسيليا٠

وكانت هناك في طبيعة الحال بعض المصاريف التي يجب دفعها، منها ١٠٠٠ دولار لسائق سيارة الخزان و٣٠٠٠ دولار لصاحب المزرعة التي خزنت فيها المخدرات، اضافة الى عمولات مستحقة لشريك سيسيليا الرئيسي، وهو امريكي يدعى روجر فراي٠ وفي النهاية، بلغ نصيب سيسيليا من شحنة هذه السيارة الواحدة ٢٣٠٠٠٠ دولار٠

النقود تتحرك ـ ظلت النقود في القبو المحصن اياما عدة، انضمت اليها خلال تلك الفترة مئات اخرى من آلاف الدولارات، فتأهب سيسيليا بعد ذلك لبدء الخطوة الاولى في عملية "اخفاء معالم" هذه الارباح٠ وكان عليه قبل كل شيء ان يبدل بهذه الاوراق المالية اوراقا مالية اخرى، لاحتمال ان تكون من بينها اوراق مميزة قد دسها موظفو مكافحة المخدرات الامريكيون لاقتفاء اثر الصفقات٠ ولم تكن هناك اي صعوبة في اجراء هذا التغيير، نظرا الى الرشاوى التي يدفعها سيسيليا لموظفي المصارف المحليين٠

فحال ايداع النقود حساب سيسيليا في مصرف لونغوريا في مدينة تيجوانا تختلط هذه بودائع مئات العملاء الاخرين، ويغدو اقتفاء مسارها امرا مستحيلا٠

وكانت الخطوة التالية اعتزام سيسيليا السفر جوا الى سويسرا في نهاية شهر يونيو (حزيران)، تصحبه اخته مرسيديس، وشريكه روجر فراي، وبوليت زوجة فراي، كي يفتح الاربعة حسابات في المصارف السويسرية٠

وفي يوم ١٩ يونيو (حزيران) حضرت سيارة مصفحة الى مصرف لونغوريا في دورتها المنتظمة لجمع النقود السائلة والشيكات التي تنقل الى المؤسسات المالية في الولايات المتحدة، وحملت السيارة معها ـ ضمن ما حملت ـ الـ٢٣٠٠٠٠ دولار التي سبق ان اودعها سيسيليا٠ وفي ساعة لاحقة من ذلك اليوم، اودعت هذه النقود الولايات المتحدة في مصرف تربطه بمصرف لونغوريا علاقة المراسلة٠ ولم يلبث المبلغ ان نقل من المصرف الامريكي فورا ـ بمجرد لمسة على مفاتيح الآلة المبرقة الكاتبة ـ الى بنك باركليز في ناسو في جزر البهاما٠

وهناك قانون في الولايات المتحدة يُلزم جميع المصارف بتسجيل التحركات الدولية للاموال٠ ويسمى هذا القانون "قانون سرية المصارف للعام ١٩٧٠"، وهو يستهدف اعضاء المنظمات والهيئات الذين يحاولون اخفاء ارباحهم في حسابات سرية في المصارف الاجنبية٠ ويلزم هذا القانون كذلك كل مسافر او رسول ينقل اكثر من ٥٠٠٠ دولار من النقود السائلة عبر حدود الولايات المتحدة بأن يودع تقريرا بذلك لدى سلطات الجمارك٠ غير ان عمليات تحويل الاموال دوليا من خلال القنوات المصرفية العادية لا

تخضع لهذا الالتزام. ولذا فان عملية تحويل اموال سيسيليا لم تسجل في اي تقرير لدى الجمارك الامريكية. وبعد اتمام العملية، اصبح رصيد سيسيليا في حسابه في ناسو يزيد على مليون دولار، كلها سليمة، لم تقدم عنها اي تقارير ولم يكتشفها احد.

سحرة زوريخ – وفي يوم ٢٨ يونيو (حزيران)، سافر سيسيليا جوا الى زوريخ، حيث اختار التعامل مع المؤسسة المصرفية السويسرية الشهيرة، وهي واحد من ثلاثة مصارف سويسرية كبرى وتتمتع بسمعة محترمة كبيرة في انحاء العالم منذ اكثر من مئة سنة. وقد درجت جميع المؤسسات المالية السويسرية، ومنها هذه المؤسسة، على حصر معرفة شخصية العميل في عدد محدود من كبار موظفيها فقط الى جانب موظف المصرف الذي يتعامل معه مباشرة.

وعرف سيسيليا عن نفسه بانه "رجل اعمال" له مصالح عقارية واسعة النطاق ويعيش في ميامي في ولاية فلوريدا، وقدم جواز سفر كوبيا صادرا ظاهريا في هافانا في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢. ولم تكن لدى موظف المصرف اي وسيلة يعرف منها ان هذا الجواز مزور، اذ هو في الحقيقة واحد من جوازات عدة يحملها سيسيليا بأسماء مختلفة ليستخدمها في اغراض متنوعة كلها غير مشروعة.

واعرب سيسيليا عن رغبته في اخفاء اسمه وفي ان يتمتع حسابه بالسيولة الكاملة تمكينا له من الحصول على المال فورا لدى طلبه. واقترح عليه موظف المصرف ان يشتري "شهادات ايداع" تضمن لحاملها فوائد مقدارها تسعة في المئة، و"سندات اوروبية" لشركات مختلفة، تشرى من الاسواق المالية في زوريخ او فرنكفورت او امستردام ويمكن بيعها في اي وقت، وكلا الشهادات والسندات لا تحمل غير اسم المؤسسة السويسرية، فتتيح للعميل اجراء الاستثمار من دون الاضطرار الى ذكر اسمه.

واشرق وجه سيسيليا وقال: "يمكنك ان تتوقع اول دفعة ايداع يوم ٣ يوليو (تموز)، وستتلقى حينئذ ثمانمئة الف دولار من بنك باركليز في ناسو، وبعد عشرة ايام تقريبا ستصلك اوامر صرف بمبلغ ١،٥ مليون دولار من مصرفي في المكسيك".

وفي ٣٠ يونيو (حزيران)، ركب سيسيليا الطائرة عائدا الى المكسيك، وظل بعدئذ على اتصال دائم بموظف المصرف السويسري. وعلى مدى عامين، نقل سيسيليا ٦٠ مليون دولار بين الولايات المتحدة والمكسيك وسويسرا، وفتح في الوقت نفسه حسابات اخرى، من بينها حسابات تهرّب في اسبانيا وفرنسا وبناما، ليستطيع ان ينقل اليها امواله كلها في يوم واحد اذا احس بالخطر.

صدع في الدرع – وبلغت عمليات منظمة سيسيليا داخل الولايات المتحدة حدا من الضخامة جعل الاشعار بحسابات التهرب امرا لا يلفت. وكانت هناك في الواقع مجموعة تسمى "جماعة الاثني عشر المركزية التكتيكية" تقيم في سان دييغو، وهي فريق عمل فريد في نوعه من موظفي ادارة مكافحة المخدرات منهمك منذ حين في تجميع الادلة والقرائن في صبر ودأب، حتى توافر له من المؤشرات ما يكفي لان

يربط بين سيسيليا ومعاونيه وشحنات سيارات الخزانات الناقلة للماريجوانا، اضافة الى كثير من صفقات الكوكايين الكبيرة ايضا٠ وفي يوليو (تموز) ١٩٧٥، اصدرت هيئة من كبار المحلفين الفديراليين قرارات سرية بادانة سيسيليا وروجر فراي و٤٢ من شركائهما الاخرين في المكسيك والولايات المتحدة على السواء٠

لكن ادانة سيسيليا شيء واختراق الحماية التي يتمتع بها في المكسيك للقبض عليه شيء آخر٠ وقد ظل اعضاء "جماعة الاثني عشر" اسابيع عدة يبحثون عن وسيلة لذلك حتى وجدوها في اتفاق حديث العهد مع المكسيك، ينص على الاشتراك في اعتقال تجار المخدرات الدوليين وفي مقاضاتهم٠

وطلب موظفو مكافحة المخدرات من السلطات المكسيكية ان تقبض على سيسيليا٠ وسنحت الفرصة لذلك عندما كان سيسيليا في الفيلا التي يملكها في مدينة مكسيكو، بعيدا عن الحماية التي يسبغها عليه موظفو مدينة تيجوانا٠ وفي الساعة العاشرة من مساء يوم ٢ يوليو (تموز) ١٩٧٥، اقتحم رجال الشرطة المدججون بالسلاح الثقيل الفيلا وقبضوا على سيسيليا حيث وجدوه يحتفظ بمسدس اوتوماتيكي من عيار ٤٥، مخبأ في سريره، ولكنه استسلم من دون مقاومة٠

وصادر رجال الشرطة من الفيلا كدسة ضخمة من الوثائق المصرفية والشيكات وارصدة الحسابات واجهوا بها سيسيليا واستمروا يستجوبونه بتركيز شديد طوال اربعة ايام، فاضطر في النهاية الى الاعتراف (★)٠

وكانت المبالغ المدرجة في كشوف حسابات المصارف بالغة الضخامة، فقد ثبت منها ان سيسيليا وكبار معاونيه الاربعة يربحون من بيع المخدرات في الولايات المتحدة ٣،٥ ملايين دولار كل اسبوع٠ وبلغت الرشاوى التي يدفعها ما لا يقل عن ١٦ مليون دولار في العام الواحد، ووصل عدد حساباته المفتوحة في المصارف الاجنبية الى ٢٠ حسابا٠

وبعد فحص الوثائق، تمكن موظفو التحليل والاختصاصيون في ادارة مكافحة المخدرات ـ للمرة الاولى ـ من تكوين صورة واضحة للطريقة التي تتبعها الشبكات الكبيرة لترويج المخدرات والتصرف بارباحها وتمويل عملياتها٠ وكانت تلك خطوة تقدم كبرى٠

الضربة القاضية ـ وعلى رغم الوثائق المكسيكية، فقد بقيت هناك ثغرات واسعة ابرزها التحقيق٠ ذلك ان "تعقب الاوراق" الذي قام به محللو "جماعة الاثني عشر" قد اوصلهم الى "الباب الامامي" للعمليات، فبقي عليهم اكتشاف "الباب الخلفي" الذي لم يره احد٠ وهناك اسئلة كثيرة تتعذر الاجابات عنها الا في سويسرا٠ ولكن هل يقبل الموظفون السويسريون ان يتعاونوا؟

في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٦، وجه محامو وزارة العدل الامريكية طلبا رسميا الى السلطات السويسرية يطلبون معونتها، وارفقوا بالطلب مقتطفات من القوانين الامريكية الخاصة بالمخدرات وصورا من عرائض

(★) قضى سيسيليا حتى الآن ثلاث سنوات في احد السجون الفديرالية في مدينة مكسيكو، لكنه لا يزال يقدم تظلمات قضائية ضد اعتقاله٠

الاتهام ضد سيسيليا وفراي واثباتات لاستمداد ارباحهما من المخدرات. وسرعان ما قرر المسؤولون في برن ان الرجلين قد خرقا المادة ١٩ من القانون السويسري، التي تنص على ان المتجرين بالمخدرات، حتى خارج سويسرا، يرتكبون جناية في عرف القانون السويسري، ومن ثم يفقدون حق الحماية التي تكفلها القوانين الصارمة الخاصة بسرية المعاملات المصرفية. وفي شهر يوليو (تموز) ارسلت الشرطة السويسرية الجداول المتعلقة بثلاثة عشر حسابا سويسريا مختلفا لسيسيليا واعوانه.

ومن سوء الحظ انه عندما صدر الامر القضائي بمصادرة الاموال المودعة مختلف الحسابات لم تجد السلطات الا ٢٠٥٠٠٠ دولار باقية فيها، لأن بقية الاموال كانت قد حولت الى بلاد اخرى. فقد استخدمت بوليت فراي واقارب سيسيليا التفويضات الرسمية التي لديهم كي يقفلوا الحسابات او يسحبوا منها مبالغ ضخمة.

وعلى رغم هذا، فقد تلقت منظمة سيسيليا ضربة قاضية. ومثال ذلك ان روجر فراي الذي كان يدعي انه بريء من جميع التهم المنسوبة اليه، قد شحب وجهه واوشك ان ينهار حين علم ان النيابة الفديرالية قد حصلت على جداول الحسابات السويسرية. ولما كانت ادانته في حال ادعائه البراءة تعني الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، فقد عدل على الفور عن هذا الادعاء وحكم عليه بالسجن عشر سنين في اصلاحية فديرالية.

وفي الوقت نفسه، اصبحت في حوزة رجال القانون - بفضل وثائق سيسيليا - المعلومات اللازمة التي يمكنهم الاستناد اليها في توجيه تحقيقاتهم في الحاضر والمستقبل لكشف الاساليب التي يلجأ اليها تجار المخدرات لاخفاء ارباحهم، فاتجهوا الآن الى اقامة حواجز او صمامات تعترض تسرب هذه المبالغ الطائلة الى الخارج، فزال بذلك اطمئنان المجرمين الى ان مكاسبهم غير المشروعة تصبح في مأمن من الاكتشاف لمجرد انها تودع حسابا مرقوما غفلا من الاسم في احد المصارف السويسرية.

■ ناتان ادامز



درس في البخل

كان اللورد تومسون ملك الصحافة وصاحب جريدة "التايمس" اللندنية كنديا بخيلا منقبض الكف. وذات يوم كان ذاهبا في سيارته الى مكتبه بصحبة ابنه كن الرئيس المشارك لمجموعة عالمية تقدر بستمئة مليون دولار، وحينما فتح كن جريدته الصباحية، سأله تومسون: "ما هذا؟".

- هذه التايمس
- ومن اين اخذتها؟
- من الدكان عند زاوية الشارع.

فقال اللورد: "حسنا يا كن، خذ الجريدة حالا واعدها الى البائع ودع غيرك يشتريها. ففي استطاعتك ان تأخذ جريدتي بعد ان انتهي من قراءتها".



الكاراتيه سلاح اليَد المجرَّدة

الكاراتيه فن قديم يستعين به الناس في ارجاء العالم صونا لسلامتهم الجسدية وتلطيفا لمتاعبهم الفكرية وتوافرا لصد اي اعتداء حتى من اشد المهاجمين شراسة٠

خرجت امرأة شابة من حجرة ادراج الملابس وكانت ترتدي ثوبا قطنيا ابيض فضفاضا من قطعتين ينسدل حتى يكاد يلامس قدميها الحافيتين٠ وما ان انضمت الى مجموعة من الذكور والاناث حتى انحنت باجلال امام "السيد المعلم" الشاب المتجهم الوجه واخذت تصغي الى تعاليمه الفنية المتدفقة كالسيل بنبراته المقتضبة من دون اي انقطاع طوال بضع ساعات٠

لكنها، على رغم عزمها الاكيد على الاستفادة والممارسة، فانها قلما تحظى من معلمها باكثر من تقطيب الجبين٠ اما الاخرون في صفها ممن يظنون انهم احرزوا تحسنا ملحوظا في تدربهم، فلا يفوزون من المعلم الا بشيء من عدم الاكتراث٠ ومع ذلك فالامر الوحيد الذي كانوا يشكون منه هو التوقف عن مواصلة تمارين الكاراتيه في مثل هذه السرعة٠ وتعتبر هذه التمارين فنا رائعا في

CONDENSED FROM THE AMERICAN LEGION MAGAZINE

الدفاع عن النفس يمكن صاحبه، وان يكن فتاة لا يزيد وزنها على اربعين كيلوغراما، من مواجهة الخصم المهاجم واخضاعه مهما اشتدت قوته.

ظلت الكاراتيه (ولفظها السليم هو كاه - راه - تي) طوال ١٥ قرنا سرا دفينا حرص الشرق على كتمانه. لكنها اصبحت الآن في متناول الانسان العادي، وراج الاقبال عليها في شتى الاقطار باعتبارها مزيجا من الاستجمام والتمرين والدفاع عن النفس.

والحق ان لقطة الكاراتيه تفوق الى حد كبير مجرد الضربة القوية الخاطفة باليد المنبسطة كما تبدو للعين العادية غير المدربة، وان لها قوة تضاهي حصيلة اكثر من ٥٠ اسلوبا تقنيا اساسيا من اساليب احباط الحيل المعروفة التي يستخدمها الخصم المهاجم، كما انها تيسر القيام بهجوم معاكس مذهل. وليس في الكاراتيه مجال لاي حركة تذهب سدى، بل هي خطة محكمة بداية من اول صيحة تضطرب لها اعصاب المهاجم، الى التلويح بالاكف المشدودة وقد انفجرت اصابعها لتحجب رؤية المعتدي.

المرأة المدوخة - و"الكاراتيكا" - كما يسمى المتمرس الحاذق في فن الكاراتيه- لا يحاول مطلقا ان يتفوق على خصمه بقوة العضلات، بل يعتمد في دفاعه الحركات السريعة والمتسقة التي تجعل المعتدي عرضة للسقوط. ومثال ذلك ان يسدد المهاجم لكماته الى رأس امرأة فتعمد هذه مع انحناء طفيف في الركبتين، الى دفع رأسها الى الوراء بما يكفي لاندفاع قبضة الرجل بضعة سنتيمترات عن الهدف الذي سددت اللكمة اليه، فتغدو قرابة ٨٠ في المئة من وزن الرجل ماثلة الى الامام. وعندئذ تصوب المرأة ضربة خفيفة من قدمها الى عضلة معينة في كاحله تفقده توازنه فيهوي ارضا بفعل الجاذبية التي تنخع رجليه من تحته. ولابقائه منطرحا تستطيع المرأة ان تضرب بحد يدها كالسكين موضعا من عنقه، فيتوقف تسرب الدم الى رأسه موقتا مما يدوخه الى حين.

وفي جسم الانسان اكثر من ٤٠ مركزا حساسا من هذه "المراكز الحيوية". وفي امكان المرأة ان توجه، مثلا، ضربة الى عضلة معينة تفقد الرجل سيطرته على اي من اطرافه لبضع ثوان. اما اذا وجهت الضربة الى بعض الاعصاب فيصاب الرجل بشلل موقت. وكل من خبر ذلك الاحساس بالخدر في مرفقه من جراء ارتطام عصب الزند او ما يعرف بـ"العظمة الغريبة"، يدرك مدى ما تحدثه مثل هذه الاصابات. حتى ان واحدا من لصوص الشوارع الذين يحاولون خنق ضحيتهم بغية سلبها قد صاح شاكيا، بعد تحوله الى ضحية مترنحة من جراء الكاراتيه، ان "ليس هذا دفاعا عن النفس، بل انه مكمن!"

ان فن الكاراتيه يقتضي اعدادا طويلا وتدريبا منتظما يشمل الجسم كله. ويقوم س. هنري تشو من حملة "الحزام الاسود"، وهو رئيس اتحاد الكاراتيه، باعطاء دورات يومية في مدرسته في نيويورك حيث يقضي المبتدئون اوقاتا مجهدة خلال الاشهر الثلاثة الاولى في مط اجسامهم

والقرفصةو الجلوس باستقامةوالدوران حول انفهسم والقفز في الهواء وتعلم بعض قواعد الكاراتيه الاساسية. ويتمكن بعض التلاميذ، بشق النفس، من ان يرفسوا المهاجم بارجلهم حتى مستوى الخصر. لكن عليهم عاجلا ام آجلا ان يرفسوه الى علو يوازي ذقن من امامهم والى علو مماثل من الخلف.

الرجال اللائقون - اما التدريب الذهني الذي يرافق تعلم الكاراتيه في المدارس المحافظة على فلسفة الفنون الشرقية فلا يقل قوة عن التدريب الجسدي. وتشدد هذه الفلسفة على عدم استخدام اساليب الكاراتيه الا في حال الدفاع عن النفس.ولهذا نرى التلميذ المبتدىء يجثو على ركبته في مستهل درسه ويسترسل في التأمل مدة عشر دقائق من كل ساعة تطهيرا للذهن وتصفية للنفس. اما الطالب المتقدم فيسترسل فترة اطول بحيث تبلغ نسبة الوقت الذي يقضيه في سكون التأمل ٣٠ في المئة من مجمل اوقاته. وقد يستغرق تعلم قواعد الكاراتيه الاساسية فترة تصل الى ثمانية اشهر بينما يستغرق التفوق فيها مدة ثلاث سنوات. ولا يستبعد ان ينضم الى الصفوف احيانا طالب مستأسد في تصرفاته الا انه لا يلبث ان ينقطع عن الحضور لتعذر تقيده عادة بالانظمة الدقيقة. اما اذا تابع دروسه واتقنها فسيفقد حتما الروح العدوانية كما يؤكد الخبراء. ويقول س. هنري تشو في هذا الصدد: "ان المستأسدين يتحولون، بفضل الكاراتيه، الى رجال لائقي التصرف".

لاحزمة الكاراتيه الوان ترمز الى درجة كفاية الممارس. وللكفاية ثماني درجات تبدأ باللون الابيض وتنتهي بالاسود الذي يمنح للفائز في امتحان خاص امام لجنة من ذوي الاحزمة السود. وللفائز الشرعي عبرة في قول اللجنة له: "لقد بلغت الآن سن الرشد في الكاراتيه، ففي تقاليد الكاراتيه عشر درجات لبلوغ مرتبة الحزام الاسود، على ان قلة من الابطال المتفوقين تتجاوز الدرجة الثامنة.

ان يدي صاحب الحزام الاسود تبلغان حدا من القوة تستطيعان معه كسر الواح الخشب والاجر وحتى قوالب الجليد. لكن صاحب الحزام الاسود الذي يحترم مسؤولياته ويراعي انظمة الكاراتيه لا يصارع احدا ما لم يضمد يديه وقدميه بلبدات من الاسفنج المطاط. وتتضح اهمية هذه المراعاة بملاحظة ما جرى في اليابان حين نزل الى حلبة المصارعة "كاراتيكا" اعزل فصارع ٥٢ ثورا واحدا بعد الآخر مستخدما يديه بدلا من حد السيف، فقتل ثلاثة ثيران وكسر قرون ٤٩ ثورا آخر.

منذ القرن السادس - بدأت اساليب الكاراتيه التي تنطوي على امكان الاهلاك كتمارين سلمية في حدود عام ٥٢٠ للميلاد حين ارتحل ناسك هندي يدعى بوديدارما الى الصين حيث اسس طائفة "زن" للبوذيين. وراح يعلم الرهبان هناك كيف يهذبون العقل ويدربون الجسم بتمارين شاقة جمعت بين التنفس والتأمل واستخدام قبضة اليد كأداة قاطعة على غرار ما يفعل المقاتلون الهنود. وعلمهم ايضا ملاكمة الظل الصينية. واطلق على هذه

التمارين في ما بعد اسم "كونغ فو"، وقد تضمنت ايضا وسائل للدفاع عن النفس ضد هجمات العصابات. وبانتشار "زن" في ارجاء الصين علمت مبادىء الـ"كونغ فو" لاتباع موثوق بهم اقسموا اليمين على كتم اسرارها. وقد انكشف مدى نموها السري ابان التمرد على الاجانب في الصين عام ١٩٠٠ حين احاطت بالقنصليات المزودة بالحراس، اعداد كبيرة من الرجال غير المسلحين وقد شهروا اكفهم في اوضاع الـ"كونغ فو" حتى اطلق الغربيون على ذلك التمرد اسم "ثورة الملاكمين".

ان اسلوب الكاراتيه المتبع حاليا ظهر عام ١٦٠٩ حين غزت اليابان جزيرة اوكيناوا في المحيط الهادىء فاستولت على كل انواع السلاح الموجودة هناك. وفي مقابل ذلك كشف المتمرسون من اهالي الجزيرة كيف يقوى سلاح اليد (تي) المجردة (كارا) على صد الرماح وشل المحاربين. وما الدروع المنبعجة والسيوف الملتوية في متاحف اوكيناوا الا شواهد على مدى فعالية الكاراتيه.

لقد توارث الناس في ما مضى مبادىء الكاراتيه، اذ كان الآباء وحدهم يتولون تعليمها للبنين. وكان المتمرسون فيها ينكرون اي معرفة بها حتى امام جيرانهم. الى ان كان العام ١٩١٥ حين عرض احد "الكاراتيكا" من ابناء اوكيناوا، واسمه غيشين فوناكوشي، بعض اساليب الكاراتيه على البر الياباني. واستمر الحرص على تأمين السرية التقليدية لهذه الرياضة في كل مكان بحيث تعذر العثور على اي تفاصيل عن الكاراتيه حتى في اعظم المراجع شمولا.

لكن بعض الافراد في الجيش الامريكي استطاعوا تعلم بعض اساليب الكاراتيه بفضل صداقاتهم مع "الكاراتيكا" في اليابان واوكيناوا وكوريا والهند الصينية. ولما شاهد عدد من الخبراء في الستينات العروض البارعة في الكاراتيه التي قدمها الجنود الامريكيون السابقون، بدأوا يخففون من حدة صرامتهم التقليدية وراحوا يعلمون الكاراتيه "الخالصة" لكل راغب فيها. وسرعان ما انتشر هذا الفن عبر القارات مما حمل عددا من المهتمين بهذا الفن على التفكير في ادراجه ضمن الالعاب الاولمبية. وسبق لاحدى واربعين دولة ان اشتركت بابطال من ذوي الاحزمة السود في مهرجان عالمي للكاراتيه.

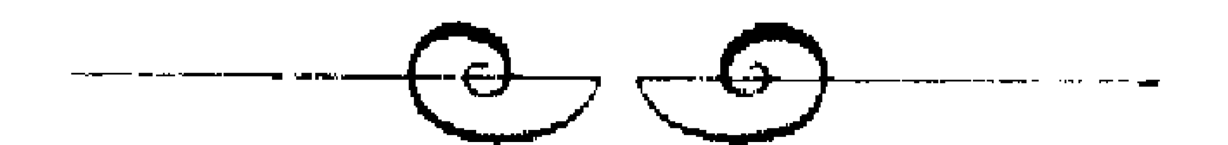
المجدية ضرورية — ومع ذلك، فلا تزال الطريق المؤدية الى البطولات العالمية في الكاراتيه طويلة، خصوصا لان المبتدئين يعرضون انفسهم للمجازفة، مما حدا البلدان العريقة في تقاليد الكاراتيه على قصر مهمة التعليم على حملة الاحزمة السود المتقدمين. لكن الدول الاخرى تسمح لاي شخص بان يفتح مدرسة لتعليم الـ"كونغ فو" او الكاراتيه. اما اذا كنت تفكر في الانضمام الى صف من صفوف الكاراتيه، فاحذر المدارس التي تبالغ في اعلاناتها وتغالي في وعودها بكسر الواح الخشب او تلك التي تصر على ابرام عقود طويلة الامد تضمن في الظاهر حصولك على حزام اسود. ويوصي المعلمون

المعروفون ببراعتهم وحسن تصرفهم الراغب في تعليم هذا الفن بان يختار الراغب مدرسة تتقاضى اقساطا عن بعض حصص، في البداية، او يعلق هذا الاختيار على حضور درس والاطلاع على طريقة التعليم٠ وتجنبا لاحتمالات التأذي، اختر مدرسة يتبع مدرسوها تقاليد اللاعنف الشرقية٠ فهؤلاء لا يسمحون لاي طالب بان يوجه ضربات الى اي شخص قبل ان يكتمل اعداده، بينما تسمح المدارس التي تفتقر الى الرقابة اللائقة بان يكيل الطلاب ما يحلو لهم من ضربات تسفر عن اذى لانفسهم وللآخرين٠

اما اذا تعلم المرء هذا الفن واحترم انظمته، فان الكاراتيه تصبح عندئذ بمثابة تمارين للاسترخاء تخفف من توتر الاعصاب ومن الوزن معا٠ ومعظم الذين يتعلمونها لا يجدون انفسهم مرغمين على استخدامها للدفاع عن النفس، بل يشعرون بثقة مستديمة تخفف عنهم كثيرا من مخاوف الوقوع في شرك المعتدين عليهم٠

ونذكر، على سبيل المثال، ان هناك تاجرا قصير القامة، ضامر الجسم، يرتدي حزامه الاسود كلما تنقل بحكم اعماله في انحاء معروفة بعنفها وجرائمها٠ وقد خطرت له فكرة ارتداء الحزام للمرة الاولى عندما هدده لص ضخم البنية من لصوص الشوارع٠ وما كان من هذا التاجر الا ان فك ازرار سترته حتى بان من تحتها حزامه الاسود، فلاذ اللص بالفرار على رغم جبروته٠ لكن التاجر صادف في مرة ثانية مجرما لم يأبه لرؤية الحزام الاسود بل ظل يدفع بالتاجر صوب سيارة للشحن واقفة هناك٠ ومع ان التاجر كان واثقا من قدرته على دحر المجرم، الا انه تصرف على غرار عدد كبير من الـ"كاراتيكا" فخادع المجرم في حركاته وفر من وجهه٠٠٠ وصرح التاجر في وقت لاحق: "لقد هربت بشرف"، واضاف وهو يرفع يده: "كيف يجوز لي ان استخدم هذا السلاح الماضي في وجه رجل اعزل؟"

■ بل سيرفاس



وافقت شركة لويدز للتأمين في لندن على التأمين على حياة رجل ضد خطر الموت بالطريقة التي مات بها الشاعر اليوناني القديم "اسخيلوس"، وهي واثقة من انها لن تضطر ابدا الى دفع قيمة التأمين٠ ونحن نذكر ان اسخيلوس قد مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة افلتت من منقار نسر كان طائرا بها٠

رويتر

حل هندي

اصطفت في الهند جماعتان متنازعتان من السيخ تجاه بعضهما البعض، وقد جرد افرادهما سيوفهم كي ينهوا النزاع بالقتال٠ غير ان اختصاصيا اجتماعيا تدخل ونجح في اقناعهم بتسوية الخلاف سلميا٠ لكن شرف السيخ كان يقتضي ان يراق على جوانبه الدم، فاتصل الاختصاصي الاجتماعي ببنك الدم الذي تبرع له كل فرد من الحاضرين بنصف ليتر من دمه

هيندوستان - تايمس" - دلهي

أفضّل أن أكون أباً

ربما ضاقت النساء بنظرة المجتمع اليهن باعتبارهن ربات بيوت وغاسلات لاقمطة الاطفال. والحق انني ضقت بنظرة المجتمع الي باعتباري رب عائلة يتكسب رزق اسرته.

ان وظيفتي بعيدة كل البعد عن الملل وانا مولع بها حقا. كما انني اكسب منها ما يزيد على حاجتي. ولكني مهتم بتنشئة اطفالي اكثر من اهتمامي برواج اعمالي.

انني، في اختصار، افضل ان اكون أباً.

ولست اعتقد ان هذه الرغبة تضعني في مصاف الرواد الاوائل لجيل جديد من الرجال. غير انها، في الوقت نفسه، لا تعني انني اعاني اي نوع من الشذوذ.

وقد تحدثت كثيرا مع اصدقائي في هذا الموضوع. فبعضهم يبدي رأيه بصراحة، في حين يكتفي البعض الآخر بالتلميح. لكن المضمون واحد، وهو ان العمل ليس مهما في ذاته. فنحن نعمل لكي نحصل على رواتبنا وهذا هو المهم. ولو كانت لدينا وسيلة اخرى لتحقيق هذا الغرض من دون الاهتمام الى هذا الحد بعملنا للجأنا اليه.

بيد ان ثمة اتجاها متزايدا بين الرجال - هو اشبه بالمقاومة السرية - الى الاعتراف بانهم يتمنون تكريس انفسهم للابوة، بالتفاني نفسه الذي يعد طبيعيا في حال الامومة. فهم يريدون ان يكونوا طبيعيين، لا عاديين.

وقد افهمني عدّاء للمسافات الطويلة الفرق بين الاثنين، اذ قال لي ان من الطبيعي ان يتحمل الجسم البشري العدو لمسافة تراوح بين ١٥ و٢٥ كيلومترا. اما كون معظم الرجال لا يستطيعون العدو اكثر من بضع مئات من الامتار من دون ان تتقطع انفاسهم فذلك امر عادي. فالمعتاد ليس مقياسا.

واعتقد انني قد بدأت احس بما هو طبيعي بالنسبة الي. ومن المؤكد ان ما ابتغيه ليس ان اشارك اطفالي الى حد اكبر في حياتهم ومسراتهم، بل ان تصبح حياتي مكرسة تكريسا اكبر لهم. فهذا يتيح لهم ان يعرفوا كل ما يريدون معرفته عني وعن عملي وعن معاملتي للآخرين وعن طريقة قيامي بتخطيط المشروعات وتنفيذها ومقاومتي الازمات والتغلب عليها.

واني اريد ان تتاح لهم المشاركة في اتخاذ القرارات التي تتناولهم، وحتى في بعض القرارات التي لا تعنيهم هم انفسهم، لانني اقدر آراءهم. اريد مثلا ان احدثهم بصراحة عن اسباب التوترات العائلية، واتبادل واياهم الرأي في اسلوب حياتنا معا.

ومن الطبيعي ايضا بالنسبة الي ان اتمنى مشاهدة اولادي وهم يؤدون مسرحياتهم، سواء المسرحيات المدرسية او الحفلات الموسيقية، او اذا كانوا يتفرجون على حيل الساحر او يستمعون الى عزف على البيانو. وانني على استعداد تام لتغيير مواعيد اسفاري ومقابلاتي واجتماعاتي من اجل ذلك. وهذا قد لا يكون معتادا بالنسبة الى الآخرين لكنه طبيعي تماما بالنسبة الي.

انني لا استطيع تجاوز كل الحدود المعتادة. لكني احاول الاسترشاد بما هو معتاد لكي احقق ما انشده، على امل ان يحذو حذوي اقراني الرجال الذين يعتبرون عاديين لا طبيعيين. ولكن انى لي ان اتخلص من كل تلك الرواسب العادية لكي تتكشف ميولي الطبيعية؟

انني اتساءل: ما هو الانجاز الذي حققته في حياتي والذي يعتبر اهم من ابوتي لثلاثة كائنات من البشر؟ ثلاثة لم يكن لهم وجود من قبلي ثم خرجوا الى الحياة في كنفي واخذوا يكسرون ويجبرون ويحبون ويضحكون ويرتكبون الحماقات ويحوكون انسجة من السحر. وسينجبون بدورهم اطفالا لهم ويتهللون ويحزنون.

هذا هو المهم. وانا اعرف ذلك، وقد عقدت العزم على ان افي هذه الابوة حقها. ولكم اتمنى ان اجد بعض العون، وان نعاون نحن الرجال بعضنا بعضا في بقائنا طبيعيين.

اما آن الاوان لكي يقوم احدنا ويعلن انه لا يكفي ان نظل ارباب اسر يكدون لكسب رزق عيالهم؟ ولماذا لا ندعم والدا يطالب باجازة من عمله لكي يرافق ابنه في رحلة مدرسية، او في زيارة متحف او مصنع او مزرعة؟ وما بالنا لا نهنىء الأب الذي يضحي بفرصة في الترقي، فيأبى العودة الى منزله كل مساء وفي يديه حقيبة ملأى بالاوراق، ويمتنع عن ارهاق نفسه بكثرة العمل لكي يكرس بعض الوقت لابنائه.

■ اليوت أ. دالي

كان الابن يلوم آباه على مآخذ جيل الاب، ويقول ان شباب اليوم لديهم: "مثل عليا افضل، وكل شيء افضل مما كان لدى الجيل السابق".
فهز الاب رأسه بحكمة واثنى على كلامه قائلا: "ولديهم ايضا- خصوصا- آباء افضل".

كان روبير شومان، احد بناة الوحدة الاوروبية، رجلا اعزب باختياره ومصمما على ذلك. وقال في هذا الصدد: "بعد ان وزنت جميع الاعتبارات، وجدتني لا ازال افضل السياسة على الزواج. فالسياسة متقلبة مثل المرأة، لكنها اقل غيرة".

م.وا.ج.



الى حماتي الروسيّة مع... محبّتي

كانت حياة سيرافيما غفريلوفنا تظللها سحب الكآبة والأسى. اما الآن وهي تعيش في كنف اسرتها الفتية، فقد اخذت تتكشف لها اخيرا معاني السعادة والهناء.

لم اكن احفل بالدعابات عن الحموات، الى ان جاءت حماتي لتعيش مع افراد اسرتي في شقتنا الضيقة في لندن. فالكثيرون يرون في مثل هذا الترتيب خاتمة الانسجام الزوجي، على ان تلك المرأة الروسية الفارعة ذات الشعر الرمادي الابيض التي انضمت الى اسرتنا الصغيرة عام ١٩٧٣، لم تلبث ان بددت جميع الظنون من هذا القبيل.

بلغت سيرافيما غفريلوفنا السادسة والستين من عمرها من دون ان تطأ

قدماها ارضا خارج الاتحاد السوفييتي. وقد كيفتها ظروف حياتها الحافلة بالخيبة والجور فجعلتها تخشى المجهول أيّما خشية. وقد لمحتها ومعالم القلق مرتسمة على وجهها الوسيم وهي تسير في محاذاة جدار الممر الذي يصل بين قسم الجمارك وصالة القادمين في مطار هيثرو. ولعل حناني لها - وهو السرور المستمر الذي منحتني اياه - قد تولد فيّ في تلك اللحظة عندما ادركت السبب الذي حدا بها الى المجازفة بتغيير نمط حياتها واحسست بمدى معزتها لنا.

وناديتها انا وزوجتي تانيا، الا ان ضباب الذهول حال دون اهتدائها الى موضعنا. وفجأة ضاق ذرع ابننا الذي كان في الثانية من عمره، فصاح بالروسية: "يا جدتي! اني هنا". وكادت صيحة غريغوري تضيع في ضجيج المطار، الا ان اذني سيرافيما تلقفتا الصوت على التو، فانطلقت تتسارع في خطواتها تجاه مصدره من دون ان يعتريها ادنى شك في انها هي الجدة المعنية.

ربما كانت سيرافيما في مظهرها انسانة منطوية على ذاتها وتخونها الشجاعة والاقدام، الا انها ساعة الامتحان تقاوم الخوف كالجندي في ساحة القتال. وقد تحدت الخطر في اول لقاء تم بيني وبينها عام ١٩٥٩، في عهد خروتشوف، حين كان الزائر الغربي لا يزال يوصم في روسيا باعتباره جاسوسا محتملا في اقل تقدير. ولم يكن ثمة روسي واحد بين مئة الف روسي يسمح لاجنبي - ناهيك بشخص امريكي - بان يدوس عتبة داره. وقد التقيت تانيا وهي في السادسة عشرة من عمرها في معرض امريكي كنت اعمل دليلا فيه. وبعد اسابيع من النزهات معا مشيا على الاقدام او وقوفا في طوابير المصطفين امام المطاعم الموحشة، شاءت تانيا ان تكرمني بأكلة روسية بيتية. وكانت تعيش مع امها في غرفة واحدة ضمن شقة سكن جماعية. واتفقت معها على ان الزم الصمت في اثناء اجتيازنا السرداب القاتم المؤدي الى الغرفة مخافة ان تفضحني لكنتي الغريبة لدى الجيران.

ولم اتبين الا في وقت لاحق ان الآذان كانت مشدودة الى الجدارين الجانبيين في الغرفة طوال العشاء. وفي صباح اليوم التالي، بينما كانت سيرافيما تنتظر دورها في الحمام الجماعي، انذرها المخبر المقيم في الشقة أنه سيبلغ السلطة بـ"عملياتها الماكرة مع ضيوف مشبوهين". فارتعدت فرائصها لكنها على رغم ذلك تحدته ودعتني الى تناول الطعام مرة اخرى في غرفتها وكانت نِعم المضيفة.

قالب الحلوى - لقد انقضى خمسة عشر عاما تقريبا على ذلك الوقت قبل ان تجيء سيرافيما الى انكلترا. وكنت خلال هذه الفترة اجد ان جميع الزائرين الروس الذين اجتمعت بهم في الغرب يعانون من اثر الصدمة الثقافية. وقد قالت لي احدى راقصات الباليه السوفييتية ذات مرة: "اننا جميعا جياع الى كل شيء - من جرابات النايلون (الكلسات) الى مظلات المصابيح، ومن ولاعات السجائر الى الغسالات الاوتوماتيكية".

واضافت: "ان وجود متجر تلو الآخر

حافل بكل ما تحلم به، اضافة الى الف سلعة اخرى لا تدري بوجودها اصلا حتى تحلم بها، ظاهرة تفرض عليك ان توصد الباب في وجه هذه الوفرة وما تستتبعه من نمط حياتي غريب كل الغرابة عما درجت عليه، والا جازفت بفقدان السيطرة على نفسك".

لم تكن المحاولات الاولية التي ابدتها سيرافيما في تفهم المحيط الجديد مختلفة عن ذلك الموقف. وقد تضمنت اولى جولاتها السياحية زيارة لاحد المحلات التجارية، لكن هذا كان حافلا بأكثر مما استطاعت استيعابه دفعة واحدة، فبدا كأنه قالب حلوى كبير الحجم سرعان ما يصاب آكله بالتخمة. ولهذا ارادت هي الخروج من المحل حتى قبل ان تضع قدميها على الدرج المتحرك الى الطوابق العليا من المتجر. غير انني لاحظت في اثناء جولتنا القصيرة انها كانت ترقب في بعض الاماكن اشياء كنت لا ابالي انا بها، كأنما عيناها تحدقان في بعض السلع المعروضة التي تيسر لها اجراء مقارنات دقيقة في مخيلتها. كانت تحدق في المصابيح الكهربائية الموضوعة داخل اغلفة وقائية، وفي احذية تقل تكاليفها عن اجر اسبوعي ولا تستوجب الانتظار في طوابير المصطفين للحصول عليها. ولكم طال تحديقها في العشرات من لحوم السلامي المختلفة الانواع والمعلقة في قسم الاغذية من المتجر. وفي ما بعد علمنا انها اتخذت من تلك الظاهرة دليلا على عدم توافر اللحوم الطازجة في لندن، "والا فكيف يستعيضون عن الطازج بكل تلك الانواع من السلامي؟"

واستغرق اقناعها بان السيدة فوغارتي التي تعنى بالواجبات الصحية في مبنى الشقق السكنية ليست عدوة وانما صديقة لنا، عناء كثيرا والحاحا مستمرا. فهي، بما استطاعت التقاطه من الكلمات الانكليزية، فهمت ان السيدة فوغارتي تريد فتح الحديث معها بالاستفسار عما اذا كانت تحب الاقامة في انكلترا. واذا كان ثمة شيء تعرفه سيرافيما حق المعرفة، فهو ان البوابين في مباني الشقق السكنية هم اكثر الناس احتمالا لأن يكونوا مخبري الشرطة الذين ينقلون اليها الاخبار عن نشاطات الناس ومواقفهم تجاه البلد الام. وعليه، فما ان انتهت سيرافيما الى قبول السيدة فوغارتي على ظواهرها حتى اصبح من المتعذر عليها مجرد النظر في عينيها. ذلك لأن الاشتباه الخاطىء في احد الناس بانه مخبر لا يقل في عرفها عارا عن فعل الاخبار ذاته. ولهذا كانت الهدية الاولى التي اشترتها بالعملة الغربية عدا هديتها لغريغوري، هي هدية الى السيدة فوغارتي، وكانت اكبر علبة شوكولاته استطاعت العثور عليها.

السنوات المنغّصة — صعب على الجدة ان تنفض عنها غبار الماضي وتنسى الذكريات: لقد اصبحت طبيبة عام ١٩٣٠ وتخصصت في معالجة الامراض الدرنية. وكرست حياتها، الى جانب مهنتها، للاعتناء بزوجها المهندس الشاب اللامع وبابنتها ناتاشا. لكن ناتاشا اصيبت في الرابعة من عمرها بمرض التهاب السحايا (المنانجيت) وتوفيت في غضون اسابيع من اصابتها. وعلمت

سيرافيما انها هي التي نقلت الى ابنتها جرثومة الداء المميت من احد المصابين في الجناح الذي تشرف عليه في المستشفى، فكاد هذا الواقع ان يؤدي بها الى الانهيار العصبي.

ولم تنقطع كوابيس احلامها الا عندما ايقنت انها تحمل جنينا آخر في احشائها. وفي تلك الاثناء بلغت حملات ستالين التطهيرية عام ١٩٣٧ ذروتها. وفي منتصف احدى الليالي سمع الزوجان طرقا على باب دارهما، واعتقل الزوج واتهم بانه عميل للشرطة السرية النازية مع ان اسلافه قد استوطنوا روسيا قبل قرنين. وقد كفاه ان يحمل اسما الماني الأصل كي يقضي بقية حياته في معسكر للسجناء. اما الزوجة فقد اسقطت الصدمة جنينها الذي طالما تاقت اليه.

ومرت الايام ببطء واملال. وجاء الغزو الالماني عام ١٩٤١ فالتحقت سيرافيما بالجيش برتبة نقيب (كابتن) بموجب قانون التعبئة العامة، وامرت بالتوجه الى احد المستشفيات في سيبيريا، وتزوجت هناك من طبيب جراح في الجيش وانجبت منه طفلتها ثانيا عام ١٩٤٣. وبعد اثني عشر عاما توفي زوجها الثاني بالسرطان، فأصبحت للمرة الثانية وحيدة في حياتها تواجه صروف الدهر وتعول ابنتها التي من اجلها ضحت بكل ما لديها. ومع ذلك ألحّت سيرافيما على ابنتها ثانيا، عندما تزوجنا في موسكو عام ١٩٦٩، بمغادرة الوطن والاقبال على حياة جديدة في لندن.

ومرت عليها بعد ذلك اربع سنوات من العذاب، رفضت خلالها السلطات السوفييتية - على رغم صفاء سجل سيرافيما الحافل بالتضحيات والخدمات الوطنية - ان تستجيب لأي من طلباتها في الحصول على تأشيرة السفر لزيارتنا حتى بعد مولد غريغوري. ولم تكن تلتمس من الحياة شيئا اعز من ان تحضن حفيدها الوحيد وتطوقه بذراعيها. ولم تنل، في نهاية الأمر، تأشيرة الخروج إلاّ على اثر حملة شنتها احدى الصحف الغربية في هذا الصدد.

حب التوابل - ما ان استقرت سيرافيما في الغرفة الصغيرة التي اعددناها لها في شقتنا حتى اصبحت لها صداقات عدة، غالبيتها من الأمهات الروسيات من مجايلتها. وكنت، كلما اقامت حفلات الشاي الروسية العامرة بأنواع الجبن والفواكه والحلويات، اجد الاعذار لمغادرة الشقة. فهي، بحكم عملها كطبيبة في روسيا، تعودت الاستقلال في حياتها، وكان لا بدّ بالتالي من مراعاة كرامتها الشخصية وتزويدها وان بقسط من الاستقلال في حياتها معنا.

ولكنها كانت تلح عليّ في العودة الى البيت قبيل انتهاء حفلاتها. ولم اكن في حاجة الى بصيرة خارقة لمعرفة السبب. فانها كانت تريد التباهي بي امام الاخريات. وانا احس بان الروسيات يقمن في بيوتهن وزنا كبيرا للرجل، على الطريقة القديمة التي لم اكن اتوقع مصادفتها قط في حياتي.

بل كانت سيرافيما تؤنب ثانيا احيانا بصوت خفيض قبل جلوسي الى مائدة الفطور لأن حصتي من الخبز المحمص لم تكن مغطاة بطبقة كافية

من الزبدة. فكيف يجوز لرجل (وهي انما تعني رب اسرة نتكل عليه جميعا) يعمل بجهد جهيد لكسب الرزق ألاّ يفوز إلا بقطعة صغيرة من اللحم في "البُرش"، وهو حساء الخضر الروسي؟ وعلما مني بتفاخرها بالرجل الذي تتزوجه ابنتها ثانيا، فلم اقو على مقاومة شعوري بالاعتزاز.

وعلى رغم قلقها المستمر ازاء ما نتكبده من مصاريف عليها، فقد كانت سيرافيما تشعر بابتهاج عظيم كلما خرجنا سوية الى مطعم صيني او هندي او سوى ذلك من المطاعم الاجنبية. وكانت السهرة في المطعم ممتعة من جميع الوجوه، ابتداء بزخرفة المكان واريج البهارات وانتهاء بالاقداح الملأى على طريقة "غير الملتزمين" بالمشروبات المساعدة على الهضم. اضف الى ذلك انها قرأت في الروايات عن عصير البلوط والارضي شوكي والهليون ولكنها لم تر من قبل مثل هذا البذخ في المأكولات، ولهذا تراها، حين يتذوق فمها هذه الاشياء وكأن جزءا من حياتها قد تكامل الآن.

وهناك مغامرة ايضا قد ابدتها سيرافيما، في مجال آخر، وهي اننا في الاشهر القليلة الاولى من قدومها قد حاولنا جهد المستطاع تجنيبها مشاهدة اي سهرة تلفزيونية تشتم فيها "نكهة البالغين"، حرصا على تمسكها العظيم بالاحتشام. ولكننا عدنا الى البيت ذات مساء فوجدناها مستغرقة لا في مطالعة كتاب وانما في مشاهدة برنامج خاص بالرقص الايحائي الامريكي على نمط "السوينغ" الذي يبعد سنوات ضوئية عن الرقص الشعبي المعتاد في تلفزيون موسكو. ومع ذلك كانت ابتسامة سيرافيما اشبه بابتسامة امرأة تشهد احفادها يأتون اعمالا يأباها الذوق السليم ولكنها اعمال مبتكرة تثير الاعجاب. ومنذ ذلك الوقت كانت تهرع الى التلفزيون كلما اعلمناها بعرض برنامج "نابض بالحياة".

ولكن ما من شيء كان يحجب اهتمامها طويلا عن غريغوري، فهو المحور الثابت في دوامة افكارها ومشاعرها. ولم يكن هو الوحيد الذي يدعوها "يا جدتي"، بل كنا جميعا نناديها بهذا الاسم. وربما كان هذا التعلق منبثقا جزئيا من طبيعة المجتمع السوفييتي حيث تصبح الجدات في صورة اساسية عماد الاسرة في رعاية شؤون البيت وتربية الاطفال في غياب الوالدين في اعمالهما. ولعلّ ذلك التعلق ينبع ايضا من المآسي التي ألمّت بجدتنا.

ولئن كانت سيرافيما غفريلوفنا لا تتحدث الآن عن ماضيها، الا انني ادرك حين اراها وهي تحضن غريغوري بين ذراعيها معنى المقام الذي يحتله هذا الصبي في حياتها، بل استطيع القول انني شهدت بعيني كوابيس الاحلام وهي تنأى شيئا فشيئا عن ناظريها خلال الاشهر الاولى من اقامتها معنا. وما هذه العلاقة القائمة بين الجدة وحفيدها الا ينبوعا زاد حياتي ثراء، حيث علمتني الجدة بتفانيها نحو غريغوري شيئا جديدا عن العطاء والنواحي المهمة في الحياة، واظهرت لي مدى ما كنت اسلّم بوجوده تسليما اعمى.

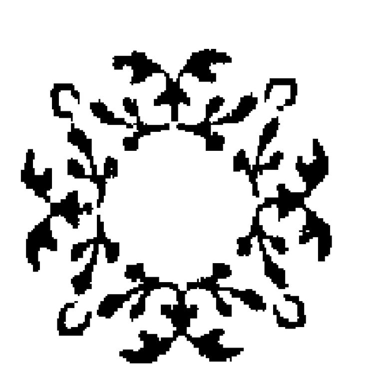
قبلة الحياة — يروقني الاعتقاد ان

الجدة سعيدة في كنفنا، وان تكن لها بعض الشكاوى. الا انني اعلم انها سعيدة بحياتها في الغرب، خصوصا لأنها اصبحت الآن جدة لحفيدة جديدة تتطلب رعايتها ومحبتها، لا سيما وانها تبدو نسخة طبق الاصل عن تانيا في طفولتها. وتجد الجدة الناس في الغرب اسعد كثيرا من السوفييت. وعلى مر الايام يتزايد تقديرها لما تسميه "اخلاقكم الرائعة". وهي لا تزال تعتبر قول الغرباء لها "من فضلك" و"شكراً لك" هبات عظيمة بالقياس الى ما خبرته في الاسواق الروسية حيث يجاهد الفرد من اجل الحصول على ضرورات الحياة، وبالتالي يعتبر الآخرين بالفطرة اعداء له.

وتجدني، اذ يمتدح الناس من خصالي لانني قبلت بان تعيش سيرافيما معنا تحت سقف واحد، احس بانني رجل مخادع في كسب المديح. واذا كانت بعض الحموات قد تسببن في فساد الانسجام العائلي، فان جدتنا جاءتنا بقبلة الحياة. فأنا - اذ ابصرها احيانا خارجة الى الحديقة العامة في نزهتها اليومية وقد اخذت تدفع امامها عربة الطفلة بينما استقل غريغوري دراجته الى جانب منها، او حين ارقبها ايام الصيف تتهادى بتؤدة في مشيتها كأنما تدوس طبقات من الثلج في طريقها - احس بأمواج من الحب تغمر كياني.

انها حقا نسيج وحدها. فهي، على قسوة اختباراتها في الدنيا وبساطة مطالبها من الحياة، تجد في كل يوم يسوده الوئام العائلي عيداً مجيداً. ولكن اليس تسعون في المئة من ابناء جيلي افضل حالا الآن مما كان الجيل السابق؟ انني مقتنع بان الحموات قادرات على جعلنا اكثر سعادة بوجودهن لا بمقدار ما يفعلنه من اجلنا وانما بمقدار ما يذكرننا بالنعم التي بين ايدينا وباننا قوم محظوظون.

■ جورج فايفر



سبب مقنع!

كان من المنتظر ان يعود احد الباعة المتجولين الى منزله نهار الجمعة. فارسل برقية الى زوجته يعلمها بقدومه يوم الخميس.

وعندما وصل نهار الخميس اوقف سيارته وهم بدخول المنزل، فرأى زوجته من النافذة وهي بين ذراعي رجل آخر. فأبى الزوج الغاضب ان يدخل المنزل وآثر ان يذهب الى بيت والدها ويطلعه على الأمر. ولدى وصوله انفجر غضباً وقال: "لست مستعدا لتحمل ذلك! سأرفع غداً دعوى بالطلاق".

فأجابه الحمو ببرودة: "لا تكن متهوراً. فأنا متأكد من ان هناك سبباً وجيها فدعني اتحرى عنه".

فذهب الوالد الى منزل ابنته وعاد ليقول لصهره الغاضب: "هناك، في الحقيقة، سبب مقنع: فهي لم تتسلم برقيتك".

ل.أ.ف.

عيوب التلقائية - ان عددا كبيرا من انصار الترقية التلقائية او الترقية الاجتماعية يسلمون باخفاق التربية الحديثة ويرون ان الترقية التلقائية قد تخلق في الطالب نوعاً من الاتكالية واللامبالاة وتحول دون تنمية احساسه بالتحصيل والتقدم. لكن هؤلاء يصرون، من الناحية الاخرى، على أن اختبارات الحد الادنى من الكفاية والترقيات المكتسبة ليست هي الجواب الصحيح ولا الدواء الناجع، ويعتبرون ان هذه السياسة تجنح الى نوع من التمييز المجحف للاقلية وللطلبة الآخرين من ابناء الطبقات المحرومة. ويضيف الى ذلك برنارد ماك كينا، من اعضاء الرابطة التربوية القومية، ان الطلاب يختلفون جميعا بعضهم عن البعض الآخر وان ليس هناك طريقة دقيقة موثوقة تمكن من التعبير الكمي عن التحصيل الاكاديمي من خلال الاختبار المعياري. ويعتقد ماك كينا ان تطبيق مثل هذه الاختبارات "لا يليق بالطالب ويبعث على ضياع الوقت ويحول دون الانتاج".

اما س. اوين، المدير العام لمدارس كرينسفيل، فيناقش الأمر من زاوية أخرى. ان مدرسة مقاطعته تعطي البرهان على ان الاصرار على الحد الادنى من الكفاية يفضي الى نتائج مجدية وله آثاره البعيدة المدى. وقد بدأ كثير من المربين يشاطرون في الرأي هذا الرائد الثوري الذي يبلغ الخامسة والخمسين من العمر.

تعتبر كرينسفيل، الواقعة على ارض صنوبرية متموجة على مسافة ستين ميلا (٩٦ كيلومتراً) جنوب ريتشموند، ولا يزيد متوسط دخل الفرد على ٣٢٧٧ دولارا. وتخصص موازنة المقاطعة في اعتماداتها التربوية مبلغ ٩٠١ دولار لكل طالب، وهو الحد الادنى المطلق الذي ينص عليه قانون الولاية (تنفق المقاطعات الشمالية معدلا متوسطا يساوي ضعف هذا المبلغ). ويمكن القول على وجه التقريب ان س. اوين قد ساءه منذ اصبح مديرا عاما سنة ١٩٦٨ ان يكون "اطفالنا في الواقع لا يتعلمون ما ينبغي ان يتعلموه او ما يتناسب مع مؤهلاتهم. وقد تسرب الي الشك في ان ذلك يعود الى سياسة الترقية التلقائية التي اتبعناها على غرار الآخرين. لقد قال اصحاب النظريات التربوية ان ذلك السبيل هو الذي ينبغي اتباعه ومعالجة الامور بموجبه، ولم يفكر احد منا نحن المشرفين الفعليين على المدارس في ان يتحدى هذا القول".

ثم نشرت احدى الصحف في عام ١٩٧٣ مقالا حول اختبار التحصيل في انحاء ولاية فرجينيا، جاء فيه ان كرينسفيل هي المقاطعة الوحيدة التي تتخلف عن اهداف الولاية، على كل مستويات الصفوف التي اختبرت. ولدى مقارنة هذه النتائج بالنتائج العامة لكل الولايات المتحدة، جاء ترتيب طلبة كرينسفيل الثالث من اسفل. ويقول اوين: "كان ذلك حينما قررت ان اوقف اعطاء شهاداتنا ذات الاختام المطاطة".

وما لبث اوين ان ابدل الترقية الاجتماعية بسلسلة من الاختبارات المعيارية مرتين سنويا على مستوى كل صف (الفصول). وبالنظر الى تطرف الفكرة، وعدم توافر الدليل

على صحتها، فقد تسببت فورا في اثارة هجوم ناري من جانب قادة الحقوق المدنية المحليين الذين رأوا في العملية تجاوزا على حق المواطنين في التعلم والتخرج.

وفي سبيل الحصول على تأييد، اتصل اوين بالعضو الاسود الوحيد في المجلس المدرسي وهو غارلاند ستيث، صاحب مطعم ناجح وتاجر اخشاب. يقول ستيث: "بقيت لسنوات طويلة اشغّل خريجي المدارس الثانوية، وقد عرفت يقينا ان كثيرين منهم لا يستطيعون القراءة والكتابة ولا حتى التهجئة السليمة. وازعجني كثيرا نوع التعليم المدرسي الذي يتلقاه اطفالي بالذات. وبموجب خطة س. اوين ربما رسب مزيد من الطلاب السود. لكنني شعرت بأن رسوبهم قد يكون النهج الامثل للحاق بأقرانهم - وذلك افضل من السماح لهم بالخروج غير متعلمين الى الحياة حيث لن تتيسر لهم فرصة اللحاق والتعلم".

الضوء الاخضر - واخيرا اعطى المجلس المدرسي اشارة الضوء الاخضر لاوين لكي يمضي قدما في خطته. ويقول اوين وهو يعرض ما حدث: "اعلنا السياسة في خريف عام ١٩٧٣، ولكن لم يصدق احد اننا كنا جادين الى ان حل شهر يونيو (حزيران) من العام التالي حينما رفضنا اجازة ١٣٠٠ تلميذ، اي ما يقارب ثلث الطلاب في مدارسنا". وكان من بين اولئك ما يقرب من ١٠٠٠ تلميذ اعطيت لهم تقارير مدرسية تبين درجات نجاحهم خلال العام استنادا الى تقويم ذاتي من جانب معلميهم".

ويضيف: "وسرعان ما استرعى ذلك العمل انتباه الجميع واهتمامهم. وما لبث اكثر من ١٠٠ غاضب من الآباء ان طالبوا بعقد اجتماع لهم مع مدير المدارس العام. وحصلت المواجهة في ليلة قائظة من شهر يوليو (تموز) في كافيتيريا مدرسةبلفيلد الابتدائية في امبوريا. وكانت الحرارة في حدود ٥٢ درجة مئوية في الداخل. وكان هناك مجموعة من الناس لم ار في حياتي اكثر جنونا من افرادها".

ويقول جوزف هـ. رسل، المنسق الاسود للنظام التعليمي، في موضوع التعليم التعويضي: "كان البيض يسموننا كذابين وشيوعيين، وكان السود يسموننا متعصبين".

عرض اوين بأناة ووضوح الاسباب التي دعته الى تطبيق برنامجه وادلى بملاحظاته وتعليقاته وسط زوبعة من الصراخ والاحتجاجات. وكان الى جانبه غارلاند ستيث الذي استبقى ابنه الراسب في مادة اللغة الانكليزية للصف العاشر. وقد حث اوين الآباء على قبول القرار من اجل مصلحة ابنائهم، غير انه وافق على طرح حل وسط سبق له ان تدارسه مع آخرين: اذا اصر الآباء فانه لا يجد مندوحة من وضع هؤلاء الطلاب في الصف الذي يلي صفهم الحالي لمرة واحدة فقط. ثم كرر موضحا: "قلنا ان هذا سيكون الحل الوسط الوحيد الذي يمكننا تقديمه. وهكذا كان".

وقد استطاع اوين، خلال استفحال مشكلات الدمج المدرسي واستخدام سيارات الاوتوبيس الخاصة بنقل الطلاب قبل خمس سنوات، ان يوحي الثقة باعتباره رجلا له اسلوبه الشعبي الدمث في انجاز الامور ومتابعتها. وقد تجاوب معه اكثر من نصف الآباء

المعنيين ووافقوا على فكرة تأخير ابنائهم والتخلي عن الترقية التلقائية.

اما سلسلة الاختبارات المطبقة في كرينسفيل فيعنى بتصميمها "زملاء البحث العلمي" في قسم شركة "آي. بي. أم." ويجريها لفيف من المراقبين المستقلين من ذوي الدربة، وهي تتناول ثلاثة او ستة مواضيع، وذلك حسب مستوى الصف. وتعطى هذه الاختبارات اولا في الفترة الصباحية خلال ثلاثة ايام متلاحقة في الاسبوع خلال فصل الخريف. وبعد سبعة اشهر يلي ذلك نمط معدل من الاختبارات الآنفة الذكر للتمكن من تحديد ارتفاع مستوى التحصيل بالنسبة الى كل طالب.

ان طلاب كرينسفيل لا "يخفقون في الامتحان" فيطردون بل يبقون في الصف للتزود "بمتسع من الوقت" في الصف او في الدرس الذي احرزوا فيه علامات اختبار متدنية، واما الذين ينالون علامات ما بين مستويات الصفوف فلهم الحق في نصف خطوة من الترقية الى صف اعلى بحيث يقتسمون الصفوف مثل ٤ - ٥ او ٧ - ٨. وحالما يتحسن مستوى تحصيلهم تحسنا كافيا يرقون ترقية كاملة الى الصف التالي.

وحينما يتخلف الطالب ابن الرابعة عشرة من عمره او ما فوق اكثر من عامين عن المستوى الطبيعي فله الخيار (اذا وافق الآباء) بأخذ تدريب المهارة الحرفية في مهن البناء او الزراعة، او اصلاح السيارات او الخدمات الانسانية مثل الاعمال الكتابية او رعاية الطفل. ويقول اوين: "اذا كنا غير مجيدين في ناحية فليس من العيب ان نحول طاقاتنا نحو اخرى حيث يكون في وسعنا ان نعمل احسن".

ولدى اكمال برنامج السنوات الاربع يتسلم طلاب التدريب على المهارة الحرفية شهادة الكفاية، فاما ان يتركوا المدرسة واما ان يستمروا بغية العمل على نيل شهادة اكاديمية كاملة.

النجاح بالعمل - ان الذين تحدثت اليهم من طلبة كرينسفيل يؤيدون النظام الجديد، وقد لخص احدهم الموقف بقوله: "حينما تعلم ان نجاحك يتوقف على عملك فانك لا تتردد في اتمامه". كذلك الآباء فانهم في غالبيتهم متحمسون لهذا الاسلوب. اما النتائج الاخرى فاليكم بعضها:

- قفز معدل ما سجلته المقاطعة من درجات في اختبارات التحصيل على مستوى الولاية اكثر من ٢٠ في المئة. وقد ارتفع المستوى الاكاديمي للصفوف الابتدائية في كرينسفيل بناء على الاختبارات المعيارية من الثالث في اسفل على مستوى الامة، الى النصف الاعلى.
- انخفض عدد الطلبة الذين وضعتهم الاختبارات منذ عام او اكثر دون مستوى الصفوف من ١٣٠٠ في العام الاول الى ٢٧٦ في العام المنصرم.
- هبط معدل التسرب المدرسي من ١٢ في المئة الى ٧،٥ في المئة. كما ارتفعت النسبة المئوية لمتخرجي الصفوف النهائية الذاهبين الى الكليات من ٤٥ الى ٨٩ في المئة.

تدعي السلطات المدرسية ان كل ذلك قد تم انجازه من دون اضافة كلفة كبيرة الى النظام المدرسي.

تقول ديبوراه رانك مديرة التدريب في المقاطعة: "انها مسألة تتعلق بطريقة جمع الطلبة في الفئات الخاصة بهم، وبمعرفة مستوى التعليم الملائم لكل فئة. فالمعلم صاحب التأهيل المتعلق بالصفوف من الرابع حتى السابع يمكن ان يدرس الصف الرابع مدة عام ثم ما بين الرابع والخامس في العام التالي، وفقا للحاجة. وقد باتت المدارس العامة تركز على استخدام نخبة المعلمين الاكفياء حرصا منها على تحسين نوعية ما يعلم فيها، اذ من دون هذه النوعية الجيدة لن تكون هناك قيمة تذكر لاختبارات الحد الادنى من الكفاية.

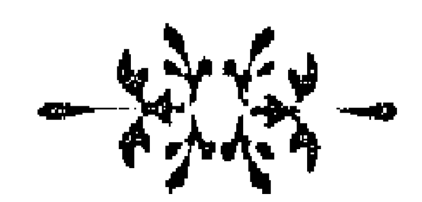
وحينما ذاع امر برنامج اوين في طول البلاد وعرضها عبر كثير من المربين والآباء والمشترعين والصحافيين داخل الولايات المتحدة وخارجها، حتى في بلاد نائية تايلاند، عن اهتمام نشط بتجربة كرينسفيل الرائدة. لكن الحد الادنى من الكفاية لم يصل الى درجة الشيوع بعد ولا ينتظر له ان يعم المدارس كلها بين عشية وضحاها. فهناك ولايتان اثنتان فقط هما اريزونا واوريغون، قد اخذتا به حتى الآن، وتشترطانه للتخرج في مدارسهما العامة. ومن المحتمل ان تقره ولاية نيويورك — وربما ولاية فلوريدا — وتشترطانه للصفوف المتوقع تخرجها عام ١٩٧٩. وفي الوقت ذاته اقر ٢١ مجلس ولاية تربويا و١٢ هيئة تشريعية محلية نوعا من اختبارات الحد الادنى من الكفاية، وقررت ان تضعها موضع التنفيذ خلال السنوات الخمس المقبلة. كما ان هناك برامج مماثلة تجرى دراستها وتطويرها في اغلب الولايات الاخرى. ويقول جورج وبير عضو مجلس التربية الاساسية: "ان الحد الادنى من الكفاية لتخريج طلبة المدارس الثانوية يعتبر اشد المواضيع الفردية الحاحا في التعليم الثانوي المعاصر".

ويرى س. اوين انه ما ان تبدأ المدارس تطالب بالتحصيل الفعلي للتخرج فلن يطول الامر بها — والمسألة لا تعدو كونها رهينة الوقت — حتى تبادر الى تطبيق القاعدة ذاتها في الترقية من صف الى آخر.

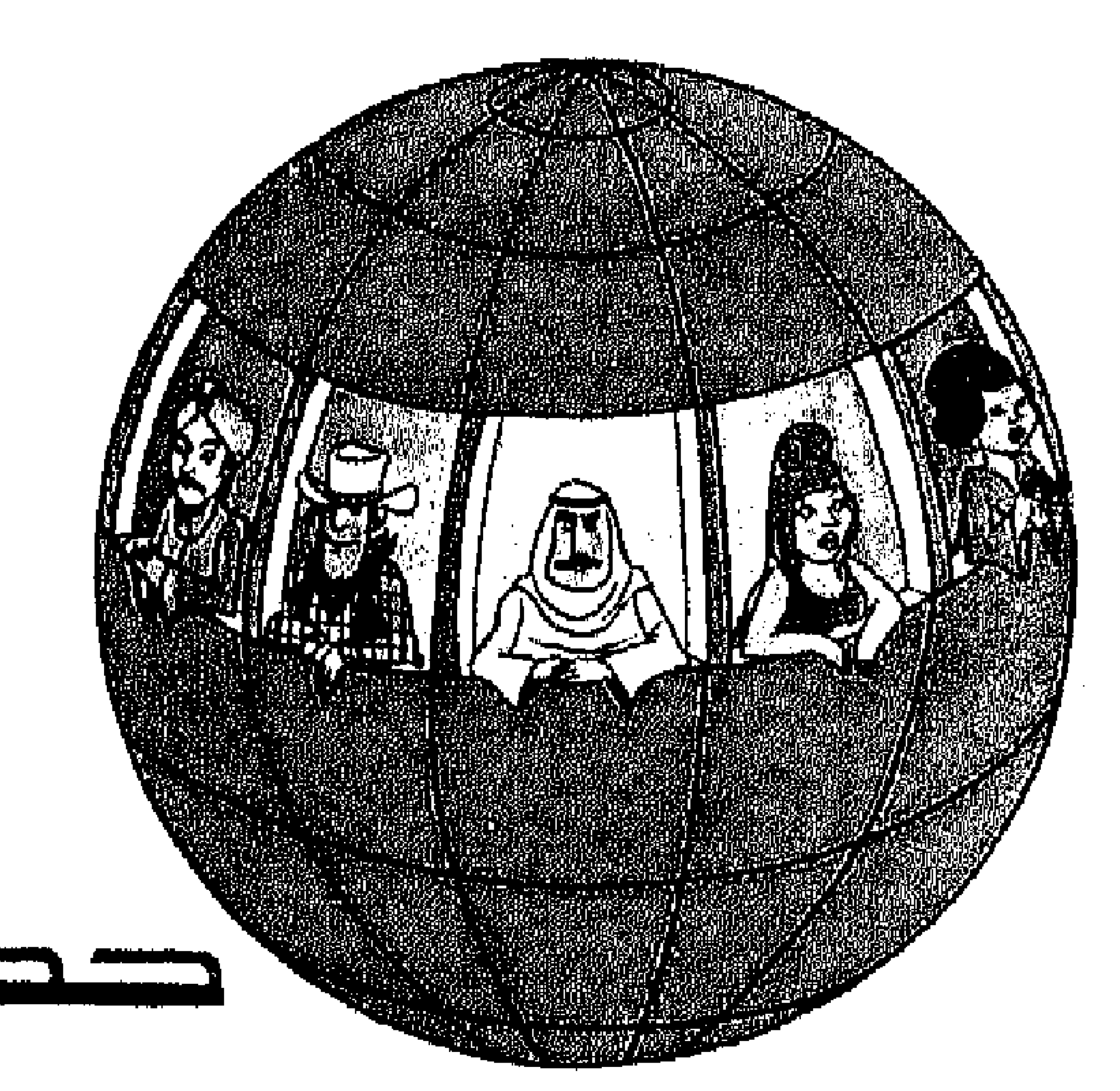
ويضيف اوين: "ليس من الخطأ ان يكرر الطالب درسا او يعيد صفا لم يتقن مواده ومتطلباته. اذكر انني حينما كنت في المدرسة رسبت في مادة الرياضيات للصف الثامن وكان عليّ ان آخذ هذه المادة مرة اخرى. وبما انني اجدت تعلم المادة في المرة الثانية فقد اصبحت مولعا بالرياضيات منذ ذلك الحين".

ويأمل اوين في ان يتمكن المزيد من الطلاب من جناء متعة التعلم وثماره بفضل الترقيات المبنية على الجهد الحقيقي من جانب الطالب وجدارته باكتسابها.

■ سيدني هـ. ستيبلتون



انني افضل الغزل على الزواج، لأن الغزل مثل بطاقة الاستعارة من المكتبة.. فأنت لا تستعير الكتاب نفسه مرتين ابدا.



حكايات صغيرة من العالم

هاو محظوظ

سمع احد هواة صيد السمك المتحمسين عن الفرص الرائعة لممارسة هذه الهواية في ايرلندا، فعزم على قضاء اجازته هناك، واستقل الطائرة ونزل في فندق فخم واهتدى الى دليل يصحبه الى البحيرة كل يوم طوال اسابيع اقامته الثلاثة.
الا ان الاسماك لم تقبل عليه، وظل يعود كل يوم بيدين خاويتين. وفي اليوم الاخير من اجازته، وفّق في النهاية الى صيد سمكة واحدة فالتفت الى الدليل وقال له: "هل تدرك ان هذه السمكة قد كلفتني ثلاثمائة جنيه (يقصد نفقات الاجازة)؟".
فرد الدليل: "من حسن حظك اذا انك لم تصطد اثنتين".

ا.ا.

انتقام المترفين؟

نشب خلاف بين ناد برازيلي واحد اعضائه المترفين، فطرده من عضويته. وقد اراد المترف الانتقام فاستأجر حوامة (هليكوبتر) والقى نحو ٩٠ كيلوغراما من حبوب الدواء الفوارة في حوض السباحة التابع للنادي.

ج.ك.

رياضة اكل الخاصرة

في العام ٤٥٠ قبل الميلاد، درجت موضة غذائية في اليونان حول بعض المنتجات، فاستحوذت وصفة "اويل جيبو نزس" بصورة خاصة على اختصاصيي الطعام. وفي ذلك العهد كان المحاربون يأكلون عادة قلب الاسد لكي تشتد فيهم قوة الشجاعة والاقدام. وكان العداؤن يأكلون كبد الايل لكي تزداد سرعتهم. فاشار اختصاصيو التغذية على الرياضيين ولا سيما المصارعين، الذين تلزمهم العضلات القوية ان يأكلوا لحوم الحيوانات العضلية، كالثور، لكي تتضاعف قوتهم. وهكذا بدأت هواية رياضية تمارس منذ اكثر من ٢٠٠٠ سنة، وتقوم على التمتع بخاصرة البقرة.

ج.د.

منافسة صينية!

اجرت احدى المؤسسات التجارية في ملبورن (اوستراليا) محاولة ترويجية لبيع حاسبات جيب الكترونية فنظمت مباراة بين الحاسبة الحديثة والمعداد الصيني القديم الذي يرجع عهده الى القرن الخامس عشر. ففاز المتباري في المعداد تسع مرات من اصل عشرة.

بعض الأطباء!

حدث رجل صديقا له عن مهارة طبيبه فقال: "انصحك بهذا الطبيب. فاذا كنت لا تتحمل العملية الجراحية، تكفل هو بتصحيح الصورة الشعاعية".

التنجيم، كشف البخت، الصحون الطائرة وغيرها من الظواهر غير الطبيعية لا تزال تحيط الانسان بمجموعة من المعتقدات التي يختلط فيها الواقع بالوهم. هنا ضوء على بعض هذه الظواهر.

ماذا يقول العلم في الخرافات والخوارق والظواهر غير الطبيعية؟

لعل اقصى درجة بلغها وشوق الجماهير بالاطباق او الصحون الطائرة هي تلك التي حققها فيلم "اللقاءات حميمة من النوع الثالث"، الذي شاهده ١٦٥ مليون شخص منهم ١٢٠ مليونا في الولايات المتحدة و٤٥ مليونا خارجها، حتى آخر يونيو (حزيران) ١٩٧٨. غير ان الاطباق الطائرة ليست الظاهرة الغريبة الوحيدة من "اللقاءات الحميمة" التي حفلت بها حياتنا في الآونة الأخيرة.

فهناك روايات متعددة تثير استغرابنا وفضولنا عن "مثلث برمودا"، وحكايات تذهلنا عن رواد الفضاء في الزمن القديم واقاصيص تسلينا عن مآثر اولئك الاشخاص الذين يلوون المفاتيح عن بعد بقوة تأثيرهم النفسي وسواها.

وقد تناول المؤلفون هذه الامور وغيرها من الموضوعات الغريبة المتعلقة بالتكهن وكشف البخت ووضعوا في شأنها كتبا تباع منها ملايين النسخ (على حين تظل المؤلفات العلمية التي تنقضها لا تجد من يشتريها ويعلوها الغبار على رفوف المكتبات)، كما اصبح التنجيم

يلاقي رواجا واسع النطاق لدى الجماهير، واخذت البدع الدينية الدخيلة الشاذة تجتذب اعدادا متزايدة من الناس.

فما هو وراء انفجار الاهتمام بهذه الامور حتى بين الكثيرين الذين يعدون من اهل الحساسية والذكاء في النواحي الاخرى؟ هل نحن نرتد الآن الى الوراء ونتخلى عن الاصول العلمية للتفكير المنطقي، وتقصي الادلة والقرائن، والاختبار المتزن الرصين وما الى ذلك من المبادىء التي بلغت من خلالها الحضارة الانسانية مستواها الحالي؟ ام هل فقد العالم ذلك الحافز الفريد الذي يحرك مساعيه لتناول الحقيقة الموضوعية وتلمسها عن كثب قدر المستطاع؟

مكافحة الخرافات ـ لقد اقتصرت اثارة مثل هذه الاسئلة والاجابة عنها في الماضي على المعلقين والصحافيين. اما العلماء، الذين اشتهروا بالتفكير الهادىء، فكانوا يحصرون اهتمامهم في انابيب اختباراتهم ويتجاهلون مثل هذه الترهات باعتبار انها لا تليق بهم. ويبدو ان الموقف قد تغير هذه المرة، اذ ان بعض العلماء، ومعهم طائفة من المربين والكتاب والحواة والسحرة (فضحا للحيل والتضليل)، يتكاتفون الآن لمكافحة هذه الخرافات. وقد انشأ هؤلاء منظمة لهذا الغرض في الولايات المتحدة، هي "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية"، تعمل لاستقصاء الروايات عن هذه الظواهر بروح التدقيق الحر، ولمعاونة الجمهور على التمييز بين الحقيقة والخيار في هذا الصدد. وتضم اللجنة العالم الحجة في شؤون الاطباق الطائرة فيليب ج. كلاس، والساحر جيمس راندي والعالم الفلكي كارل ساجان وعالم الكيمياء الحيوية اسحق اسيموف والخبير في علم النفس السلوكي ب.ف. سكينر. ولا يقل هؤلاء العلماء والخبراء اهتماما بالروايات المسلية عن اي شخص آخر.

وقد اظهرت اللجنة، خلال عمرها القصير، مقدارا كبيرا من الدهاء التكتيكي، فتقدمت الى لجنة المواصلات والاعلام الاتحادية بشكوى تتهم عرضا تلفزيونيا بالتحيز في تقديم موضوع عن الظواهر الخارقة، واصدرت صحيفة بعنوان "المحقق المدقق" (★) وعقدت مؤتمرات صحافية تحدت فيها عددا من اسخف المزاعم الرائجة، فضلا عن رعايتها حاليا لمجموعة من التحقيقات والاستقصاءات التي تسعى الى ابراز التمييز بين الحقيقة والدجل.

ويرى بول كورتز، مؤسس "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية" ورئيس مجلس ادارتها، واستاذ الفلسفة في جامعة ولاية نيويورك في مدينة بفالو، ان الفيض الحالي من السفسطة اللامنطقية المتسترة بقناع العلم الزائف قد اصبحت تهدد باغراق الناس في طوفان من الهراء التام.

ويقول: "لقد تفشت المزاعم الخرافية كالوبأ الجارف خلال السنوات الاخيرة، لان الكثير من الديانات التقليدية قد فقدت دلالتها ومغزاها لدى الناس، فلجأوا الى وهم الخوارق يبحثون فيه عن مغزى جديد".

(★) يتولى رئاسة تحريرها كاتب هذا المقال.

الباحثون والمذهبيون – ويلاحظ كورتز، في ما يختص بالتنجيم، مثلا، ان "العالم الغربي كان ينظر نظرة واسعة الى التنجيم عام ١٩٠٠ كمجرد ظاهرة تاريخية غريبة عفا عليها الزمن واثبتت زيفها مجموعة كاملة من الاكتشافات العلمية، وقلما كان شخص مثقف او متعلم ينسب اي مقدار من الحقيقة الى التنجيم. اما الآن فقد انعكست الآية، وغدونا نجد حتى بين الذين يدعونهم من اهل الخبرة والدراية، افراداً ينادون بايمانهم به، كما اصبح آلاف البشر يراجعون طالعهم اليومي محاولين الاهتداء من خلاله الى تحليل شخصياتهم وسبر تجاربهم. وهذا كله هراء وتبديد للجهد والوقت والموارد".

ويقول عضو اللجنة، الفلكي (وفاضح زيف التنجيم) دنيس رولينز: "بعد انقضاء قرون عدة على ظهور التنجيم، يستحيل حتى الآن حصر تجربة واحدة يمكن تكرارها علميا لاثبات مجرد تأثير النجوم على البشر الذي يزعمه المنجمون".

غير ان هناك علماء لا يرفضون كل الظواهر غير العادية على اطلاقها، خصوصا في مجال الادراك خارج نطاق الحواس، (مثل التخاطر، وحدة البصيرة وبعد النظر). فقد خلص بعض الباحثين، ممن اعتمدوا اساليب الاستقصاء التجريبي التقليدية، الى القول بان بعض مزاعم الادراك خارج نطاق الحواس قد يسلم بها العقل ظاهرا. ويحذر مارسيلو تروزي، عالم الاجتماع والعضو السابق في اللجنة، من عدم التمييز بين الباحثين في الظواهر "شبه العلمية" – كالذين يعنون مثلا بمجال الادراك خارج نطاق الحواس – المذهبيين "الصوفيين" المؤمنين بالقوى الخفية وبامكان اخضاعها للسيطرة البشرية والذين يتعذر ايضاح مزاعمهم في شكل تجريبي.

وترى "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية" ان الانصاف يقتضي الاستماع الى الافكار وتمحيطها مهما بدا من سخفها وغرابتها. ويقول اسيموف، ان مثار الجدل ليس هو موضوع الافكار – لان الكثير منها يبعث على الاثارة ومنها ما يقبل التجربة – وانما موضع المناظرة ينحصر في التفريق بين المواقف التي لا تقبل المناقشة او التمحيص، والجدية الصارمة التي تلتزم بمناهج التدليل ونوعية الاحكام المستندة الى البحث والتحليل السليم.

ومن الحالات التي انتقدتها اللجنة بلا هوادة، حالة الاسرائيلي "صاحب القوة النفسية" اوري جيلر، الذي ثار حوله كثير من الجدل. فهو زعم انه يستطيع ان يحرك الاشياء المادية او يشكلها – كأنه يثني المفاتيح مثلا – بمجرد قوته العقلية.

وكان اعند المتحدين لمزاعم جيلر، عضو اللجنة والمحرر في مجلتها جيمس راندي الذي يقول ان في مقدوره ان يقلد تماما، بوسائل السحرة والحواة المعروفة، كل ما قام به جيلر من مدهشات. ومن مزاعم جيلر انه يستطيع ان يعيد تسيير الساعات المعطلة بمجرد القوة الروحية. وهو يطلب من الحاضرين ان يمسكوا الساعات المعطلة في ايديهم، ثم يعمد الى "التركيز"

فيجعلها تدق من جديد· وعندما اجرى اعضاء اللجنة استقصاء شمل سبعة من تجار الساعات والمجوهرات، تبينوا ان خمسين في المئة في المتوسط من الساعات التي يأتي بها اصحابها لاصلاحها هي ساعات سليمة ميكانيكيا لكنها قد تأثرت بما دخلها من غبار او قذارة او بتصمغ زيت التشحيم فيها· وعندما يسخن الزيت بفعل حرارة اليد فانه يفقد لزوجته التي تعطل حركة الاجزاء التي يشملها فتعود هذه الى الحركة· وقد اختبرت اللجنة بالفعل ١٠٦ ساعات اتى بها اصحابها لاصلاحها، فوجدوا ان ٦٠ منها عادت تتحرك بعد امساكها في باطن اليدين لبضع دقائق·

الصحون الطائرة — وليس ثمة شيء يستدعي التمحيص اكثر من الاطباق والاجسام الطائرة المجهولة· فقد تكاثرت التقارير عن رؤية هذه الاطباق الى حد يتعذر معه اهمال هذا الامر، لا سيما ان كثيرين ممن يعتقدون بوجودها يعترفون في الوقت نفسه بان الكثير من هذه المشاهدات قد تعزى الى عدد من المصادفات الطبيعية او الى اشياء من صنع الانسان· وعلى رغم ذلك فان بعض هذه المشاهدات العرضية تبدو من وقت الى آخر "متعذرة التعليل والتفسير"، ومن ثم تصبح احداثا مشهورة·

واذا اريد البحث في هذه الظاهرة بحثاً جديا منفتحا للافكار الجديدة، فلا بد من التركيز على هذه المشاهدات المتعذرة التفسير· وهذا ما حققه فيليب كلاس، اذ اجرى دراسات ميدانية شاملة في هذا الصدد، تستند الى درايته الوثيقة بالطيران وبهندسة الالكترونيات، فازاح الغموض عن عدد من التقارير التي يصعب نقضها عن مشاهدات الاجسام الطائرة الغريبة· وقد سبق ان نشر مقال عن نتائج بعض هذه الدراسات في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ من مجلة "ريدرز دايجست" بعنوان "ثلاثة اطباق طائرة - ما هو نصيبها من الحقيقة؟"· ويقول فيليب كلاس بثقة وتأكيد: "على مدى اثني عشر عاما قضيتها في استقصاء عدد من اشهر التقارير عن مشاهدات الاطباق الطائرة واكثرها نصيبا من التأييد لم اجد حتى الآن تقريرا واحدا لا يمكن تفسيره باحداث عادية بعيدة الصلة بالخوارق"·

ومن بين المجالات الاخرى التي اجتذبت جمهورا كبيرا من الناس موضوع الايقاعات الحيوية التي تحددها تواريخ الولادة· فليس هناك من شك في ان النباتات والحيوانات، والبشر ايضا، يتميزون بعدد من الانماط الدورية التي يتأثر كثير منها او يتزامن مع بعض العوامل الخارجية المعينة، مثل دورة النور والظلام، او اوقات الوجبات او جداول الواجبات الاجتماعية، الخ· غير ان مروجي حكاية الايقاعات الحيوية قد ساروا خطوة ابعد من ذلك، اذ انهم يزعمون ان معظم الناس يخضعون لدورات من الايقاع الحيوي تختلف مدتها - باختلاف الشخص - من ٢٣ الى ٢٨ او ٣٣ يوما، وتؤثر على ادائه البدني والعاطفي والفكري·

وقد اجرى احد مساندي اللجنة، وهو عالم الاجتماع ويليم سيمز بينبردج، تسعة اختبارات احصائية

على نظرية الايقاع الحيوي الذي يحدده تاريخ الميلاد، وشملت هذه الاختبارات تقييما لاداء لاعب الغولف الشهير ارنولد بالمر و١٧٤ من اقرانه، اضافة الى ٩٥ هجمة فاشلة في دوري لعبة البيسبول قام بها ٧٥ لاعبا مختلفين. وكانت النتائج التي اسفرت عنها تلك الاختبارات لا تختلف في كثير او قليل عما يمكن توقعه في حدود نظرية الاحتمالات والمصادفات العادية.

ومن ادعاءات انصار الخوارق ان العلماء غالبا ما يتجاهلون التقارير التي تخرج عن نطاق المجالات المألوفة للبحث العلمي، وهذا ادعاء لا شك في صحته. غير ان سلوك العلماء على هذا النحو لا يرجع الى اي اقتناع من جانبهم بانهم يملكون احتكارا من اي نوع للحقيقة المطلقة، وانما مرده الى طبيعة العلم نفسه. ففي معظم الاحوال يكون سبب اعتبار مجال معين من مجالات الاستقصاء "خارجا عن النطاق الطبيعي" او في "نطاق الخوارق" هو ان هذا المجال يصعب فيه تطبيق منهجيات البحث العلمي، او ان الادلة المقدمة غير مقنعة او واضحة السخف والهراء.

وعندما يحاول عالم جاد بالفعل البحث في فكرة خارجة عن المألوف فانه كثيرا ما يجد ان ذلك يستغرق منه وقتا طويلا ثمينا بلا طائل، كما يحدث لدى محاولة استقصاء مزاعم اريك فون دينيكين، الكاتب السويسري، الذي يدعي ان الاحداث المهمة في تاريخ البشرية يمكن تفسيرها بانها نتيجة زيارات قام بها الى الارض رواد جاؤوا من الفضاء الخارجي في الزمن القديم. وقد الف فون دينيكين في هذا الصدد كتبا طويلة، منها "مركبات الآلهة"، من الفضاء الخارجي" و"ذهب الآلهة". واذا حاول عالم ان يستقصي هذا الركام من الادعاءات والتخمينات، فان زملاءه قد يلومونه على اهماله كثيرا من فرص البحث الثمينة التي يمكن ان ينصرف اليها وقته وجهده بدلا من استقصاء هذا الهذر الذي لن يمنع السذج من مواصلة الاعتقاد بان حضارة البشر كلها قد تصدقت عليهم بها مخلوقات من الفضاء الخارجي، على رغم مما يقوله النقاد الخبراء، مثل الفلكي كارل ساغان، الذي كتب: "لم اصادف على الاطلاق اي كتابات مشحونة بالخلط المنطقي والتصوير الخاطىء للحقائق مثل كتابات فون دينيكين".

ولا تدعي "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم عن الظواهر غير الطبيعية" انها تملك اجابات نهائية حاسمة تفسر جميع الظواهر التي يدور حولها الجدل. فالكون شيء هائل مليء بالاسرار، وجهلنا به شاسع عريض لا يزال يحتاج الى اضواء كثيرة تستمد من التجربة والفكر العلمي المنطقي. غير ان هدف العلم هو معالجة المشكلات بطريقة تجعل الوصول الى اجابات شافية امرا ممكنا، حتى وان اسفرت تلك الاجابات عن ابراز مجهولات جديدة وراءها.

وقد كتب اينشتاين مرة: "ان الخيال امر طيب، ولكنه يجب ان يخضع دائما لعين النقد التي تحكمه وتختبره على اساس الحقائق الثابتة".

■ كندريك فرازير

قسيمة إشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً
على ان تدفع بدل الاشتراك بعد ثلاثة اشهر .

الاسم : ....

العنوان : ....
....

التوقيع : ....

التعريفة: ☐ سنة ☐ ستة اشهر

بالبريد العادي ١٥ دولارا ٨ دولارات

بالبريد الجوي تضاف الى التعريفة العادية بدلات الارسال جوا .

يرسل بدل الاشتراك اما شيكا باسم "المختار"

AL MUKHTAR

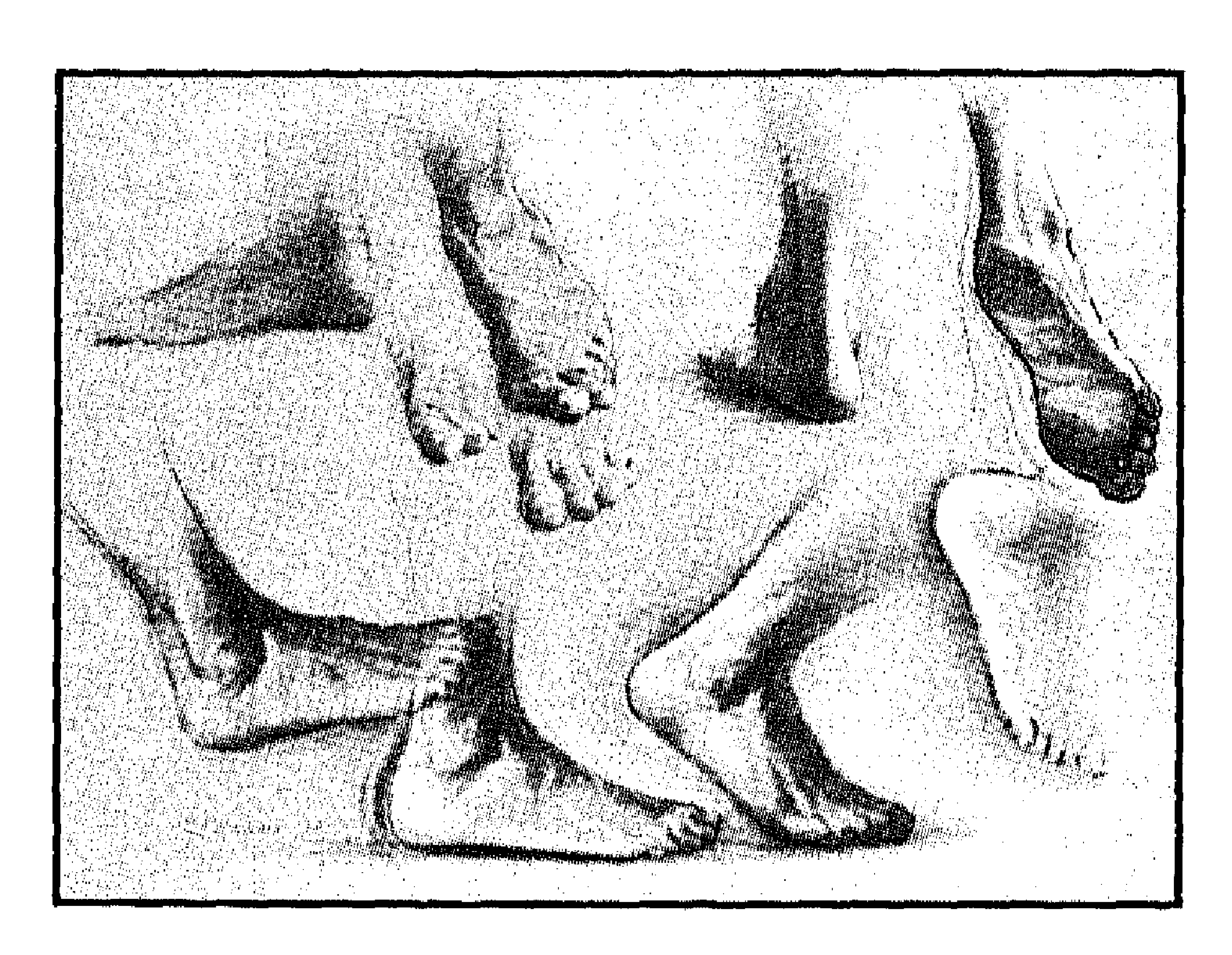
واما حوالة باسم "المختار" على:

Banque de la Méditerranée France
23, Rue Quentin Bauchart 75008 Paris FRANCE

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

العناية بالقدَم توفر ٥٠ عِلّة



ان قدم الانسان مركب رائع يؤدي وظائف تعجز عنها اي آلة على الارض، لذلك هي تتطلب ــ وتستحق ــ كل عناية واهتمام.

تتعرض القدم البشرية لكثير من الامراض يقارب عددها الخمسين، ومنها مسمار القدم والجسأة (وهي جزء من الجلد متصلب او غليظ) والبثرة والظفر النامي في داخل اللحم والورم الملتهب في مفصل ابهام القدم والثؤلول (اي النتوء الصلبة المستديرة) والوثء (التواء المفصل) او العدوى الفطرية والزوائد العظمية التي تنمو عادة في عقب القدم وتسبب الالم في اثناء السير. لكن المتخصصين في عناية القدم او اطباء القدم كما يسمونهم يجمعون على القول بتمكن الانسان من تجنب تلك الامراض كلها باعتبار انها تكاد تكون دائما نتيجة الاهمال او سوء الاستخدام.

والواقع ان العناية الصحية التي

تتطلبها القدم بسيطة نسبيا، لا تتجاوز امرين: الوقاية الحسنة، كالنظافة والعادات المفضية الى الصحة واستخدام الاحذية المناسبة.

والعبء الذي تتحمله القدم ثقيل، فلو ان هذا العبء قد وقع على احدى اليدين، لما انقضى وقت طويل قبل ان تتورم وتعجز عن العمل. وانه لمن حسن الحظ ان يكون باطن القدم مغلفا بداية من الكعب حتى الاصابع بطبقة سميكة من الغشاء الليفي تحيط بالعظام وتمتد تحت الجلد وتسمى الشقة الاخمصية (الباطنية). فاذا اضفنا الى هذا الغلاف الواقي ما تتميز به القدم من بنية عظمية بديعة التكوين فهمنا كيف انها تتحمل عبء الصدمات المتراكمة التي يصل ثقلها الى مئات الاطنان كل يوم، وهي على رغم ذلك تستمر في اداء عملها لسبعين عاما او تزيد من دون ان تنهار.

ويجدر هنا ان نشير الى رأي طبيب القدم الدكتور رينشارد.و.شوستر من كلية نيويورك لطب القدم في مانهاتن، فهو يرى ان القدم كانت يدا في يوم من الايام. اذ انها تحتوي على ٢٦ عظمة، وهو ما يوازي عدد عظام اليد تقريبا ويخضع للترتيب نفسه اساسا.

ويعتقد الدكتور شوستر ان معظم مشكلات القدم ترجع الى عاملين، اولهما تخلف القدم في تطور نموها: فهي لم تتواءم تماما بعد مع وظيفتها كرافعة دافعة للجسم. ويتفاقم هذا الامر من جراء هوس الانسان برصف كل مكان ممكن بمواد لا تناسب الاقدام الطرية التي ارادت لها الطبيعة ان تنثني على ارض المروج اللينة.

اما العامل الثاني فهو بطء نمو ميزات الجنين (الخصائص الجنينية). وهو يقول في هذا الشأن: "يكون الطفل قبل ولادته ملتفا على نفسه في ما يشبه الكرة، وتكون قدماه متقاطعتين او انهما لم تستقيما بعد بحيث تصبحان على زاوية قائمة بالنسبة الى الساقين كما هو المعتاد. فالعظام تحتفظ بليونتها ولدونتها حتى بعد الولادة، ولا تعتدل الا بحلول السن الخامسة او السادسة. اما القدمان والساقان فلا يكتمل نموها الا في السن العشرين تقريبا".

وتتضمن كل قدم، اضافة الى العظام، ١٩ عضلة والاوتار الخاصة باثنتي عشرة عضلة اخرى من عضلات الساق وما يزيد على مئة رابطة، فضلا عن تلك الطبقات المتينة من الشقة الاخمصية التي تقوم بمهمتي الوصل والوقاية كذلك الاظافر التي تقي اصابع القدم من الاذى اذا قلمت على نحو مستقيم من جانب الى آخر.

وتحتوي القدم على امتار عدة من الاوعية الدموية وشبكات معقدة من الاعصاب. من هنا كان فحص القدم يساعد الطبيب الاختصاصي بها على تشخيص بعض الامراض الاخرى مثل البول السكري ومرض القلب واضطرابات الكلي، فيحيلها على زميله الاختصاصي بهذه الامراض.

وظيفة القدم - وعندما تؤدي القدم وظيفتها فهي تمر بثلاث حركات الى الامام:

١ - اصطدام الكعب بالارض.

٢ - حركة افقية انتقالية هي من قبيل مرحلة التوازن.

٣ - حركة الاصابع الاندفاعية، وبذلك

٥ نصائح للاعبي كرة القدم

لقد ادى ازدهار رياضة العدو والهرولة اخيرا الى زيادة ضخمة في اصابات القدم وآلامها. واليك هنا بعض النصائح التي يقدمها الدكتور ريتشارد س. جيلبرت رئيس الاكاديمية الامريكية لطب رياضة القدم:

☐ اشتر حذاء العدو الذي يناسب قدمك. فليس هنالك حذاء واحد يناسب الجميع. ولكي تتوافر لديك القدرة على استيعاب الصدمات ابحث عن الحذاء الذي يتميز بنعل سميك وان لم يكن صلبا وبكعب مرتفع.

☐ مارس من التمرينات ما يشد عضلات بطن الساق واوتار بطن الركبة ويقوي العضلات الامامية قبل العدو وبعده. وتذكر ان شد الطرفين على نحو ثابت تدرجي (كما هي الحال في اليوغا) اكثر فعالية من الاسلوب القذائفي (عن طريق مد الطرفين بعنف).

☐ بعد فترات المرض او التوقف عن التمرين لا تحاول ان تستعيد مستوى اللياقة السابق الا على مراحل متدرجة. لا تتعجل.

☐ لعلاج كثير من الحالات مثل تشظي القصبة (وهو الالم الذي يصيب اسفل الساق نتيجة للعدو على السطوح الصلبة) والتهاب الوتر، قد يكون من المستحسن انقاص مسافة العدو بدلا من الراحة التامة.

☐ تجنب مقدار الامكان العدو لمسافات طويلة على الاسفلت او الخرسانة او حتى على الدروب المخصصة للعدو. وحاول ان تجد بدلا من ذلك ارضا مستوية.

تنتهي القدم بسهولة الى وضع يسمح للقدم الاخرى بتكرار هذا الايقاع الانتعاشي الذي يتيح السير في اصح صورة.

(والواقع ان اطباء القدم يعتقدون ان المشي المنتظم السريع افضل من العدو او الهرولة للاحتفاظ بلياقة القدمين).

والعدو بطبيعة الحال يزيد من الضغوط التي تقع على القدمين. فلاعبو كرة القدم الذين يخطون في المباراة الواحدة ما يقرب من ١٠٠٠٠ خطوة قوية يعرضون اقدامهم لتراكم الصدمات بما يتجاوز ١٠٠٠ طن للقدم الواحدة.

وعلى رغم ما تتعرض له الاقدام من اذى، فانها تستطيع ان تحملنا الى مسافة تبلغ في المتوسط ١٠٥٠٠٠ كيلومتر او ما يعادل السير حول الكرة الارضية مرتين ونصف مرة في غضون عمر الشخص الواحد. ويرى اطباء القدم ان من بين طرق المحافظة على صحة القدمين رفعهما كلما امكن ذلك على اي سطح قريب. كما يوصي الاطباء بالحفاء، خصوصا على الابسطة والحشيش والرمل - وليس على السطوح الصلبة - حتى يتاح لعضلات القدم ان تنثني وتقوى على نحو ما ارادت لها الطبيعة. ومن المستحب في نظرهم لوي القدم وتدويرها في اثناء الجلوس، فمن شأن ذلك ان يحافظ على حيوية العضلات ونشاط الدورة الدموية.

لكن القدم طرف قوي شديد المتانة حتى وان لم تلق العناية اللازمة. وهي تبدأ من الكاحل الذي يتكون من سبع عظام، اولاها عظمة الكاحل التي ترتبط بعظمتين من عظام الساق فتكون رسغ القدم. ويلي عظمة الكاحل من اسفل العقب او عظمة

الكعب وخمس عظام اخرى اصغر حجما تبرز الى الامام على زاوية قائمة بالنسبة الى الساق.

والعقب هو اضخم عظام القدم. وهو يحول خمسة وعشرين في المئة من وزن الجسم الى الارض، ويستوعب الصدمة الاولى في كل خطوة. ولقد تطورت الكلاب على نحو ادى الى وجود العقب في اول مفصل رئيسي، وهو بذلك لم يعد يمس الارض، بينما يقع عقب الحصان اكثر من ذلك ارتفاعا، فهو يقع في العرقوب. ومعنى ذلك في الواقع ان الحصان يمشي على آخر اصبع تبقى له. اما النساء اللائي يرتدين احذية عالية الكعب في صورة مستمرة فقد لا ينتهي بهن التطور الى ارتفاع العقب الى الساق، بل ان ارتداء هذه الاحذية يؤدي الى تقصير عضلات بطن الساق وان يكن يزيد من حسنها. ومن شأن الكعب الشديد الارتفاع انه يصبح مصدرا للالم والضيق بسبب تقصير العضلات المذكورة.

وتندرج عظام الكاحل السبع على نحو محكم في مشط القدم. ويتكون مشط القدم من خمس عظام مشطية داخل حزمة متينة ملفوفة بالنسيج، فهي بمثابة بناء مستطيل متواز يتصل بالرسغ فتنتج عن ذلك القناطر المرنة الثلاث في القدم: قنطرتان طويلتان وثالثة مستعرضة.

وهناك اصابع القدم، وهي تساعد على التوازن وتتكون من عظام تسمى السلاميات. ويوجد منها سلاميتان في الابهام وثلاث فيكل من الاصابع الاخرى. وتتحرك الاصابع بفضل عضلات القدم ذاتها كذلك العضلات النابعة في الساق. اما الاربطة التي تصل الرسغ بالعظام الطويلة من الساق، والوتر الذي يمتد بطول مؤخر الساق ويربط عضلات بطن الساق بعظمة الكعب، فهي التي تضم اجزاء هذا البناء الطليق الحركة والمتعدد الاستعمالات بعضها الى بعض وتساعده على اداء عمله.

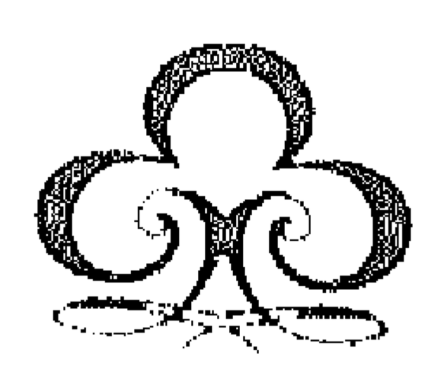
وتقتضي المحافظة على صحة القدمين اختيار الحذاء المناسب للقدم بداية من ساعة شرائه. ويوصي بعض اطباء القدم بان تقاس القدمان كل على حدة وان يتم ذلك في اثناء الوقوف لا في اثناء الجلوس. وعلى الشاري ان يختار الحذاء الذي يتناسب مع القدم الاطول. وينبغي ان يبقى بين الابهام وطرف الحذاء فراغ يراوح بين ١٥ و ٢٥ ميلليمترا، بل وينبغي ان يتجاوز الفراغ هذا المقدار اذا كان الحذاء مدببا او منفخضا في منطقة الاصابع مما يحول دون الحركة الرأسية السهلة للاصابع. وينبغي الا ينزلق الكعب عند تجربة الحذاء. فاذا اريد للحذاء ان يكون مريحا على المدى الطويل فينبغي ان تندرج ضرة القدم بسهولة في الحذاء عند التقاء القنطرة المتوسطة (من المؤخر الى المقدم) بباطن القدم، وليس الى الامام من تلك المنطقة كما يحدث في معظم الاحوال.

وعلى رغم ان القدم تتميز بمرونة العضلات ومتانتها، فيجب ان يتضمن الحذاء بطانات من الصلب او دعامات للقنطرة لا تنثني. فاذا لم يتوافر هذا اصبح الامر شبيها بوضع جسم ثقيل على لوح من الخشب عبر قناة، عندئذ قد يهبط اللوح في منتصفه. وهذا ما يحدث اذا كانت قنطرة القدم بلا تدعيم.

الحذاء الصحي — والحذاء الصحي هو الحذاء الذي يصنع بأكمله من الجلد الحقيقي اللين المتين. فالجلد مسامي في طبيعته، وهو بذلك يتيح للقدم ان "تتنفس" وان تتخلص من الرطوبة المتراكمة . فاذا كانت الصنادل حسنة الصنع اصبحت تعادل الحفاء او تكاد في ملاءمتها لصحة القدم.

واذا كنت قد تجاوزت الخمسين من عمرك فيحسن ان تشتري حذاءك في وقت مبكر بعد الظهيرة. فقد يترتب على الشراء في وقت متأخر ان تجد الحذاء واسعا بحيث لا يريح القدم عندما تحتذيه في الصباح التالي. وايا تكن سنك فاختر لك من الاحذية ما يجمع بين المطابقة المريحة والمظهر الحسن الذي يزيد من ثقتك بنفسك. ذلك ان الاقدام مثال عريق للعضو الذي يجمع بين قوة الاحتمال والرشاقة. فلماذا لا تضف الى مزاياها جمال المنظر ؟

■ جايمس س.ج. كونيف



لندن ليست يتيمة

ارسلخطاب الى صديق لي يقيم في لندن لكن الخطاب وجه خطأ الى مدينة اخرى في كندا تسمى "لندن" ايضا . وعندما تلقى صديقي الخطاب في نهاية الامر، لاحظ ان موظف البريد الكندي قد اشر عليه بهذه العبارة: "يوجه الى انكلترا، لان فيها مدينة تسمى لندن ايضا ".

بحكم العادة

بينما كنت افحص جهاز التلفزيون في بيت طبيب ناحيتنا، وجدت ان الجهاز الذي انقضت على شرائه عشر سنين، في حالة سيئة جدا . ولم أكد أنتهي من الاطلاع على عيوبه الكثيرة، حتى سألني الطبيب بأسلوبه المهني: "وبعد هذا التشخيص، فأي علاج تصف؟ ".

فنظرت الى الجهاز برهة وانا افكر، ثم اجبت: "المشرحة، لفحص الجثة بعد الوفاة".

ب.ك.

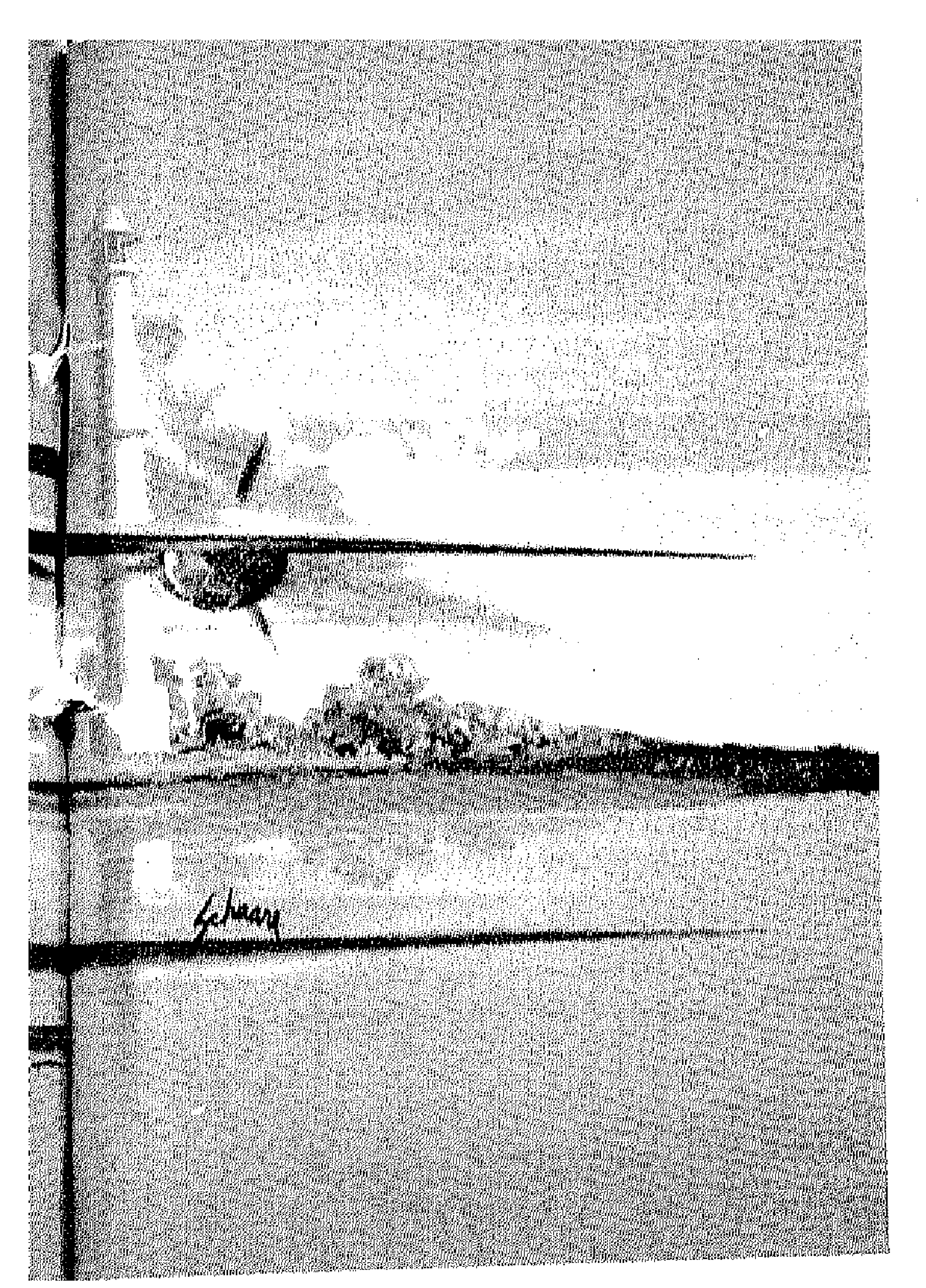
مستجد في العمل؟

حدث أخيرا أن دخلنا محطة بنزين مزدحمة بالزبائن لنبتاع وقودا وزيتا لسيارتنا الصغيرة. وادهشنا ان العامل المكلف هذه المهمة فتح غطاء المحرك ونزع غطاء الزيت وأوشك ان يضع الوقود في صندوق الزيت لولا ان رآه عامل آخر فجاء مسرعا وادى المهمة المطلوبة على وجهها الصحيح.

فقال زوجي معلقا على ما حدث: "لا بد ان زميلك هذا مستجد في العمل".

وكان الرد: "لا، أبدا. بل انه ميكانيكي وغير معتاد على ملء السيارات بالوقود".

ن.ك.



تاج محَل تحت رحمَة "قلعة العفاريت"

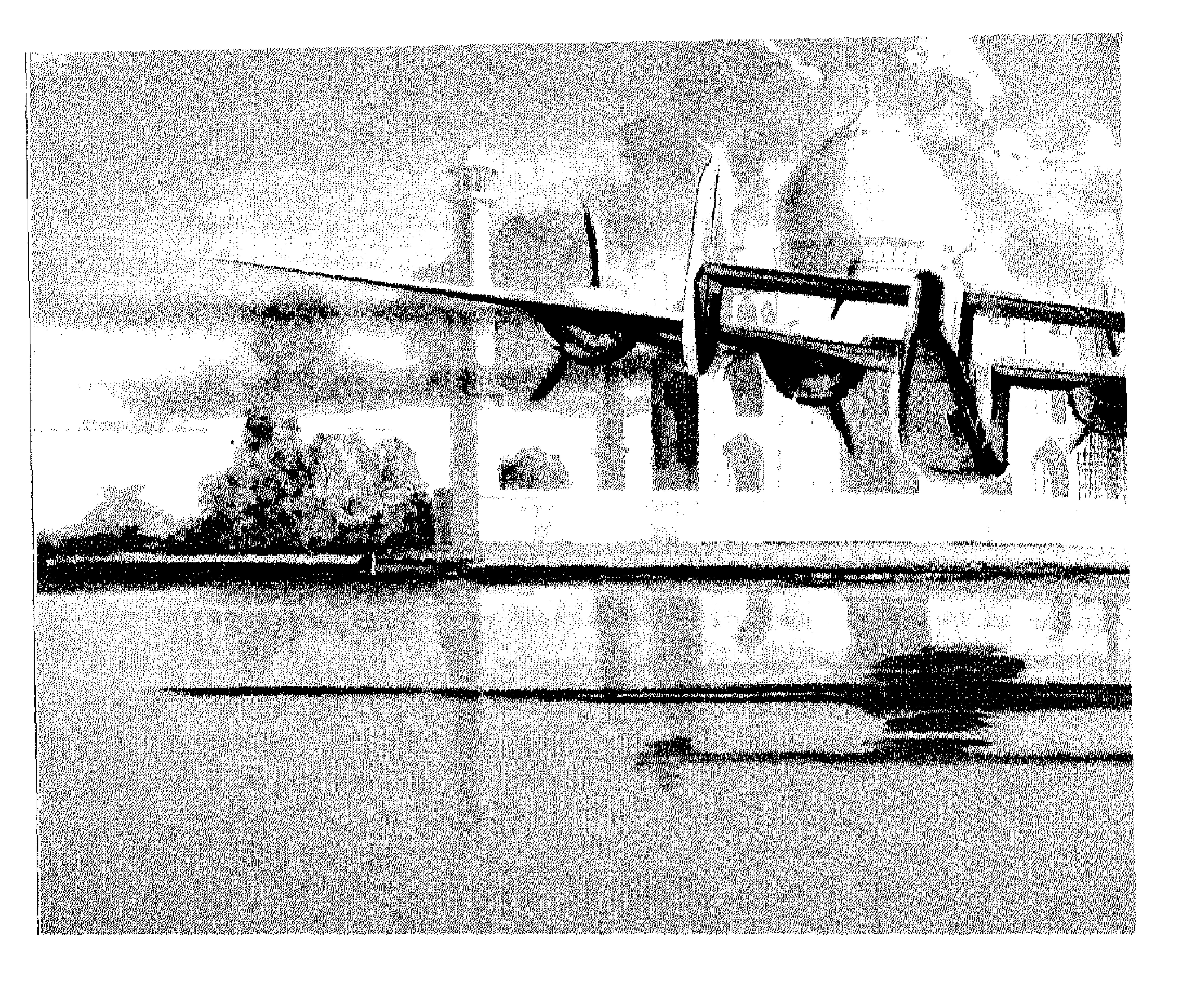
كانت القبة المتألقة تعترض مسيرة الطائرة في خط مستقيم، فأصبح لا مفر من الاصطدام بها وتدميرها.

اوشكت، في اثناء الحرب العالمية الثانية، ان اكون مسؤولا عن تدمير تحفة من اروع التحف الفنية في العالم، وهي تاج محل. وقد قضيت فترة طويلة بعد ذلك والذعر يتملكني كلما تذكرت ان مصير ذلك الجمال الساحر كان في قبضة يدي العاريتين المبللتين بارق.

كنت في ذلك الحين طيارا في سلاح النقل الجوي، اقود طائرة تحمل الامدادات من الهند الى الصين عبر الجبال. وكانت الخدمة شاقة تستلزم هبوط الطائرة في محطات عدة في امريكا الجنوبية وافريقيا والجزيرة العربية والهند، ولم يكن هذا العمل يتفق على الاطلاق مع فكرتي عن الحرب. فأين هي الالوية والاعلام والبزات العسكرية المتلألئة بالنياشين، واين هو العدو الاثيم؟

لقد كانت حربي الصغيرة هذه بعيدة عن المواجهة المباشرة للاعداء الرسميين ومحصورة في الصراع مع طائرة شحن لعينة من طراز "س - ٨٧" تحمل اسم "قلعة العفاريت".

وفي تلك الرحلة نحو الشرق، ظهرت على "قلعة العفاريت" اعراض ارتجاجات شاذة في اثناء الطيران عبر جنوب المحيط الاطلسي، ثم اختفت الاعراض في اثناء الطيران عبر افريقيا، لتعود فتظهر في وقت



آخر، كي تذكرنا بان العفاريت لا تزال تقبع في الطائرة.

وفي طريقنا الى سلالة في شبه الجزيرة العربية، زادت الارتجاجات زيادة كبيرة. وبعد ان غادرنا سلالة بعشر دقائق، اخذت المروحةالرقم ٢ تصدر صراخا رهيبا مبحوحا، فاضطررنا الى وقف محركها.

لم يكن وقف هذا المحرك بالامر الخطير، لان وقودنا اصبح قليلا وكنا قد بدأنا الهبوط بالفعل، الا ان "قلعة العفاريت" بدت وكأن العلل قد تكاثرت عليها، واوشكت ثقتي بها ان تنعدم.

وبينما نحن نقوم بآخر دورة في الفضاء قبل الهبوط على مدرج المطار، اخذ مهندس الطائرة يتحسر ويتنهد. فبعد الضوضاء المألوفة التي تصدر عند انزال اجهزة الهبوط والعجلات، صاح هوغارتي: "لقد عادت العجلة الامامية اللعينة الى الالتصاق. وكان معنى ذلك انه يضطر مرة اخرى الى الزحف داخل الفراغ الضيق في مقدم الطائرة ويواجه جانبا على الاقل من الرياح العاتية التي تهب تحت الطائرة، ويرفس العجلة الامامية بقدمه رفسا عنيفا حتى تهبط وتثبت في موضعها.

وعند ذاك خامرني شعور قوي بالمسؤولية. فعلى رغم ان مكاني

كقائد للطائرةهو مقعدي امام اجهزة القيادة، الا انني كنت آبى تماما ان يتعرض اي فرد من طاقم الطائرة للخطر من دون ان اشاركه فيه. ورحت ادور بالطائرة في الجو بينما هوغارتي يؤدي مهمته الشاقة، الى ان سمعت هدة سقوط اجهزة الهبوط الامامية، فعقدت العزم على ان ادعو هوغارتي الى تناول بعض الشراب في اول مشرب نمر به.

الى كراتشي - وانقضى الصباح باكمله في اصلاح عمود المروحة الرقم ٢، ثم اتجهنا بالطائرة نحو الشرق الى كراتشي.

وفي اليوم التالي طرنا الى تشابوا في اسام، حيث بذل طاقم الاصلاح كل ما في وسعه لتمكين "قلعة العفاريت" من الطيران. وبعد حين، جاءتنا الاوامر بالعودة الى البرازيل عن طريق اكرا، في الهند، وهي واحدة من اشد المناطق حرارة في العالم كله.

وبينما نحن ندور في الجو فوق اكرا استعدادا للهبوط، نظرنا الى اسفل الى التاج محل، وتعالت منا جميعا صيحات الاعجاب بتصميمه كما يبدو من الجو. ولاحظت بحكم العادة - ولكن من دون اي مبالاة خاصة - اتجاه مدرج الطائرات الذي يمتد في خط مباشر تقريبا كالسهم المصوب الى التاج محل. وحين هبطنا في الحرارة اللافحة، وبرزت في ذهني آثار مثل هذه الحرارة على كفاية الطاقة الهوائية لاي طائرة، وادركت لفوري اننا عندما سنغادر المدرج سوف نضطر الى الجري به على مسافة طويلة قبل الاقلاع.

وبما ان رحلة ايابنا الى كراتشي لن تستغرق اكثر من اربع ساعات، فقد امرت طاقم التموين بان يقتصر على وضع المقدار الكافي من الوقود لهذه الرحلة فحسب، اضافة الى كمية احتياطية صغيرة، بحيث لا يزيد مجموع الوقود على الف غالون. ورغبة مني في اتقاء سفع الشمس تركتهم الى عملهم ولجأت الى مبنى المطار.

وحين عدنا كان طاقم التموين قد انهى مهمته وذهب. وكنا مستعجلين نبتغي الهرب باسرع ما يمكن الى المرتفعات حيث الحرارة اكثر رحمة واحتمالا. (غير ان الاسراع في شؤون الطيران عمل احمق طائش في جميع الظروف). وكانت الطائرة محملة هذه المرة بالقطع المستردة من بقايا الطائرات المحطمة على الجبال، حيث كانت الخسائر فادحة في العتاد. وكان بعض القطع بالغ الثقل، لا يعرف احد وزنه بالضبط، وقد جرت العادة تحميل اي طائرة الى امتلائها بالتمام.

وانتظرت ان تدور المحركات الاربع بكامل قوتها قبل ان اطلق الفرامل، لكن الطائرة انطلقت على المدرج في بطء يثير القلق، فقطعت ثلث مسافة المدرج من دون ان تتجاوز سرعتنا ٨٠ كيلومترا في الساعة، ومن غير ان تبدو نية الاقلاع على "قلعة العفاريت". وكانت الحكمة تقتضي آنئذ بان اطفي المحركات واوقف الطائرة واعيد النظر في كل شيء لان المسافة الباقية من المدرج كانت تتيح لي ذلك.

وعندما بلغت نصف المدرج كان الوقت لا يزال يتسع للتفكير. ولكنني تركته يفلت مني. وتأرجح مؤشر السرعة عند ١٦٠ كيلومترا في

الساعة، فلم تعد المسافة الباقية من المدرج تكفي للتوقف من دون ان نصطدم بدغل الاشجار القائم عند نهايته.

وعلى بعد ٣٠٠ متر تقريبا من الاشجار، ترنحت الطائرة صاعدة فوق ارض المطار المكسوة بالاسفلت.

ولم اجرؤ على الانحراف درجة واحدة يمينا او يسارا حتى لا نفقد ذرة واحدة من سرعتنا فتقع المصيبة. وبدت لناظرينا كل ورقة من اعالي الاشجار المنبسطة والمتسارعة نحونا، فوجدتني انتظر من دون حيلة ان يصك اذني اول اصوات الاصطدام.

لا مفر من الصدام — واستغرق الامر دهرا لا نهاية له حتى ارتفعت اجهزة الهبوط واستقرت في اماكنها من الاجنحة. ثم خفت رعشة الطائرة حين انطوت العجلة اليسرى، فعاودني بعض الامل لدى شعوري بان مسيرة الطائرة اخذت تتقارب من نمط الطيران الحقيقي، ثم حبسنا انفاسنا جميعا، وانحنينا الى الامام نجذب احزمة المقاعد، وكأننا نريد دفع الطائرة الى الصعود بجهدنا البدني.

ولم ينبس احدنا بكلمة، فلم نعد نسمع سوى زمجرة المحركات الاربعة الصاخبة.

وتوالت الثواني ثم ارتسمت امام ناظري تلك الرؤيا التي ستظل محفورة في ذاكرتي الى الابد، فقد بدا التاج محل منتصبا امامي تماما. وكان مستوى قمته المتألقة يتجاوز ارتفاعنا بكثير. وساورتني رغبة جامحة في فقدان بصري كي لا اشاهد اقترابه السريع، اذ لم يعد هناك مفر من ان نصطدم به وندمره.

وتركنا الاشجار خلفنا، وغارت الطائرة في الهواء المتحدر الذي يساور نهر جومنا. ولم استطع ان افهم لماذا احجمت "قلعة العفاريت" عن التحليق بهذا الشكل.

وعبرنا النهر ونحن لا نزال نسير في اتجاه التاج محل وعلى خط يقل عن ارتفاع قبته. وبدا الان ان جناح الطائرة سيتفادى المبنى الرئيسي، ولكنه لا محالة سيصيب المأذنتين ويبترهما. واذا حاولت القيام باي درجة من الانحراف المفاجيء فسيؤدي ذلك حتما الى سقوط الطائرة وتحطمها.

وفي غمرة اليأس الذي تملكني خلال الثواني الباقية، اتخذت قرارا عنيفا لا اعتقد ان حاول طيار آخر مجرد تجربته في طائرة من طراز "س – ٨٧"، خصوصا على هذه المسافة القريبة من الارض. فالسرعة كانت سبيلنا الوحيد الى النجاة، واذا فقدناها فسوف نسقط. ولكننا لم نكن نستطيع الانخفاض ابتغاء لمزيد من السرعة، كما ان المحركات كانت قد بلغت اقصى حدود طاقتها. ومع ذلك فقد بدا لي ان ما اعتزمته سيؤدي بلا ريب الى خفض سرعتنا.

فناديت هوغارتي، قائلا: "اعطني حركة كاملة للمصاريع". فانصاع لفوره، وكانت النتيجة انها تعادل في رهبتها هول الرؤيا التي تهددنا بالدمار في مواجهتنا. فقد بدت الطائرة وكأنها قد اصطدمت بجدار اوقفها لدى هبوط المصاريع. ولم يكن لدي وقت لعمل اي شيء حين مال انف الطائرة السمين الى اعلى في حركة مفاجئة، ورحنا نرتفع في اتجاه عمودي تقريبا وكأننا في مصعد سريع.

وشاهدت اعمال الترميم الجارية في مبنى التاج محل، ورأيت سقالات الخيزران بين المأذنتين وطالعتني عيون العمال المفعمة بالدهشة، واسنانهم التي بدت حين انفتحت افواههم من الذهول، ولفائف عماماتهم وايديهم التي توقفت في منتصف حركتها حين دهمهم هذا الوحش المخيف الصارخ منطلقا على بعد امتار قليلة فوق رؤوسهم.

افظع جريمة - وحدث ما يحدث عندما يسرع الانسان بقلب صفحة في كتاب. فقد تجاوزنا مبنى التاج محل ثم اخذنا نهبط وراءه وقد اصاب المحركات عياء تام. ودفعت مقدم الطائرة الى اسفل، لان الارض خلف التاج محل مباشرة كانت منبسطة وجرداء يعلوها ولا شك تيار هوائي صاعد من جراء الحرارة. وطلبت من هوغارتي ان يعيد اغلاق المصاريع قليلا قليلا. ومضيت بالتدريج ادغدغ "قلعة العفاريت" لاحثها على التحليق. حتى اقنعتها بالصعود الى ارتفاع يناسب الطيران الحقيقي. وكنت كمن يحاول اغراء عجوز ثملة بان تحاول صعود سلم تدحرجت من فورها ساقطة عليه.

وعندما تسلقنا في النهاية الى ارتفاع ثلاثمئة متر، حولت اتجاه "قلعة العفاريت" الى كراتشي.

وقد اكتشفنا هناك سبب السلوك الغريب الذي تملك هذه الطائرة. فمن مميزات هذا النوع من الطائرات فساد مقاييس الوقود فيها. فهي لم تكن ابدا موضع ثقتنا. وقد اساء طاقم التموين في اكرا فهم طلبي، فزاد على الوقود الذي كان موجودا بالفعل في خزانات الطائرة الف غالون اخرى، مما ادى الى حمولة اضافية مقدارها ثلاثة اطنان، علاوة على الاثقال غير المحسوبة لما يرقد في بطن الطائرة من قطع وآلات. وكان اجتماع كل هذه الغباءات معا، في موكب اقوده انا شخصيا، هو الذي اوشك ان يسفر عن افظع جريمة فنية في الحرب العالمية الثانية.

واما "قلعة العفاريت" فقد تمكنت بطريقة ما من مواصلة رحلتها الى البرازيل، حيث ادخلت على الفور مستشفى ناتال لاعالج من نوبة ملاريا عنيفة. وفي غمرة كوابيس الحمى التي كانت تنتابني، تضاعف هذياني من جراء تلك الرؤيا المخيفة التي كادت ان تتحقق في اكرا فتجعل مني الهمجي واقمخرب الرقم ١ في العالم باسره. وقد ظل شبح تلك الرؤيا المرعبة يطاردني على مدى سنوات طويلة بعد ذلك.

ملخص من "رهين المصادفات" لارنست ك. جان صاحب "أهل السمو والسطوة والقدر الصبار"



هل تفهم ما اعنيه؟

قال عميل لآخر في احد المحلات الكبيرة: "ان للاسعار المرتفعة فضيلة لا بد من الاعتراف بها. فانت عندما لا تشتري شيئا تكون قد وفرت بلا شك مبلغا كبيرا".

وكانت "نون الجماعة" عند امي، اذ تقول "من الخير لنا"، من قبيل التفخيم لا اكثر. فقد كان محظراً علي ان اضع ولو اصبعا على جلدة الكتاب المشققة. ولذا تملكني فضول جنوني لمعرفة محتوياته. وكنت اسأل امي منتحبة: "لم لا تسمحين لي بأن القي نظرة على الكتاب؟" فيجيبني صوتها المهيب: "انه للكبار".

اما الكبار، في هذه الأيام، فلم يعد بالطبع يحسب لهم حساب كبير، واصبحت قلة الحديث عنهم او اليهم خير من كثرته. لكن الكبار في زماني كانوا محاطين بهالة من الاجلال وكانوا يتميزون بذلك عن الطبقة العامة العادية من معشرنا نحن الاحداث. فكانت هيئاتهم تختلف اختلافا جذريا عن هيئاتنا. وكم كنا نستغرب مشاهدة الاعمام والاخوال بملابس السباحة. فقد اعتدنا ان نرى صدورهم مكسوة بالقمصان المكوية والمنشاة بدقة واتقان فكنا نصدم بان نرى هذه الصدور مطلية بالشعر وان تبدو سيقانهم احيانا وكأنها هر مبلل بالماء. في حين ان العمات والخالات اللائي انكمشت صدورهن بمشاد من الحرير او الكريب الصيني حسب الزي الشائع، فبدت مستوية كاللوح الخشبي، كن في لحظات الاسترخاء يفككن شيئا في ظهورهن، واذا بصدورهن تنفرج فجأة مع تنفس الصعداء.

وكنت اتوجه ببراءة الى ابن عمي فريزر المثقف المحنك، عندما كنا نستضيفه احيانا في منزلنا، واسأله مستغربة: "كيف يفعلن ذلك؟"

وكان يجيبني: "ستكلفك معرفة ذلك اربعة بنسات". وكانت عيناه الزرقاوان تلمعان ذكاء كنجمين متألقين، ولو انه ولد، كما يقال، كهلا وشيطانا.

وهكذا مضت ايام طويلة قبل ان ادرك الحقيقة. وقد قررنا نحن معشر الصغار جميعا - باستثناء فريزر الذي كان واثقا من قدرته على معالجة الامور - ان نستمر في حداثة سننا ونأبى اطلاقا الالتحاق بسن الكبار.

مفتاح لكل لغز - ومع ذلك، لا يسعنا الا الاقرار باننا سعينا سعيا حثيثاً الى تقصي المعلومات عن ذاك القطاع البشري الذي استعصى علينا فهمه او تفسيره. وبدا لي ان في كتاب الطبيب مفتاحا لكل ذلك اللغز.

اعتقد ان والدتي ورثت الكتاب عن صديقة قديمة لها، كانت امرأة رائدة بين نساء جيلها، وعاشت على بعد يزيد على مئة كيلومتر من اقرب طبيب في المنطقة. لكن الصور الايضاحية التي كان يحتويها الكتاب تدلل على توغله في القدم. فقد بدا فيه الرجال في قبات عالية كأنما هي مجبولة بالاسمنت الابيض، وسوالف متكاثفة وكأنها قطع من صدوغهم. اما النساء فكن يرتدين طرحات واوشحة رقيقة متهيئات للصلاة وقد تعالت صدورهن كالشرفات فوق خصورهن الدقيقة الجاسئة. وشككت في صحة ذاكرتي وسألت اختي في حديثنا الاخير عن سير الماضي، "اذا كانت تلك الاجسام مكسوة حقيقة بكامل ملابسها؟"

فأجابتني: "بلى. كانت كذلك بالتأكيد. الا تذكرين الاجرة التي اقتضاها فريزر منا؟ ستة بنسات وثلاث سمكات من الشوكولاته ثمنا لرؤية النوافذ!"

وفجأة تذكرت تلك الوهلة الاولى من الرؤيا المروعة الغامضة التي لمستها ساعة القيت اول نظرة على "كتاب الطبيب"٠

كان لفريزر كلب صغير كثيف الشعر الى حد غريب، وكان عزيزا عليه كالكنز الذي لا يقدر بثمن٠ وكان يختفي احيانا لبعض الوقت فلا تلبث ان تثور ضجة كبرى بين معشر الكبار، وذلك ان فريزر كان يحبك مسرحيته التي تقضي بان تختفي اختي الصغيرة مع الكلب في غابة مجاورة فيما يتولى هو امر الصراخ المخيف لهرب كلبه من البيت، فيبادر الكبار الى البحث عن الكلب ونتسلق انا وفريزر خزانة البياضات حيث كان يكشف لي خفايا "كتاب الطبيب"٠

واظهرت اختي بادىء الامر بعض التمرد٠ الا انني وعدتها باطلاعها على كل ما يكشفه لي الكتاب٠ فانسلت مع الكلب حسب الاتفاق، واطلق فريزر صرخة الحرمان لفقد كلبه العزيز٠ فاندفعت العمات والخالات يفتشن عنه في كل صوب، وعهدن الي في ان ابقى في الدار لاهدىء من روع ابن عمي المسكين٠ فخلا المنزل من كل مخلوق سوانا٠

وللتو تسلقنا الخزانة٠ وفي حين كان فريزر بارد الاعصاب لا يبالي، كانت فرائصي انا ترتعد خوفا، وكنت استرق النظرات من وراء كتفي وقد انتابني شعور بفداحة الذنب٠

وقلب فريزر صفحات الكتاب حتى اهتدى الى قسم الصور الايضاحية، فاذا بنا نرى صور النساء والرجال يلعبون كرة المضرب او يتفحصون "البوم" العائلة من الصور او يلتقطون باقات الزهر مبتهجين، غافلين تماما عن الحقيقة الفاضحة، وهي ان مربعات صغيرة قد قدت من ملابسهم الرائعة لكي تظهر تحتها الاكباد والرئات المفزعة العارية٠

يا لهول الصدمة بالنسبة الى طفلة مرهفة الشعور تدلت احدى قدميها عند حافة لوح رقيق من الخشب على ارتفاع شاهق فوق ارض الغرفة، وهي تكتشف ان للكبار نوافذ زجاجية في أجسامهم، وان في استطاعة الناظر اليها ان يشهد من خلالها دواخلهم المترهلة الكريهة٠ وسألت بصوت مرتجف:

- "م٠٠٠ ما ذاك؟"

فامعن فريزر النظر في صورة رجل واقف في احد ملاعب الكرة، غير عابىء بالنافذة التي توسطت جسمه، فظهرت منها كتلة بشعة من الامعاء٠

واستغرق فريزر في التفكير، ثم قال:

- اظن انها ديدان ضخمة ٠

سمكة الشوكولاته – وعندها انزلقت قدمي، فوقعت كسابق عادتي منكفئة على وجهي، وارتطم انفي بالارض٠ اما فريزر فقد اعاد "كتاب الطبيب" الى مكانه بالضبط واغلق الخزانة، ثم جرني الى خارج الغرفة وانا ملطخة بالدم٠ ولم اكد اعود الى صوابي حتى طالبني باجرته: ستة بنسات وسمكة من الشوكولاته٠

وحين تمالكت نفسي بمقدار كاف لاطلع شقيقتي على ما رأيت، لم تصدقني٠ وغضبت كثيرا ثم انحازت الى جانب فريزر قائلة:

- فريزر يعلم من اين يأتي الاطفال٠

☐ من اين؟

- فريزر يطلب شلنا وكتاب النوادر المضحكة ثمنا لجوابه٠ وعندما

يطلعني على السر فلن ابلغك اياه مطلقا٠

ومن الواضح اننا نحن اللتين كنا نعد حصيلتنا من المال بنسا بنسا، لن نقوى على دفع تلك الاجور المرتفعة، وبالتالي سنبقى في جهل ابدي لا ندري من اين يأتي الاطفال٠ ومهما يكن الامر فقد كانت هناك اسئلة كثيرة اخرى تستحوذ على افكارنا٠ وقد مكثت اشهرا طويلة في عهد الطفولة الساذجة اخذ الامور بحرفياتها قبل ان ادرك ان تلك الصور المرعبة في "كتاب الطبيب" لم تكن سوى طريقة الكبار الغريبة البشعة في اظهار اعضاء الجسم من دون الكشف عن عريها، حيث كان العري الصريح امرا يستحيل مجرد التفكير فيه٠

وسألت شقيقتي قبل ايام: "هل تعتقدين ان لدى كل اسرة نسخة من "كتاب الطبيب"، وان لكل اسرة ولدا ماكرا ينتهي به المطاف الى كشف اسراره فيفقد صوابه من مجرد رؤية صوره؟"

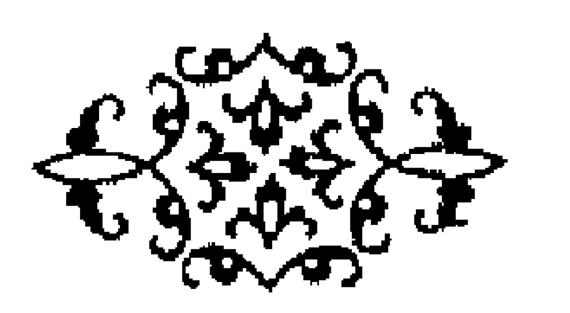
فقالت: "لا ينطبق هذا الوضع على فريزر٠ فما ان شب حتى راح يتملق والدتنا ويستجديها الكتاب بشتى الوسائل حتى حصل عليه٠ وفي حيازته الآن رسالة تقدير لطيفة من مكتبة الجامعة الطبية"٠

- "انت لا تقصدين انه باع الكتاب"٠

فردت علي: "او لا تعرفين فريزر؟"

■ روث بارك

(صحافي وكاتب وروائي اوسترالي)٠



أغاثا كريستي تنقذ طفلة عربية

كانت رواية أغاثا كريستي "الحصان الشاحب"، عاملا حاسماً في انقاذ حياة فتاة عربية عمرها تسعة عشر شهراً، نقلت إلى أحد مستشفيات لندن وهي تحتضر من مرض حار الأطباء في أمره٠ وتقول "المجلة البريطانية لطب المستشفيات" إن الطفلة العربية التي نقلت بالطائرة من إحدى امارات الخليج، كانت فاقدة الوعي تقريباً لدى دخولها مستشفى هامر سميث في لندن٠ وعلى رغم العناية المكثفة فأن تنفسها أخذ يزداد صعوبة وبدا أنها على حافة الموت، من دون أن يتمكن الأطباء من تشخيص مرضها٠

ثم حدث في أثناء دورة التفتيش الصباحية أنه أقترحت الممرضة مارشا ميتلاند ان الطفلة قد تكون مصابة بالتسمم بالثاليوم (وهو معدن أبيض ضارب الى الزرقة له أملاح سامة)٠ وقالت الممرضة التي كانت تقرأ رواية "الحصان الشاحب"، ان اعراض الطفلة مماثلة جدا لاعراض حال التسمم بالثاليوم التي وردت في الرواية٠ ولما كان بيع الثاليوم خاضعا لقيود شديدة في بريطانيا، فان المستشفى كان يفتقر الى المعدات اللازمة لأجراء التحاليل التي تساعد في التحقق من حال الطفلة٠ ولكن اسكوتلانديارد عثرت على معمل يمكنه إجراء هذه التحاليل التي أثبتت صحة ظن الممرضة، وعلى الفور بدأ علاج الطفلة على النحو الملائم، فتماثلت للشفاء بعد وقت قليل٠

أ٠ ب٠

فوق كتفَي عملاق



قصة طفل أعجوبة
وُلِدَ بلا ذراعين وبلا ساقين

فوق كتفي عملاق

قال لها وهي تنقله الى فراشه: "عمتي، لماذا يمسك الأطباء بالأطفال الجدد ويرفعونهم ويصفعونهم فور ولادتهم؟"

وتساءلت هيزل بينها وبين نفسها في عجب عما عسى ان يؤدي اليه هذا الحديث، ولكنها أجابت وأوضحت الأمر.

غير ان الصوت الصغير عاد يسأل في إصرار: "حسنا، فكيف صفعوني اذا؟ ومن أين أمسكوا بي ليعلقوني مقلوبا؟"

فقالت هيزل في عجلة: "عندما خرجت الى الوجود، أظن أنهم أمسكوا بك من أذنك وصفعوك، وكانت تلك هي طريقة مجيئك الى الحياة".

كان الصبي كتلة بشرية صغيرة، فقد ولد بلا ذراعين ولا ساقين، وانما كانت له ارادة لا تقهر للتغلب على عجزه. وكان الاندماج بين حياة هذا الطفل الذي جاء ضحية عقار "الثاليدوميد" وحياة كل من أبويه بالتبني أمرا بعيد الاحتمال ولكن كان له فعل السحر على الثلاثة جميعا. لقد كان هؤلاء كلهم ضحايا هزمتهم الحياة فانصهروا معا في وحدة متراصة سداها الحب ولحمتها التماسك وهي اكسبتهم في النهاية نصرا لم يكن في الحسبان".

كان الزوجان العجوزان الواقفان على عتبة الباب في حاجة الى المعونة. فقبل خمس سنوات ولدت ابنتهما طفلا بلا أطراف، ومن دون احدى العينين بينما تعاني العين الباقية ضعفا في البصر. وقد جاءا الآن يلتمسان العون من ليونارد وهيزل وايلز.

كانت الصدمة التي مُنيت بها ابنتهما من ولادة هذا الطفل بالغة العنف فنصحها الأطباء بأن تمتنع عن رؤيته. وعاش الطفل منذ ولادته في مستشفى، لكنه أصبح يحتاج الى ولي" قانوني... شخص يوقع على الأوراق ويتولى الأمور الرسمية. وقام العجوزان بتلك المهمة بضع سنوات ولكنهما أصبحا عاجزين عن تحمل هذا العبء، ولم يستطيعا الاهتداء الى شخص آخر يرضى بتحمل تلك المسؤولية.

وقالا وهما يخاطبان الزوجة: "لقد كنت أعز صديقات ابنتنا يا هيزل، فهل تتكرمي أنت وزوجك لين بمعاونتنا وتقبلان مهمة الوصاية على الطفل آندي؟"

وحين جلس الزوجان للعشاء بعد حين، أخذ الزوج ليونارد وايلز يقلب الأمر على وجوهه، وقال لزوجته: "اسمعي يا هيزل، ان هذين العجوزين لا يطالباننا بشيء مرهق. أليس كذلك؟ المسألة ببساطة هي أنه اذا احتاجت حالة طفل صديقتك الى اجراء اي عمليات جراحية أخرى له فسيطلب منا أن نوقع على تصريح بذلك. فأين هي الصعوبة؟"

فقالت الزوجة: "لست أريد أن أراه يا لين. لا أريد ان أراه أبدا".

فقال هو: "ولا أنا. ولا حاجة بنا الى رؤيته. كل ما علينا أن نفعله هو أن نكون هنا اذا حدث طارىء عاجل كي يجد الأطباء من يخاطبونه".

وأضافت هيزل: "حسنا، اذا كان هذا كل ما في الأمر فلا مانع سنفكر في الأمر، ولكننا لن نتخذ اي قرارات متعجلة".

غير أن ليونارد قرر بينه وبين نفسه أن يتحين الفرصة متى لاحت له كي يذهب ليرى الطفل ويتحدث الى المسؤولين في المستشفى. وراوده أمل في أنه قد ينجح في اقناع هيزل بمصاحبته، ربما اعانهما ذلك على بت الأمر.

النظرات الاولى

أخذ ضباب البكور يتزايل مخليا السبيل لشمس الشتاء بينما كانت سيارة النقل التي يقودها ليونارد وايلز تتخذ طريقها نحو غابات ساسيكس وبراريها الوادعة. كانت السيارة تحمل شجيرات ونباتات مغروسة في أوعية، وكلها آتية من مشتل قائم في براميتون في مقاطعة هانتينغدو نشاير، على بعد ١٥٠ كيلومترا قطعتها السيارة منذ الفجر.

كان وايلز رجلا عريض المنكبين، في منتصف العقد الخامس من عمره، له يدان خشنتان يتخلل نسيجهما خليط من الزيت والطين. وكانت عيناه العسليتان الحادتان تتحركان باستمرار وهو يقود السيارة عبر مجموعة من المباني المنخفضة، حتى أوقفها في ساحة تحيط بها الأشجار، فنظرت اليه كلبته "شيبا" الألزاسية القابعة على المقعد المجاور له، وقد بدا في تطلعها الأمل.

فقال لها لين: "الأفضل ان تنتظري هنا".

وقطع الساحة على قدميه الى أقرب مبنى،ثم نظر حولهفلم تقع عينه على أحد. ففتح الباب وخطا داخلا الى ممر يتردد فيه صوت آلة كاتبة تطقطق من بعيد. ثم تدانت على الأرض الخشبية خطوات نسائية سريعة، فتوقف ليونارد مترددا، حتى ظهرت سيدة تحمل ملفا مليئا بالأوراق فسألته: "ما الخبر؟ ماذا تريد؟"

فأجاب: "لديكم هنا طفل يدعى آندي أود أن أراه".

فنظرت اليه في ريبة وقالت: "آندي. لا اعلم اذا كان من المناسب أن تراه".

"ولكن اليوم هو السبت، أليس كذلك؟ - سأل ليونارد - وقد قطعت مسافة طويلة".

فراحت عيناها تنتقلان عبر ملابس ليونارد القديمة، وتتوقفان عند أظافره المتشققة وسراويله المكرمشة ذات اللون الحائل. وهو أحس بما يخالجها من شك لكن صوته كان هادئا ومهذبا وجدّي اللهجة، على نحو بدا متناقضا مع مظهره.

وأخيرا قالت: "سأرى اذا كان ذلك ممكنا. ويحسن بك ان تأتي معي".

فسار ليونارد خلفها ثقيل الخطو، وأحس بالعرق يبلل راحتيه، فمسحهما بسرواله.

واقتربا من مبنى آخر، فسألته السيدة: "أظنك جئت قبل الآن، أليس كذلك؟"

فأجاب: "كلا".

فقالت: "هل تعني أنك لم تر الصبي أبدا من قبل؟ عفوا اذاً، ولكن لماذا جئت الآن؟ لقد أوشك على أن يتم عامه السادس، ولا يبدو أنك أظهرت أي اهتمام به حتى اليوم!"

كان الأمر يتطور الى أسوأ مما هجست به مخاوف ليونارد وقال: "لقد كنت مارا بهذه المنطقة كما ترين، وخطر لي... انني أعرف الأسرة، وأعلم بأمر آندي منذ... ولادته".

وبدا على السيدة مزيج من نفاد الصبر والتعاطف، فنظرت فوق كتفها، ثم تطلعت الى ليونارد وقالت: "أظنك تدرك ما أنت مقبل على زج نفسك فيه؟"

فهز ليونارد رأسه ايجابا.

واضافت: "أرجو ذلك. ان لديهم من المتاعب ما يفوق كفايتهم، ولست أريدك أن تدخل عليهم وأنت غير مستعد لذلك". وكان ذلك بمثابة فتح باب في وجه ليونارد يمكنه أن ينسحب منه ولكنه قال: "انني أود ان أراه، من فضلك".

فهزت السيدة رأسها، وانحرفت في طريقها حتى بلغت بابا يدور على مفصلة ينفتح ويرتد تلقائيا، وتبعها ليونارد الى الداخل في شيء من التردد.

كان ضوء الشمس ينير الغرفة، فرأى الوجوه الصغيرة ترتفع متطلعة اليه.

لقد شاهد ليونارد في أثناء الحرب العالمية الثانية الآثار التي يلحقها التشويه بالمحاربين: جنود فقدوا أطرافهم كلها، وآخرون فقدوا عيونهم، وغيرهم اصابتهم حروق شنيعة.. وعلى رغم ذلك فانه لم يتحسس من قبل أبدا بما يشبه من قريب أو بعيد تلك الصدمة التي انزلتها به رؤية تلك الوجوه الصغيرة، فسار خلف السيدة ببطء وهو يحاول

ألا يتطلّع حواليه، حتى رآها تلتقط من الأرض جسما ضئيلا أسود الشعر مشوه التكوين، بدا أنه جسم طفل.

وقالت متسائلة: "السيد...؟"

ـ ليونارد وايلز.

"آندي! ها هنا زائر يريد أن يقابلك... سيد اسمه وايلز".

كان رأس ليونارد يدور من هول المفاجأة، ولكنه حاول أن يغتصب ابتسامة، وقال: "أهلا بك أيها الصغير! ما رأيك في أن ترتدي ملابسك وتصحبني في نزهة في سيارة النقل التي أقودها؟"

وحمل ليونارد الصبي الذي يبلغ الخامسة من العمر وسار به نحو سيارة النقل، حيث كانت الكلبة "شيبا" جالسة وقد مدت رأسها خارج النافذة ترقب اقترابهما.

وصاح الصبي: "أوه... ذلك كلب ألزاسي، أليس كذلك؟ أراهن على أنه شرس... أهو كلب حراسة؟"

"انها كلبة أنثى ـ قال ليونارد ـ واسمها شيبا. والمفروض انها تحرس سيارة النقل، ولكنها لا تؤذي ذبابة. هيا يا فتاة هذا هو آندي".

فبدأت "شيبا" تلعق قدمي الصبي وتتشممهما، فقال: "انها لا تكاد تداعبني. ولكنها لا تعض، أليس كذلك؟"

ولم تكد تمضي دقائق حتى تلاشى من نفس ليونارد كل ما كان أحس به في البداية من اشمئزاز واشفاق، اذ تبين انه أمام صبي صغير يتميز باليقظة والانتباه واستقلال الشخصية وقوة الارادة. ومضى الصبي يسأله بلا انقطاع وبذكاء عن عمله، وبيته وزوجته، ويتسوّل منه الحلوى ويستمتع بها مثل أي ولد صغير عادي. وعندما أعاده ليونارد في النهاية الى المستشفى، صاح الطفل مفتخرا فقال لرفاقه: "لقد اصطحبني عمي في نزهة. ولديه سيارة النقل الضخمة تلك وهذه الكلبة الألزاسية التي تدعى شيبا. ولن يلبث أن يعود مرة أخرى ليصطحبني في نزهة بالسيارة... أليس كذلك يا عماه؟"

فأجاب ليونارد: "انني سأعود يا آندي. والآن الى اللقاء".

فرد آندي: "الى اللقاء. وشكرا".

وحين بلغ ليونارد الباب عاد الصوت الصغير يلاحقه مصرصعا في اصرار: "عدني! عدني بأن تعود!"

فنان الفرار الكبير

كان مستقبل آندي متجهماً قاتم الأفق منذ ولادته. وحين خرج الى الدنيا في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ لم يعتقد الأطباء أنه سيعيش. فهو ولد بلا ذراعين، وكانت كتفاه ملساوتين تماما بحيث انزلق جذعه الصغير بين ايدي الممرضات في نعومة وكأنه جسم فقمة (عجل بحر) حديثة الولادة. وكانت له بدلا من الساقين زعنفتان تبرزان على الجانبين في أسفل جذعه، وهما أشبه بشيء وسط بين اصابع القدمين وقوائم الطيور التي تمتد بين أصابعها أغشية جلدية. وكان محجر عينه اليسرى ممتلئا بكيس لحمي كبير بدلا من العين ذاتها، أما أنفه فكان أفطس عريضا.

كان آندي المشوّه الى أقصى الدرجات ضحية صارخة من ضحايا الأخطاء الفادحة المرتكبة في صناعة الأدوية، وواحدا من ذلك الرعيل

البائس المسكين من الأطفال العديمي الأطراف الذين أخذوا يدخلون المستشفيات في انحاء العالم بعدما نزل الى السوق عقار "الثاليدوميد" الالماني ثم أصبح يباع بترخيص في انكلترا حيث غدا في متناول الجمهور في شهر أبريل (نيسان) ١٩٥٨ بمقتضى وصفة طبية.

وقيل في مزايا "الثاليدوميد" انه يعالج القلق والأرق وهبوط المعنويات وغثيان الصباح، كما ساد الاعتقاد بسلامة تعاطيه التامة خلال فترة الحمل. وبعد ثلاث سنوات ونصف سنة (عام ١٩٦١) نسبت رسميا الى العقار مسؤولية تفشي ظاهرة شبه وبأية من المواليد المشوهين تشويها بالغا، وسحب من السوق في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من العام نفسه، بعد أن بلغ عدد ضحاياه في بريطانيا أكثر من ٤٠٠ طفل تراوح تشوهاتهم بين نقص مفصل من احد اصابعهم والافتقار التام الى الأطراف الأربعة، اضافة الى ما صاحب الكثير من هذه التشوهات البدنية من اصابات الصمم او التأخر العقلي أو غير ذلك من أنواع العجز.

وكان بيت آندي هو جناح المستشفى المشمس المدهون بالألوان الزاهية، غير أنه كان بلا شك مؤسسة يعيش فيها معا عدد كبير من الأطفال وينقصها الجو العائلي وحرارة الأسرة واتاحة المجال الكافي للذوق الفردي والميول الفردية كذلك. ومع مرور السنين، نما آندي وذكاؤه النيّر وعزيمته المفعمة بالتصميم على ما يتجاوز حدود أطرافه الضائعة وبداياته التعسة، فبدت له جدران المستشفى ذات الألوان الزاهية قضبانا يقيم وراءها سجن كابح. وكان يدرك أن في هذه الدنيا أنواعا من الحياة خيرا من هذه، وكان مصمما على الاهتداء اليها.

وكان، وهو في فراشه في موعد النوم، يقضي ساعات المساء وهو يدبر الخطط الخيالية للهرب، فيتصور نفسه مرة في دور الهارب الكبير، ومرة اخرى في دور الساحر الشهير هوديني وهو يخرج طليقا من تابوت محكم، ومرة ثالثة فيدور أسير حرب يتفادى الرصاص الذي ينهال عليه وهو يدلي الحبل الذي حاكه من ملاءات الفراش المعقودة والمشدود الى نافذة زنزانته في القلعة المنيعة التي سجنه فيها الأعداء، ومرة رابعة في دور "آندي الذي لا يقهر"، قائد المقاومة السرية الذي يضع مكامن من المفرقعات في أحذية الألمان الطويلة بينما رجاله يفلتون خلال القضبان المحترقة من غرفة التعذيب التي عانوا فيها الأمرين.

وكان يتحسس ملاءات الفراش بقدميه الدقيقتين الشبيهتين بالزعنفتين، ويسائل نفسه عما اذا كانت ستتوافر له القدرة ذات يوم كي يمزقها ويربطها عقدا الى بعضها.. عندئذ سيتدلّى بها هبوطاً محاذياً الجدار.. وقد قضى ساعات طويلة يستظهر في عقله مواضع الشقوق فيه ثم ينفلت الى الأرض بهدوء تام على الحشيش ويتدحرج عبر الطريق بعيدا عن الغرفة البيضاء حيث تغرز فيه الأبر، بعيدا عن غرفة الدراسة حيث يأسرونه ساعات طويلة وهو حبيس ساقيه الصناعيتين الثقيلتين البطيئتين.

غير أن العزاء الذي كان يستمده

من خيالاته وأوهامه تلك، لم يلبث ان راح يتناقص مع اطراد نموه أو تقدمه في العمر على الأصح نظرا الى قلة نموه البدني، وبدأ هاجس آندي يقنعه بأن حاله هذه ليست سوى عقاب نزل به من اجل ذنب ارتكبه من دون علم منه، فجازاه الله بحرمانه ساقيه وذراعيه. أما المستشفى فأصبح في نظره مكانا للأطفال المذنبين عندما تمتنع أمهاتهم عن ابقائهم في احضانهن.

وظل آندي ينتظر على هذه الحال المضطربة وهو يعتزم شدّ جسده الضئيل وزعنفتيه الى أي شخص يرضى دخول حياته والبقاء فيها فترة تكفي لدعم آندي وتمكينه من الصمود... فلقد كان يشتهي لنفسه أسرة يعيش في كنفها وبيتا يطمئن اليه، تدفعه الى ذلك غرائزه مثل حيوان يسعى الى ما يسد رمقه.

ليونارد وهيزل

لم تبرح من خاطر ليونارد تلك الأحاسيس المرعبة وذلك العجز الذي تلمسه في نفسه حين رأى عنبر الأطفال للمرة الاولى، فراح يقود سيارة النقل على مهل في اتجاه بيته، وهو يدير في رأسه أفضل ما يمكنه ان يقوله لزوجته هيزل التي كانت تنتظره عند عتبة البيت، فبادرته سائلة: "كيف سارت الامور؟ وما شكل هذا الطفل؟"

فقال: "هيا بنا ندخل أولا ونتناول قدحا من الشاي".

كان بيتهما صغيرا لا يتجاوز الغرفتين، كما كانت مواردهما ضئيلة. وكان مدخل المطبخ من باب يقع في حجرة الجلوس.

وعادت تسأل: "حسنا يا لين، ما هو رأيك؟"

كانت هيزل في الثلاثينات، ممتلئة البنية، سوداء الشعر، تضع نظارتين وتتملكها البشاشة والرغبة في الحديث حين يعود اليها ليونارد من عمله. لكنها أحست هذه المرة بما ينتابه من قلق وارتباك، فاستولى عليها الصمت والقلق ولم تجد شيئا يبعث على الراحة او الاطمئنان في ما رواه لها عن زيارته.

ولم تكن الحياة رفيقة بأي من الزوجين. فقد ولد ليونارد عام ١٩١٢، وكان ترتيبه الخامس بين ستة أطفال. وهو يكبر زوجته هيزل بثمانية عشر عاما. وكان منذ صباه الباكر شديد الميل الى الوحدة عنيد التمسك بها، فراح ينتقل من عمل الى آخر من دون أن يجد نجاحا مستمرا في أي منها. وكان برهن في سنيّه المدرسيّة عن عقل فطن سريع الفهم لكنه سريع الملل، فجاءت تقاريره الدراسية سجلا طويلا حافلا بالذنوب. ومات أبوه وهو في التاسعة، وحين قارب الرابعة عشرة ترك المدرسة نهائيا كي يعمل في حانوتين للحلويات تملكهما أمه.

وجرب ليونارد حظه خلال السنوات التالية في البستنة التجارية، ثم التحق بالجيش وقضى خدمته العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية عامل رادار في المدفعية الملكية البريطانية في العراق ومصر وصقلية، حتى سُرّح من الجيش لاصابته الجسيمة في حادث تصادم بين سيارتي نقل أدى الى تهشم وجهه تهشيما خطيرا مما استلزم اجراء عدد

من جراحات التجميل الكبيرة. وبعد الحرب تزوج ليونارد واشتغل بالاصلاحات الكهربائية، ثم عمل حينا في وظيفة مراقب لمصايد الأسماك في المجلس المحلي لأحدى المقاطعات، وانتهى أخيرا الى العمل سائقا لسيارة نقل في أحد مشاتل هانتنغدون. وحين التقى هيزل كانت حياته الزوجية تتدهور بسرعة، وكان يعاني مصاعب مالية، كما هي حاله على الدوام.

أما هيزل فقد ولدت في ضوء مصباح زيتي داخل بيت متنقل (كارافان) في حقل قريب من بلدة بيتر بورو، وقضت سني مراهقتها في أكواخ خالية من التدفئة وفي الملاجيء المحلية حيث يعمل النزلاء نظير ايوائهم واطعامهم، وحين غادرت المدرسة في السن الرابعة عشرة كانت عاجزة عن القراءة والكتابة، وان تكن تمكنت في النهاية من تعليم نفسها بنفسها حين قاربت العشرين.

كانت - ككل مراهقة- تبحث عن مثل أعلى. عن رجل يحررها من أسر حياتها البائسة المرتبكة ويمنحها الأمان والحب الدائم.

وتزوجت للمرة الاولى قبل أن تبلغ السابعة عشرة وانجبت بنتا بعد ذلك بثمانية عشر شهرا، ولم يلبث زوجها الاول أن غادرها واختفى في صحبة مهرجان متنقل. واصاب هيزل مرض خطير، وتملكها الانقباض النفسي فزاد حالها ضغثا على إبالة، فأخذت السلطات منها الطفلة ولم ترها امها أبدا بعد ذلك.

ثم أنجبت هيزل طفلا آخر كان ثمرة علاقة تالية، فأخذته السلطات منها أيضا (★). وغدت هيزل حطاما، واقتنعت بأن القدر يتحامل عليها فعاشت على حافة الانهيار العصبي وغرقت في بحر من القلق وعدم الاستقرار واليأس القاحل المجدب، واتاحت لوصمات طفولتها البائسة ان تنشر ألوانها القاتمة فيصطبغ بها شبابها، وقضت عشرينات عمرها في سلسلة من العلاقات العابرة المتتابعة مع الرجال والأعمال المخفضة الأجر والاغراق في الشراب.

وحين التقت ليونارد كانت في السابعة والعشرين بعدما طلقت مرة وترمّلت مرة أخرى. وبعد حين، كشف كل منهما لصاحبه عن نواحي القصور في حياته، كوارث هيزل العاطفية القاسية والجدب الاجتماعي الذي يعيش فيه ليونارد، وسرعان ما ربط الحب بينهما فتزوجا. ولم تكن حياتهما معا سهلة على الدوام، لكنها كانت أفضل منها بكثير قبل الزواج. كانت هيزل لا تزال عصبية المزاج ومتطرفة في انفعالاتها تفاجئه بين حين وآخر بانفجارات الغضب والاحباط، وذات مرة نشبت بينهما مشاجرة طويلة انتهت بأن أمسكت هيزل بطقم الشاي والقته أرضا. وراقبها ليونارد وهي تفعل ذلك من دون أن يهتز له جفن أو تتغير ملامحه، ثم انحنى والتقط القدح الوحيد الذي بقي سليما وسار عبر الغرفة نحو هيزل الباكية، وقدمه اليها رسميا: "اليك يا سيدتى. هذا هو القدح الوحيد الذي نملكه، ولكنه سليم معافى".

(★) يعطي التشريع البريطاني السلطات الاجتماعية حق سحب الطفل من أحد الأبويين او منهما معا اذا تبين من دراسة الحال ان مصلحة الطفل تقتضي ذلك.

فحملقت هيزل في وجهه لحظة وقد أعمتها الدهشة، ثم انهار غضبها في ضحك طويل متصل.

واخذا يتحدثان بلا نهاية عن المستقبل: هل يحسن بهما أن ينجبا أطفالا؟ لا سيما ان ليونارد لم يرزق اطفالا من زواجه الاول، وهو كان يتمنى من كل قلبه أن تنجب له هيزل ابنا أو ابنة، لكن زيارتها لأحد الأطباء أكدت لها ما كانت تهجس به مخاوفهما الخفية: ذلك ان جراحة قد اجريت لها بعد وقت قصير من ولادة طفلها الثاني ادت الى تضاءل فرصة هيزل في انجاب أطفال آخرين، وكان لا بدّ لها من أن تتقبل هذه الحقيقة.

لكن الحياة مع ليونارد قد أسبغت على هيزل مقدارا من الثقة والاستمتاع بالحياة. فقد كان ليونارد يمثل كل ما افتقرت اليه حياتها: اللباقة والأدب وحسن التصرف والعطف والرقة.. وقد جعلها ذلك حريصة على هذا التوازن الجديد الدقيق الرقيق في حياتها وتتحاشى الاضطراب الذي ربما الحقه بها طفل عاجز لم تسبق لها رؤيته.

وخلال الاسابيع التي أعقبت زيارة ليونارد لآندي، أوضحت هيزل لزوجها موقفها تجاه هذا الأمر، فقابل ترددها بالتقدير والاحترام، ولكنه حثها على أن تحاول على الأقل مرافقته في زيارته التالية للصبي.

"الوقت كفيل بالامر"

لقد استلزم الامر من هيزل خمسة اشهر كاملة لكي تقرر مرافقة ليونارد في زيارته للصبي. غير انها اخذتها الدهشة حين رأت امامها في المستشفى صبيا عادي القامة في السن السادسة يرتدي سترة وسروالا طويلين.

وغمغمت: "ولكن يا لين..."

فسارع هو يقول لها: "لا بأس. انه يرتدي اطرافه الصناعية".

وهنا صاح آندي: "أهلا بعمي!" وحاول ان يسير نحوهما. واحتاج الى دقائق عدة كي يقطع بضعة أمتار فوق قضبان الالومنيوم التي تقوم مقام ساقيه الاصطناعيين، اذ راح يدور الى الامام نصف دورة كي يتقدم في كل "خطوة" خمسة سنتيمترات، مؤرجحا جذعه الى احد الجانبين مرة ثم الى الجانب الآخر مرة اخرى، الى ان انتصب امامهما يترنح قليلا وهو يتطلع نحوهما الى اعلى في تساؤل حذر يطل من عينه العسلية المنفردة خلف نظارته.

وسأل: هل هذه هي عمتي؟"

فرد ليونارد: "نعم يا آندي. وقد جئنا نصطحبك اليوم في نزهة".

فأشرقت اسارير الطفل بالبهجة على الفور، وعاد يسأل: "تقصد خارج منطقة المستشفى؟ بعيدا عن هنا؟"

فسأله ليونارد بدوره: "هل يسرك ذلك؟"

فصاح آندي: "رائع!"

وبحث ليونارد الامر مع الممرضة فسلمت ان خروج الطفل لبضع ساعات فكرةممتازة، غير انها قالت: "ولكن لنخلع عنه ملابسه ونغيرها اولا، فهو لن يحتاج الى ذراعيه وساقيه بصحبتكما في السيارة".

ولم تلبث الممرضة ان خلعت الذراعين والعدة والمقعد المجوف والساقين جميعا، فاستطاعت هيزل ان ترى - للمرة الاولى - مدى عجز

وضآلة حجمه، فاصطرع في نفسها الاشفاق والهلع.

وقالت: "هيا يا حبيبي". والتقطت الصبي ابن السنوات الست وكأنه رضيع واحتضنته بذراعيها. وانطلقت بهم السيارة على الطريق الرئيسي الى المدينة. ولم تلبث هيزل ان سألت آندي عما يشاء.

فقال: "هل يمكننا ان نذهب الى مقهى؟ اقصد داخل مقهى، من فضلكم، فانا احب ارتياد المقاهي".

وسرعان ما عثروا على مقهى كبير فأوقفوا السيارة بالقرب منه، واقاموا الكلبة "شيبا" حارسا عليها ومشت هيزل وهي تحمل آندي نحو المقهى، يتبعها ليونارد. وكانت هناك شلة من الناس في جوار المدخل متحلقة حول قائمة الاطعمة والمشروبات ومهتمة بتبادل التعليقات. وسرعان ما توقف الحديث بين افراد المجموعة عندما اقتربت هيزل وآندي، وراحوا يحدقون ويتبادلون الهمسات، فتوقفت هيزل متهيبة وقد عراها الارتباك والحرج. وانضم اليها ليونارد، ووقفا مترددين في الدخول. لكن آندي صاح معترضا: "كنت اظن اننا سندخل المقهى!"

فرد هيزل وليونارد على حملقة الفضوليين بحملقة مماثلة، وقالت هيزل: "هيا بنا ندخل اذا!"

وما ان دخلوا المقهى حتى بدأ آندي على الفور يثرثر بحماسة عن المكان وما يحتويه من اطايب الطعام والشراب غير ان ليونارد وهيزل توقفا امام خوان المعروضات مرة أخرى. فكيف يأكل الطفل بلا ذراعين؟

وسأل آندي: "ماذا في الامر؟"

فتوسلا اليه ان يقول لهما: "ماذا يريدهما ان يفعلاه؟"

فقال: "سأريكما". واسر الى هيزل بما يشتهيه: "ساندويشا من سمك السلمون، وفطيرة بالمربى، وكوبا من عصير البرتقال". فحملته هيزل الى احدى الموائد، وتبعهما ليونارد وهو يحمل طلبات آندي وطلباتهما معا.

وقال آندي: "ضعيني في كرسي من فضلك، وحدي" فاستجابا الى طلبه. و"الآن تابع آندي، ارجوكما ان تضعا طعامي وشرابي امامي على حافة المائدة".

ونظر الزوجان الى الصبي، مأخوذين فوجداه قد تزحزح الى الامام من مقعده واخذ حافة الكوب بين اسنانه، وأماله وبدأ يشرب من دون ان يريق قطرة واحدة. ثم اعاد الكوب الى المائدة وتأهب ليأكل الساندويش. فجذبه بذقنه الى حافة الطبق، ثم امسك به بين اسنانه وقضم منه قضمة نظيفة، واعاد ما تبقى منه الى الطبق ومضى يأكل باستمتاع ظاهر. وبعد بضع دقائق تبين لجميع الناظرين ان آندي قادر على الاكل من دون مساعدة، ومن غير ان يريق نقطة واحدة او يلوث شيئا، فتلاشى فضولهم، واستطاع الرفاق الثلاثة عندئذ ان يستمتعوا بوجبتهم الخفيفة بعيدا عن حملقات الرواد المرهقة.

وحين عادوا الى المستشفى تذاكر ليونارد وهيزل في امكان اصطحاب آندي الى بيتهما طوال عطلة العيد، في أوائل شهر يونيو (حزيران)... وقالا: "اننا نود ان نراه ثانية في طبيعة الحال، ولكن لخمسة ايام كاملة".

ومن بعيد، كان آندي يجأر بهما ويجهش بصوت عال عميق، وبينما

كان ليونارد وهيزل يجتازان الجناح، كانت عين آندي العسلية عالقة بهما ترمقهما بلهفة.

وصاح آندي: "سوف تصحباني الى البيت، اليس كذلك - في عطلة العيد؟ وسأرى جميع الاماكن التي حدثتماني عنها!"

واذا كانا يعبران الفناء نحو السيارة قالت هيزل: "لا أستطيع يا لين. لا أستطيع. هذا مستحيل. ما فائدة الانزلاق الى موقف لن نستطيع حياله شيئا؟"

فقال هو يحثها: "لا تتعجلي فالوقت كفيل بالامر".

"أحبك يا أماه"

واخيرا قر رأي ليونارد وهيزل في كثير من التخوف والظنون، على اصطحاب آندي الى بيتهما لمدة خمسة ايام في عطلة العيد.

قال ليونارد يشجعها: "ليست المسألة في انه متخلف عقليا او اي شيء من هذا القبيل، فهو صبي صغير ذكي يحسن التفكير والكلام والتصرف أيضا. وقد رأيت انت كيف تناول وجبته وحده. ولن يكون الامر سيئا في الحقيقة، والفترة كلها لا تعدو اياما خمسة".

ووافقت هيزل، ولكنها قالت: "لست أريده أن يتعلق بنا عاطفياً يا لين، والا انتهى بنا الامر الى كثير من المتاعب والحسرة. وليس في نيتي ان ارتبط به عاطفيا، فلدينا من مشاكلنا الخاصة فوق الكفاية، اليس كذلك؟"

وكانت زيارة آندي للبيت في عطلة العيد بمثابة كارثة من جميع النواحي. فعلى رغم ما في طبيعة هيزل وليونارد من عطف وسخاء طبيعيين، الا انهما عجزا في ما يبدو عن اختراق حاجز التحفظ الذي كان يحتمي به آندي كالدرع، فهو لا يستجيب لمحاولات هيزل ان تداعبه وتقبله، ويجفل من الاعزاز العاطفي الصريح، وكثيرا ما يبقى واقفا في جمود التمثال على ساقيه الاصطناعيتين في حجرة الجلوس.

وافرط الزوجان في جهودهما التي بذلاها كي يجعلاه يشعر بانه شخص عزيز فلم يلبثا ان وجدا نفسيهما رهن اشارته طوال الوقت من الصباح الى المساء. فهو يريد ان يشرب ويحتاج الى ان يذهب الى دورة المياه، ويشاء ان يخرج الى الحقول ويريد ان يعود الى المنزل ويود تركيب اطرافه الاصطناعية، ثم يرتعد منها، ويريد ان يشاهد التلفزيون - اين التلفزيون؟ هل يمكنه ان يحصل على بعض الحلوى لا، ليس من هذا النوع، وانما من النوع الآخر.

وبعد ثلاثة ايام استبد العياء بليونارد وهيزل وساء مزاجهما فوجد ليونارد عذرا للابتعاد عن البيت حين عرض عليه العمل صباحا لمدة نصف يوم، فالزوجان كانا يحتاجان الى ما سيحصل عليه ليونارد من اجر اضافي. ووجدت هيزل نفسها وحيدة مع هذا الطاغية الضئيل الذي لا يتجاوز طوله نصف المتر، وساورتها الشكوك في ان تتمكن من الصمود حتى نهاية الصباح.

ولم يكد ليونارد يغادر البيت حتى بدأ آندي هجومه بطلبات لا تقع تحت حصر. فهو يريد ان يلعب مع الكلبة "شيبا"، مع انه يخاف منها، هل

يمكن ان يجلس في كرسي؟ انه يريد ان يتدحرج على الارض. هل يمكن ان يحصل على بعض الاقلام الملونة؟ اين القلم الاحمر؟ ان هذا الورق لا يصلح.
وكانت هيزل طوال هذا الوقت تهرول في كل مرة الى حجرة الجلوس ركضا من المطبخ حيث تعنى بتحضير طعام الغداء. وعند الطلب العشرين نفذ صبرها وصاحت به: "انت ولد أناني فظيع!" فقاوم ليجلس معتدلا، وعدل نظارته على أنفه بكتفه، وقال: "ماذا حدث؟".

فتقدمت منه هيزل عابسة وقالت: "انني اهتم بتحضير الطعام وسأقضي الساعة التالية بكاملها في المطبخ من دون مقاطعة واذا سمعت منك صيحة أخرى فلن ينتهي الامر على خير".

فهز آندي رأسه موافقا وقال: "هل تسمحين باجلاسي ارضا من فضلك؟"

فردت: "سأفعل ذلك. وهذا آخر شيء اقوم به من اجلك حتى انتهي مما في يدي!"

ووضعته هيزل على الارض مستندا الى كرسي وتركته لشأنه ودخلت المطبخ تزبد غيظا فأفرطت في تمليح البطاطا (البطاطس) ثم خرجت الى الهواء الطلق كي تهدأ اعصابها قليلا وكانت يداها ترتجفان غضباً. وقالت لنفسها: "فور عودة لين الى البيت سنحمل هذا الطفل الى المستشفى من دون ابطاء والا فأني اترك البيت". ثم عادت الى المطبخ وما تطهو من طعام. ولم تلبث ان لاحظت ان آندي قد زحف على ردفيه من وسط حجرة الجلوس حتى بلغ باب المطبخ.

آندي مع هيزل.

وقال بهدوء:
"ماما".

فردت: "اسكت يا آندي. أنا لست امك".

فقال: "آسف"

وبقي آندي مستندا الى عارضة الباب بينما هيزل تنتقل من غرفة الى اخرى، ترتب المنزل وتخط رسالة، ثم

تهرع عائدة الى المطبخ لترقب نضج الطعام.

وقال آندي متهيبا: "معي شيء لك".

فنظرت الى اسفل، فوجدت قطعة ورق مطوية تطل من زعنفته اليسرى. وقالت: "حسناً. على هذا الشيء ان ينتظر. اليس كذلك؟" فلم ينبس آندي ببنت شفة، وتعمدت هي ان تجعله ينتظر. فلا بد له ان يدرك من هو صاحب الامر في البيت والا ضاعت مكانتها. واخيرا مسحت يديها بمنشفة وقالت: "حسناً، لدي الآن قليل من الوقت. ما هو هذا الشيء؟" قال: "انها رسالة صغيرة". فانحنت واخذت منه الورقة، وفتحتها، فقرأت فيها جملة واحدة كتبت بحروف كبيرة متناسقة. جملة لا شك انها استغرقت من آندي ٢٠ دقيقة كاملة كي يكتبها بزعنفته: "احبك يا أماه".

خرجت هيزل من البيت، وعبرت الطريق حتى بلغت خلاء الحقول، وبكت...

لين.. المخترع

حين عاد آندي بعد الاجازة الى المستشفى توقع هيزل وليونارد ان تستعيد حياتهما وتيرتها الهادئة المألوفة، وعاشا بضعة ايام يهنئان انفسهما على عدم تورطهما مع الطفل ولكن لم يكد يمضي اسبوع واحد حتى بدآ يتطلعان الى الروزنامة ويضعان علامات بارزة على الايام التي سيتمكنان فيها من مصاحبة آندي.



آندي مع ليونارد.

وكان المستشفى قد استفسر عما اذا كانا يقبلان ان يستضيفا آندي مدة اسبوعين كاملين، فرأيا ان هذا سيثير لهما عددا من المصاعب، اذ ستضطر هيزل الى الحصول على اجازة من عملها، على حين ان ضياع اجر هذين الاسبوعين من دخلهما يلحق ضررا كبيرا بمواردهما المحدودة على الدوام. الا ان كل اسباب القلق هذه تضاءلت امام الحماسة التي بعثتها

فيهما فكرة مجيء آندي الى بيتهما مرة اخرى.

وكانا وعدا المستشفى بان يستخدم آندي ذراعيه وساقيه الاصطناعية في اثناء اقامته لديهما، وكانت رعاية ضحايا "الثاليدوميد" لاتزال في مستهل عهدها وتعتمد الى حد كبير على الاطراف الاصطناعية التي تزيل اشمئزاز الجمهور الذى لم يألف بعد رؤية آثار العقار الفادحة. لكن جدوى هذه الاطراف أصبح امرا مشكوكا فيه بعد بضع سنوات.

ولم يلبث ليونارد ان ادرك مدى العجز الذي يفرضه على الطفل هذا الجهاز المعقد الرهيب. فقد كان يتحتم على آندي في المستشفى ان يربط في كلصباح بسرج مجوف يتصل بـ"دعامتين" صلبتين. وكان يحتاج الى عشر دقائق كاملة كي يخطو متأرجحا من احد طرفي العنبر الطويل الى طرفه الآخر (وكان آنذاك يبتسم قائلا: "انني ابدو مثل غول فرنكشتاين").

وكان يتلقى دروسه ويتناول غداءه واقفا في ذاك الجهاز، ويظل طوال اليوم يحلم باللحظة التي يفك فيها اساره من الآلة الجهنمية حتى يتمكن من التدحرج بحرية على الارض مرة اخرى. بل انه كان يتطلع بلهفة الى موعد قضاء حاجته لان ذلك كان يمنحه استراحة قصيرة من الساقين الاصطناعيتين والمقعد المجوف. لكن الاسوأ من هذا كله (كما بدا لليونارد) هو ن زعنفتيه اللتين تساعدانه في اداء اشياء كثيرة كانتا تحتجزانه بلا فائدة بين "الدعامتين" وتظلان مختفيتين في ثنايا السروال الطويل.

وللمرة الاولى قرر ليونارد وهيزل ان يراقباه باستمرار لعلهما يدركان ما ينبغي ان يعملاه لكي يصبح اقل اعتمادا على اطرافه الاصطناعية.

وكانت الكلبة "شيبا" هي التي جعلتهما يصممان على التخلي عن اطراف آندي الاصطناعية (التي تصعب الحياة معها وتغدو عذابا مستمرا، بتلك الروافع الهوائية الكأداء المتخذة شكل الاذرع والاصابع).

فقد كانت "شيبا" الهادئة الامينة ممدة ساكنة في ركن الغرفة، فتدحرج آندي نحوها حتى التصق بها، واسند رأسه على جسدها.

فقالت له هيزل: "حاول ان تلاطفها وتمسدها".

فراح آندي يتلوى حتى دار حول نفسه، وتلمس الكلبة بزعنفتيه الخلفية، على نحو تعوزه الرقة فرفعت "شيبا" رأسها، وتثاءبت، وعادت الى الاسترخاء.

وقال ليونارد: "الا ترين انه ما دام حبيس هاتين الذراعين الاصطناعيتين فانه لن يعرف ملمس حيوان ابدا؟"

وعلقت هيزل قائلة: "تماما كما لو اضطررنا الى رفع كل شيء بملقط".

وخلال ايام قليلة كان العياء قد استولى على هيزل مرة اخرى. فقد كانت تشعر هي وليونارد بان آندي لا يترك وحده لحظة - سواء اكان مرتديا اطرافه الاصطناعية ام لا، حتى انه اذا ما اسندته هيزل الى الحائط او الى السرير، استولى عليه الخوف من ان يقع متدحرجا. وكلما دخلت الكلبة "شيبا" الحجرة واخذت تتشمم في ما حوله، صاح مستغيثا بهيزل، خشية ان توقعه الكلبة فيصاب رأسه بأذى.

وازاء ذلك كله، تفرغت هيزل طوال مساء بأكمله وبمنتهى العناية والدقة

كي تنتزع منه تخوفه من الوقوع.
وكان آندي خائفا متهيبا في البداية، ولكن سرعان ما تزايدت مهارته، فتعلم كيف يتدحرج لكي يخفف حدة السقطة ويتجنب اصطدام رأسه او وجهه، ولم يلبث ان غدا قادرا على الدوران والتدحرج بحيث يستقر على كتفه، فصار يتأرجح ويقع باختياره في رشاقة يحسده عليها غصن البان. وخرج الاثنان من هذه الدورة التدريبية منهكين، فاحتضنت هيزل آندي وهيأت له شرابا من عصير البرتقال.
وقالت لدمن دون تفكير: "سيكون لدينا خبر يسر له ابوك لدى عودته". ثم ادركت لفورها مغزى ما قالته، ونظرت الى آندي، فاذا به جالس على الارض وقد امسك كوب عصير البرتقال بين اسنانه وهو يبتسم لها في غبطة تامة، فاسرعت تلجأ الى المطبخ.
وأعرب ليونارد عن اغتباطه بما حققه آندي من تقدم، الا أنه بعد أن وضع الصبي في فراشه، أسر بمخاوفه لهيزل. وقال: "ما دام الصبي هنا معنا فانه يستطيع أن يحقق تقدما كبيرا من دون ذلك الجهاز البشع. ولكنه لن يكاد يعود الى المستشفى حتى يضطر الى ارتدائه ثانية، وهو يقضي في المستشفى مقدارا من الوقت يزيد كثيرا عما يقضيه معنا هنا". وأشعل سيجارة ثم اختفى في المطبخ.
وانقضت ثلاث ساعات وهو لا يزال في المطبخ، بينما كان النوم قد استولى على هيزل، ثم استيقظت وهي تتساءل عما يفعله زوجها، فخطت الى المطبخ لتجده قد بسط أمامه الساقين الاصطناعيتين بعد أن فككهما تماما.
وصاحت به: "ما هذا الذي تفعله يا لين؟ إن هذه الأشياء غالية الثمن!" ولكنه لم يأبه لما قالته، واستغرق في عمل رسم تخطيطي سريع على ظهر علبة سجائر ممزقة وهو يقول: "لا بد أن هناك وسيلة ما لتسهيل سيره على هذه الأشياء. اذهبي أنت ونامي. فسوف يستغرق الأمر بعض الوقت".
ومضت هيزل لتنام.

العربة الرقم ١

ورث ليونارد عن أبيه موهبة الاشغال الميكانيكية أيا يكن نوعها. وقد نجح وهو لما يكد يبلغ التاسعة من عمره، في اصلاح سيارة أمه من طراز "موريس" التي كانت تثير متاعب لا حصر لها، ففكك محركها على نحو منظم ثم أعاد تجميعه.
وفي عهد طفولة الراديو، في اوائل العشرينات، كان ليونارد يصنع لنفسه أجهزة الراديو الخاصة به. بل وصنع جهازا لعرض الافلام الناطقة من دون ان يتلقى اي تعليم او ارشاد من هذا القبيل، معتمدا على الملاحظة الشخصية والاستنتاج الذاتي. وقد اصبح خلال الحرب العالمية الثانية عامل رادار ماهرا غير انه طوال السنوات التي قضاها بلا هدف لم يمارس اي نشاط ابداعي في مجال الميكانيك والكهرباء. فلم تكن لديه حاجة لذلك أما الآن فالأمر يختلف.
وفي تلك الليلة، بينما كان آندي مستغرقا في النوم، أخذ ليونارد الساقين الاصطناعيتين والكرسي المجوف، والسرج والذراعين، وجاء بها الى ورشته الصغيرة وبدأ يدخل

عليها ما ارتآه من تعديلات.. كان الجهاز الموجود يتيح لآندي أن يحرك ساقيه الاصطناعيتين مسافة خمسة سنتيمترات تقريبا في كل مرة، بينما قدّر ليونارد أن الجهاز يمكن أن يتيح له الحركة مسافة عشرة سنتيمترات كاملة، وربما خمسة عشر. واستخدم ليونارد حشوات "وردات" من المطاط لتحريك مفصلي القدمين وأدخل قصبة ربط بين الساقين تأمينا لانتظام حركة القدمين جنبا الى جنب، فعندما يشد السرج على جذع آندي، تؤثر حركته المتأرجحة تأثيرا يؤدي الى تشغيل حدَبة قائمة على محور، فيؤدي ذلك بدوره الى دفع الساقين نحو الأمام ويتيح له أيضا أن يدور حول نفسه.

وكان اول عمل قام به ليونارد في الصباح هو اختبار "لعبة آندي"، التي بدا الصبي يقفز بها عبر الغرفة قفزا. واندهش ليونارد، نفسه، لسرعة الحركة واضطرت هيزل الى أن تهرع الى الأمام كي تحول دون اندفاع آندي واصطدامه بالجدار. وبدا آندي متحمسا ومتهيبا بعض الشيء، أما ليونارد فقد استولى عليه الخوف وحده، لأن سقوط آندي وهو يتحرك بسرعة قد يؤدي الى موته. لذلك خلع ليونارد الجهاز الذي ركبه، وأخذه الى الخارج وهشمه بالمطرقة. فلا بد من الاهتداء الى حل آخر.

وعندما ذهب ليونارد وهيزل الى المستشفى بصحبة آندي بعد انتهاء العطلة المدرسية، طلب ليونارد رؤية المعدات التي تتيح الحركة للأطفال المعوقين. وفي طريق العودة الى البيت اوضح لهيزل عيوب تلك الآلة التي أطلعوه عليها وتسمى "إيمَّا". وكانت هذه قادرة على حمل طفل مشدود اليها بساقيه الاصطناعيتين في وضع رأسي وجعله يتجول في المستشفى بسرعة أكبر وبأكبر مقدار من الأمان من تلك التي يستطيعها وهو يتعرّج على ساقيه الاصطناعيتين.

وقال ليونارد لهيزل: "ولكن ما أبتغيه هو أن أصمم آلة يتنقل بها آندي من دون حاجة الى هاتين الساقين اللعينتين، كي يتمكن في الوقت نفسه من القيام بشيء آخر، مستخدما قدراته البدنية الخاصة ومن غير حاجة الى مغادرة الآلة".

فقالت هيزل وهي تلفت نظره: "ولكنك حتى اذا نجحت في تصميم شيء من هذا القبيل، فانه يتطلب تكاليف لا قدرة لك عليها". ذلك أن أجر ليونارد لم يكن يتجاوز الحد الأدنى الذي يبلغ قرابة ١٤٥ جنيها استرلينيا في الأسبوع والذي لا يتيح لهما أي فائض ينفق على تجارب هندسية باهظة التكاليف. وقال ليونارد: "سأضطر في طبيعة الحال الى الاعتماد على ما أستطيع تدبيره". وعاد في تلك الليلة الى ورشته القائمة في الجرن الملحق بالبيت، وبدأ يفكر على الورق.

وبعد سبع ساعات كان أمامه رسم تخطيطي لعربة يفترض انها صغيرة وذات ثلاث عجلات يجلس فيها آندي على كرسي بين العجلتين الأماميتين. وكان تخطيط تلك العربة هو البداية. ثم راح ليونارد يبحث في محلات الخردة ولدى تجار المهملات المعدنية. وكان معظم هؤلاء حين

يعرفون الغرض من سعي ليونارد يبادرون عن رضا الى اعطائه ما يتيسر لديهم من خامات من دون مقابل. وعرض أحد جيرانه، ويدعى لين كاري، أن يتولى هو متطوعا اجراء اللحامات اللازمة في العربة، فكان ذلك مصدر عون كبير لليونارد، فلم يعد باقيا أمامه سوى التفكير في وسيلة تزويد العربة بالقوة المحركة.

لا شك في أن صبيا بلا ذراعين لا يمكنه استخدام وسيلة يدوية للتوجيه، ولذا فلا بد من الاستفاضة في شأن الحركة والقوة المحركة. ولا مفر لآندي من أن يستخدم كتفيه في توجيه حركة الآلة، بحيث يصبح هذا التوجيه محكوما بوسادتين للكتفين على كل جانب من المقعد. لكن آندي له زعنفتان، في اليسرى منهما مقدار من المرونة يكفي السائق الصغير، وعلى ذلك تستطيع كتفاه التحكم بالحركة يمينا ويسارا بينما تستطيع زعنفته التحكم بالحركة الى الأمام والى الخلف.

واستمر ليونارد يرجو، ويقنع، ويدبر، حتى توافرت لديه في النهاية كل الأجزاء اللازمة لصنع العربة.

وحين جاء آندي لزيارتهما مرة أخرى في شهر مايو (أيار)، كان يهذي من فرط الابتهاج. فها هي أمامه: عربته الخاصة، يضمها جسم خارجي من الألياف الزجاجية، وفيها مكان صغير للقيادة يحتوي على كل الأجهزة مرتبة حول جانبه. وأوضح له ليونارد - ببطء وحرص كما يفعل دائما - طريقة تشغيل العربة. وكان آندي يركز انتباهه مسحورا، فلم تفته كلمة واحدة. كان محرك الدفع عبارة عن مولد كهربائي (دينامو) ذي قدرة ١٢ فولتا شبيه بالذي يستخدم في السيارات، يتولى دفع مفرقية (ديفرنسيال) منه خلال ترس لولبي. أما التوجيه فيجري من خلال الفرملة. فعندما يضغط آندي وسادة الكتف اليسرى، تبدأ العجلة اليسرى التوقف، بينما تستمر العجلة اليمنى في الحركة فترسم قوسا حول العجلة اليسرى. ويحدث عكس ذلك تماما عند ضغط وسادة الكتف اليمنى. أما الحركة الى الأمام والى الخلف، فهي تقتضي من آندي أن يستخدم زعنفته لدفع قصبة صغيرة.

وكان الصبي يقول: "نعم، نعم. هل أستطيع أن أنطلق بها الآن يا أبي؟"

وانطلق الصبي بالعربة حتى نهاية الشارع الصغير ثم عاد وهو يسير بها الى الأمام والى الخلف، ويلف ويدور، ويسرع ويبطىء. وخلال عشر دقائق أصبح آندي يقود عربته بمهارة الخبير. وعبّرت هيزل عن غبطتها ببضع دموع سكبتها في سكون، بينما راح ليونارد يدخن من دون انقطاع ويدوّن ما تستلزمه العربة من تعديلات. وكاد الصبي أن يطير من الفرح، ولا يريد أن يغادر العربة على الاطلاق حتى بعد اغرائه باللحم المشوي والفطائر المحشوة بالزبيب. وبينما كانت هيزل ترفع آندي من العربة طقطق ليونارد أصابعه وصاح: "لقد وجدتها!"، وأسرع الخطى نحو ورشته.

وذهب ليونارد الى الورشة وبدأ يضع رسما تخطيطيا بدائيا، ويقدر التكاليف والجوانب العملية لتنفيذه.

وعلى رغم أنه لم ير أمامه وسيلة لأنجاز الأمر، إلا أنه كان يعلم أنه لا بد أن ينجزه وأن عليه زيادة قدرته التقنية والابتكارية الى مدى لم يكن يتصور امكانه من قبل.

واصطحب الاثنان آندي في السيارة لاعادته الى المستشفى. وخلال العودة، أجرى ليونارد وهيزل بعض الحسابات المالية مرة أخرى، فهما كانا مدينين للمصرف بمبلغ كبير، لأن تكاليف عربة آندي تجاوزت تقديرات ليونارد بكثير، فأصبح اعتمادهما على اجره الاسبوعي الضئيل لا يترك لهما أي أمل في جمع المبلغ اللازم لمواصلة تحسين العربة.

وقال ليونارد: "ان صيفا طويلا شاقا ينتظرنا".

فردت هيزل: "أو ليست كل الفصول كذلك؟"

غير انهما كانا تغلبا - ربما على نحو لا شعوري - على أصعب العوائق جميعا، إذ أصبح مجرد التفكير في الحياة بغير آندي أمرا بعيدا عن التصور.

وصارح ليونارد هيزل وهو يتنهد: "اصبحت المسألة أننا بدأنا نحتاج اليه بمقدار ما يحتاج هو الينا".

مولد "تيري وايلز"

خلال الفترة التي بدأت في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ دخل فيها ليونارد أخصب مراحل الاختراع والابتكار في حياته كلها، قرر هو وهيزل أن يتبنيا آندي.

وتولى محامي ليونارد الأستاذ روبين بويز من هانتنغدون، اجراءات تقديم الطلب بدقة وكفاية. وسارع ليونارد الى اثارة اهتمام الصحف المحلية والوطنية بآماله، فنشرت مقالات عن الموضوع، كما اشير اليه في التلفزيون. غير أن المستشفى اعلن معارضته التامة لخروج آندي منه بصفة دائمة.

وتباطأ المستشفى في اصدار تقرير طبي عن الصبي وفي الوقت نفسه اجرت الاختصاصية الاجتماعية المحلية زيارات لليونارد وهيزل، وقررت في النهاية - على رغم مما في ماضي كل منهما من متاعب - أنها لن تعارض طلب التبني.

وكان آندي في طبيعة الحال يتلقى تباعا أنباء تقدمهما البطيء كما كان مطلوبا منه أن يحضر الى المحكمة مع ليونارد وهيزل عند الحكم في القضية.

ووصل الثلاثة الى مجلس المدينة - حيث تعقد الجلسة - في هانتنغدون قبل الموعد المحدد بوقت طويل. وكان المحامي بويز موجودا هناك ليزوّدهم بالنصح والمشورة في شأن الأجراءات القانونية، ونصحهم بلباقة ان ينضبطوا ويحتفظوا بهدوء أعصابهم ايا تكن الضغوط أو الاستفزازات التي يتعرضون لها، وكانت قضيتهم هي الثانية في الجدول. وكان آندي يجلس على حجر هيزل التي ضغطت يد ليونارد بقوة عندما سمعت النداء بأسمائهم، ورأت القاضي ينحني ليفحص الأوراق التي أمامه.

وبعد برهة رفع القاضي رأسه بتؤدة ووقار وقال: "لقد درست كل الوثائق والمستندات في هذه القضية. ويبدو

لي أن السيد والسيدة ليونارد وايلز هما أصلح الناس لحضانة الطفل، ولذا فانني أوقع على أمر التبني بلا تردد".

وكان ذلك هو كل ما في الأمر، اذ تقرر في أقل من ٩٠ ثانية مصير مسألة استغرقت عامين تقريبا قبل ان تبلغ المحكمة.

ووقع حادث طريف أخير قبل أن تعود الأسرة الجديدة الى بيتها. فبينما كانت هيزل تسير في الشارع الرئيسي حاملة آندي في ذراعيها، كان الصبي يصيح: "أصبحت ابنا! أصبحت ابنا!". فكان المارة يتوقفون في سيرهم ويحملقون في عجب. فها هي سيدة تحمل ما يبدو أنه رضيع في ذراعيها، إلا أن هذا الرضيع يزعق - بصوت يبدو، لارتفاعه، مستحيل الصدور عن مخلوق دقيق الحجم على هذا النحو - ويعلن للعالم اغتباطه بأنه قد "أصبح ابنا!"

وكانت هيزل وليونارد قد أعلماه بأنه يستطيع أن يحمل اسما جديدا مثلما أصبح يحمل لقبا جديدا، فتشبث بهذه الفرصة للتخلص الكامل من ماض أصبح يكرهه بمرارة. وعندما حمله ليونارد الى مكتب المحكمة المحلية ليطلب اصدار شهادة ميلاده الجديدة، سارع آندي بنفسه الى اعلام كاتب المحكمة بأنه لا يريد ان يحمل اسم آندرو وايلز.

فقال الكاتب: "حسنا يا بني، وأي اسم تريد أن تحمل؟"

قال: "تيرينس، بتشديد الراء. هل تتفضل بكتابتها؟"

فوافق الكاتب، واصبح اسم آندي تيرينس وايلز. وصار منذ تلك اللحظة يرفض الاستجابة لأي نداء باسم غير اسمه الجديد: تيرينس أو "تيري".

شبل الكشافة

غير أن الأيام لم تكن رفيقة بالأسرة الجديدة. فقد ظلت الضغوط المالية شديدة وتعثرت الآمال في إلحاق تيري بمدرسة برامبتون حين اصطدمت بطبقات متتالية من البيروقراطية. لكن الأسوأ من ذلك كان نارا شبت فجأة واجتاحت ورشة ليونارد في منتصف عام ١٩٧١.

واحترقت في النار عربة تيري الثانية المسماة "القنبلة"، كما احترق النموذج الأولي لعربة "سوبر كار" جديدة كان ليونارد يعمل في تطويرها. وتجاوزت قيمة الخسائر الـ٢٠٠٠ جنيه استرليني، اضافة الى ثلاث سنوات من العمل الليلي حتى ساعة متقدمة... كل هذا تلاشى في لحظة، فانهار ليونارد وبكى.

وبعد ثلاثة أيام، نشرت الصحيفة المحلية خبر الكارثة بالتفصيل في مقال طويل، وحمل البريد التالي هبة مالية مقدارها ٢٠ جنيها استرلينيا تبرع بها العاملون في الصحيفة. وأعقبت ذلك مساهمات كريمة أخرى وردت على مدى الأيام العشرة التالية، وسرعان ما استعد ليونارد لاستئناف العمل مرة أخرى. وكان الحريق قد شحذ تصميمه على النجاح، واصبحت لديه بصيرة نافذة بما اشتملت عليه جهوده السابقة من نواحي القوة والضعف.

ورأى أن أكثر ما يحتاج اليه تيري هو ان يتمكن من رفع نفسه لا لبضعة

سنتيمترات من الأرض فحسب بل الى ارتفاع يكفيه لمواجهة الناس على مستوى ارتفاعهم، وللنظر في عيونهم، وللعمل على منضدة عادية، ولاختيار الكتب من على رفوف المكتبة. ذلك أن أكبر عيوب القامة التي لا تزيد على ٥٣ سنتيمترا هي - بصفة رئيسية - ذلك الحاجز الذي تفرضه الحياة في عالم تسوده الأقدام والسيقان. عالم تفرض فيه الضرورة أن تكون رؤية كل شيء وكل شخص رهنا بالنظر الى أعلى. ولم يكن تيري يحتاج الى أن تكون عيناه في المستوى الصحيح فحسب بل كان يحتاج أيضا الى أن يكون قادرا على "الانحناء": أي أن يخفض نفسه الى الأرض كي يلتقط سكينا وقعت، ثم يرفع نفسه على الفور كي يضعها على المائدة، أو حتى الى مستوى أعلى من ذلك كي يبلغ أحد الرفوف أو يدهن اطار الباب بالطلاء. وهو يحتاج الى تأدية ذلك بالسرعة واليسر نفسهما اللذين يؤديه بهما شخص عادي. كان حلم ليونارد أن يبتدع امتدادا ميكانيكيا لجسم تيري الضئيل، امتدادا يرفعه - ببساطة - الى حيث يريد بأسرع وأسهل ما يمكن.

كان تيري حتى ذلك الحين يتلقى دروسا خصوصية مرتين أو ثلاثا كل أسبوع على يد معلم يأتيه في البيت. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام ورد خطاب من مجلس مقاطعة هانتنغدون يقول انه قد وافق على قبول تيري في مدرسة برامبتون الابتدائية لمدة ستة أشهر على سبيل التجربة. وقد دهش التلاميذ في البداية حين وجدوا تيري بينهم، ولكنهم لم يلبثوا أن تقبلوه كواحد منهم.

بيد أن ذلك الخريف من عام ١٩٧١ كان أصعب الأوقات التي مرت بأسرة وايلز. فقد واصل ليونارد كفاحه كي يحيي العربة (سوبر كار)، وكان في معظم الأيام يزحف الى فراشه في الساعة الثانية صباحا وقد استبد به البرد والتعب بعد ساعات طويلة من العمل المرهق في ورشته، ولا يلبث أن يستيقظ مترنحا في الساعة الرابعة والنصف صباحا بوجه مربد رمادي اللون كي يستأنف عمله في مفاتيح العربة ودوائرها الكهربائية الدقيقة.

وكانت هيزل تواجه في عياء متاعب الحرج اليومي الناتج من الفواتير التي تأخر سدادها والكفاح المرهق من أجل اطعام الأسرة وتدفئة البيت. لكنها واصلت جهودها مع تيري، مصممة على تحسين مرونة زعنفته اليسرى ومهارتها، وقدرته على استعمال أصابعها القابضة. وراحت تشجعه على قضاء أطول وقت ممكن في تدريب أصابعه واستخدامها لكتابة حروف أصغر وأكثر انتظاما، وللرسم بالاقلام والألوان. وكلما كانت اختراعات ليونارد تتقدم، كان تيري يقضي المزيد من الوقت جالسا على مقعدته يتدرب. وكانت هيزل تحرص على أن يحظى تيري أكثر ما يمكن من النزهة والرياضة حين يكون غير مشدود الى آلته أو غير مقيد في كرسي المستشفى ذي العجلات، فشجعته على تقوية عضلات بطنه بابتكار أساليب جديدة يتبعها للانتقال من وضع الاستلقاء على ظهره الى وضع الجلوس. وحين ثبّت ليونارد لوحا صغيرا منحدرا من الخشب في أرضية الغرفة، تمكن تيري من الزحف فوقه ورأسه أسفل

المنحدر، ثم استطاع مستعينا بعضلات بطنه - الانتصاب فوقه جالسا في وضع قائم. بل انه نجح في تسلق سلالم البيت باتباع هذه الطريقة.

وأدت جهود هيزل مع تيري الى زيادة اهتمامها بمساعدة الأطفال الآخرين، فأشتغلت معاونة لأحد قادة أشبال الكشافة في قرية مجاورة. وبعد بضعة أسابيع، استفسرت عما اذا كان يتاح لتيري أن يصحبها كي يتفرج، فوافق قائد الأشبال على الفور. وذهب تيري ليتفرج. ولم تكد تمضي دقائق قليلة حتى كان اشتبك على أرض اللعب مع الصبية الآخرين في لعبة عنيفة من ألعابهم تسمى "البولدوغ البريطاني".

وقال قائد الأشبال: "أرى يا هيزل أنه يجدر به الانضمام الى الفريق. أليس كذلك؟"

وبعد فترة قصيرة، أثلج صدر هيزل برؤية تيري وقد أصبح عضوا كاملا في فريق أشبال الكشافة.

لا سيقان بعد اليوم

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣، جاءت ثمرة نكران الذات طوال أشهر الشتاء الأربعة القاسية: فقد تمكن ليونارد من احضار العربة (سوبر كار) الى البيت لاجراء أول اختبار كبير عليها في حجرة الجلوس. وبدت العربة كاملة جاهزة، لا ينقصها الا طبقة أخيرة من الدهان. وكانت ثقة هيزل وتيري في مهارة ليونارد بلا حدود، دائما كانت هناك تلك اللحظات الأولى من التوقع المتهيب. وبدت أمامهم الآلة في حجرة الجلوس، مرتفعة غريبة الشكل.

وتعاون ليونارد وهيزل على دفع الأريكة (الصوفا) والمقاعد لصق الجدران لفسح فراغ كبير وسط الغرفة يتيح لتيري اجراء مناوراته.

وقال ليونارد لهيزل: "علينا الآن أن نجلس ونترك تيري يتولى العمل".

وسأل تيري: "هل يمكنني أن أبدأ الآن يا أبي؟"

فهز ليونارد رأسه ايجابا. فأنزلق تيري فوق الكرسي الذي كان في مستوى الأرض.

وقال ليونارد: "عليك الآن بحزام الامان. وانت تعرف ما يجب ان تعمله". فاستخدم تيري اسنانه وكتفه ليضع حزام الامان حول جسمه. وكان لا يزال رافعا رأسه ينظر اليهما.

قال ليونارد: "انطلق الآن".

فابتسم تيري في شيء من القلق، واستند الى قصبة الضبط الرأسية بكتفه، فأخذ الكرسي يرتفع بنعومة ارتفاعا متصلا. ورأى تيري الارض تتدنى عنه، فانتابه الخوف فجأة.

وقال ليونارد يشجعه: "استمر. انك لن تسقط".

فواصل تيري ضغط القصبة وقلبه يدق بعنف، واستمر الكرسي في الارتفاع حتى اصبح في مستوى عيون والديه. ثم مضى يرتفع اكثر واكثر. وتجاوز ارتفاعه رأس هيزل! ثم استقر الكرسي. وسادت لحظة صمت، ورفعت هيزل وليونارد رأسيهما ينظران اليه، وقد استبد العجب بهيزل، وتملك الفخر ليونارد.

وقال ليونارد: "اذهب الى المائدة".

فتقبضت الاصابع المرنة الماهرة

على قصبة الضبط الصغيرة، ودارت العربة حول نفسها، ثم تحركت بنعومة الى الامام نحو المائدة. وكانت قدما تيري في مستوى المائدة، فالتفت ينظر اليهما وقد اشرق وجهه. وقال: "لم اعد احتاج الى المعونة. فانا استطيع ان آتي الى هنا بنفسي كما استطيع ان اتناول طعامي بنفسي".

وادار العربة فجأة وتحرك نحو ليونارد وهو يخفض من مستوى المقعد، حتى بلغ ليونارد وقد اصبح المقعد في مستوى ركبتيه. وحل الصبي حزام الامان، وتحرك نحو أبيه، فحمله ليونارد الى حجره واحتضنه بقوة كي لا يرى الصبي دموعه.

وكان تيري يصيح: "لا سيقان بعد اليوم.. لم اعد تائها بين سيقان الكراسي وسيقان الموائد وسيقان الناس! انني استطيع ان ابدأ الحياة مثل اي صبي آخر تماما".

وراح الزوجان يكتشفان، ذلك المساء، مجموعة الانشطة التي اصبحت في متناول تيري. فهو يستطيع معاونة امه في اعداد المائدة ورفعها، ويستطيع ان يلعب الورق في المستوى العادي، وان يذهب الى جهاز التلفزيون ليختار القناة التي يريدها ويدير الجهاز عليها، وان ينتقل الى الحمام ويغسل وجهه وان يقود عربته الى غرفة النوم حيث يخفض مقعده قليلا ثم يتدحرج الى فراشه. ولم يعد يحتاج في الصباح الى انتظار ليونارد او هيزل ليرفعاه من فراشه. وهو يستطيع فتح الادراج. واختيار الكتب من على الرفوف.

وفي شهر يونيو (حزيران) حمل ليونارد وهيزل العربة (سوبركار) الى المدرسةليستكشفا مدى ما يمكنها ان تقدمه من عون هناك. وقد تمكن تيري من استخدامها طوال ساعات الدراسة وفي حجرة الدراسة ايضا. وحين كان يريد الخروج، كان يقود عربته الى كرسيهالمتحرك الذي يعمل بالكهرباء، ويخفض مقعد العربة الى مستوى مقعد الكرسي المتحرك، ثم ينتقل اليه ويقوده خارجا الى ساحة اللعب كي ينضم الى الاطفال الآخرين.

الا ان ليونارد كان بدأ يعيد التفكير في تصميماته، وسرعان ما اخذ يعد رسوما لعربة تصلح للداخل والخارج معا وتتيح لتيري كل الحرية التي يحتاج اليها بالفعل.

يوم في الحقول

كان لين وهيزل يعيشان خلال الجانب الاكبر من تلك الفترة في ريبة من تمكن لين من الاحتفاظ بعمله او الالتحاق بعمل آخر لفترة طويلة. فقد انتقلت ملكية المؤسسة التي يعمل فيها الى ملاكين جدد، وأصبحت وظيفته في خطر. والأسوأ من ذلك أن استمرار اقامة الثلاثة في البيت الذي يسكنونه كان مرتبطا باستمرار لين في عمله فأصبحوا مهددين بضياع مسكنهم أيضاً. الا ان أصحاب المؤسسة الجدد كانوا من اهل المروءة فسمحوا لأسرة وايلز بالاستمرار في سكن البيت، وراحوا من آن الى آخر يسندون الى لين بعض العمل الموقت كسائق سيارة. لكن الوضع كان موقتا.

ثم جاءتهما مكالمة تلفونية من صحيفة "الصنداي تايمس" تعرب عن اهتمامها بقصة تيري. وكانا خبرا من قبل كثيرا من عروض المعونة، وعرفا كيف تتضاءل الحماسة والاهتمام حتى يتلاشيا. كما سبق لهما ان قرآ من قبل، بخليط من المشاعر المضطربة، مقالات اخرى عن الاطفال من ضحايا "التاليدوميد". ولم تكن لديهما أدنى فكرة عما يحتمل ان يتوقعاه هذه المرة.

واعتقد ليونارد ان قصتهم قد تحظى بنصف عمود في الصحيفة على أكثر تقدير، وذهب الى القرية صباح يوم الاحد كي يشتريها. وقال بعد ذلك: "لم اكن انتظر ان اجد حكايتنا على صفحة كاملة، جميلة التصميم، توضح ما انجزناه وتفصح عن آمالنا المستقبلة". وحين امكنه بعد حين ان يتلمس تأثير تلك المقالة على حياتهم، كتب: "لقد غلبني التأثر لما بدا من كرم الناس العاديين. وكنت اعرف ان ما انجزته وما انا في سبيل أنجازه يساعد الكثيرين في الحصول على الحرية التي حظي بها تيري، لكن الامر كان يتجاوز قدرتي على النهوض به وحدي".

ومع حلول العام الجديد، كانت الهبات والتبرعات التي تلقوها قد بلغت خمسة آلاف دولار. وبعد أن رد ليونارد وهيزل على كل خطاب موقع وصلهما وعلى كل هبة تلقوها، أزف الوقت كي يستأنف ليونارد تفكيره في عربة الاحلام لتيري، بعد ان غدا في وضع يسمح له باعداد التجهيزات اللازمة للتحسينات الدقيقة الاخيرة.

وبعد انقضاء عام على نشر مقالة "الصنداي تايمس"، تم اعداد "سوبركار ٢". وهي كانت تشتمل على كل مزايا العربات السابقة وعلى اكثر منها بكثير. فالكرسي لا يزال قادرا على رفع تيري اكثر من متر وربع متر في الهواء، لكن العربة قد اصبحت قادرة على اجتياز الارض غير المستوية في الحقول وعلى صعود الحواجز الحجرية عند حافة الطريق.

وذات صباح في شهر اكتوبر (تشرين الأول) كان النسيم عليلا والغيوم المخفوضة تتلاشى تدريجا تحت اشعة الشمس، والعصافير تثرثر في الجو وقد َوشَقَّ الهواء هزيم طائرة نفاثة لم تلبث ان اختفت. وكانت "سوبركار ٢" واقفة خارج البيت وكأنها عرش عال، وقد رفع الصبي الضئيل الحجم رأسه يتأملها.

وقال تيري: "هل استطيع الانطلاق الآن؟"

فرد ليونارد: "هيا اركب".

فحمل تيري نفسه الى الكرسي الرافع، وثبت حزام الأمان، ثم رفع نفسه مترا فوق سطح الارض. ووضعت هيزل الى جانبه سلة صغيرة وقالت: "حسنا، اذهب واقطف لي بعض ثمار العليق (الفراولة البرية)". فتحركت اصابع قدم تيري اماما نحو قصبة التحكم ودارت "سوبركار ٢" من دون صوت بزاوية مقدارها ٩٠ درجة، حتى اختفى الصبي وراء قائم العربة المرتفع.

وصاح: "الى اللقاء!" ثم تحركت العربة الى الأمام. واحس ليونارد ببعض التوتر وهو يرقب العربة تمضي مسرعة لتتسلق منحدرا وعرا وكأنها دبابة مدربة، ثم تجري فوق

الحشائش التي ارتفع منها صرير الاحتكاك، وتمضي لتخترق المرج مخلفة وراءها خطوطا سوداء عند موطىء عجلاتها.

كان تيري وحيدا يعبر ارضا مكشوفة وكأنه عريف (أومباشي) يقود سيارة جيب حربية، او فارس من فرسان القرون الوسطى على صهوة جواد كريم، او قائد دبابة في الصحراء، مع انه لم يكن الا صبيا صغيرا يتواثب ويتأرجح فوق مروج غير مستوية متجها نحو سور من النباتات يستدعيه في اغراء بما يحمل من ثمار العليق (الفراولة البرية) المكتنزة. وبدأ تيري يغني بصوت حاد صاف مرتفع كأي صبي يبحث عن ثمار العليق واي صاحب من اصحابه في المدرسة. بل ان وضعه هو أفضل!... فقد لمس المقابض واذا به يرتفع مقدار نصف متر ثم متر ثم اكثر فوق مستوى السور ليرى المرج الذي وراءه حيث وقفت فرس تحرك ذيلها الكثيف وتحلم في شمس الصباح الباكر. وادار تيري عربته بحذاء السور واختار عنقود العليق الذي اعجبه، ثم مد اصابع قدمه السمراء يمسك به. وكان ليونارد وهيزل يقفان متشابكي الذراعين الى جانب عتبة البيت، وهما يسمعان غناءه يأتيهما من بعد نصف كيلومتر.

ولم يعد تيري الى الظهور الا بعد ساعة كاملة، صبيا صغيرا ضاحك السن يناديهما زاعقا عبر المرج. وجاء يتأرجح ويتواثب فوق الارض غير المستوية بعربته العجيبة حتى قطع بها آخر مساحة معشبة وعبر الى الطريق المجاور للبيت. وبدت عينه العسلية البراقة مليئة بالمرح، وفمه محاطا ببقع قرمزية واضحة.

وقالت هيزل تخاطبه: "تيري، اين ثمار العليق (الفراولة البرية) التي كان المفروض ان تقطفها لي؟"

فكسا تيري ملامحه بمظهر الجد، ثم انفجر مقهقها.

وقال بلهجة خطابية وهو يصطنع لكنة امريكية فظيعة: "تارومتارا! ان الشرطة تبحث اليوم عن تيرينس وايلز بتهمة سرقة حدثت اخيرا. ويبلغ وايلز من العمر ١١ سنة، وطوله حوالى ٦٠ سنتيمترا، وهو بلا ذراعين ولا ساقين، وقد شوهد اخر مرة وهو يقود عربة سوبركار خضراء فيممر برامبتون. وهو معروف بخطورته، وقد التهم منذ عهد قريب كيلوغراما كاملا من ثمار العليق".

الطريق الى الحرية

في السن الثانية عشرة، اصبح تيري فتى ثريا. فبعد ١١ عاما من النزاع القضائي والجدل المرير، توجتها حملة مكثفة في الصحافة وبين الجماهير وفي البرلمان، تقدمت الشركة البريطانية المنتجة لمستحضرات "الثاليدوميد" بعرض تعويض سخي لضحايا العقار.

وقسمت النقود بين الـ٤٠٠ طفل تبعا لمدى العجز الذي اصاب كلا منهم، ودفع جزء منها في حساب امانة او وديعة باسم كل طفل، وذهب الجزء الآخر الى صندوق وديعة مشتركة لاطفال "الثاليدوميد"، يستطيع كل منهم ان يطلب العون منه. وفحصت

لجنة من الاطباء حال تيري وقررت انه يستحق تعويضا عالياً٠

وبعد عام، في صيف ١٩٧٤، وصلت اول دفعة من المال٠ ولما كان ليونارد وهيزل هما الأبوان بالتبني والوصيان على تيري، فقد منحا شخصيا مبلغ ٧٥٠٠ دولار٠ ولم يلبث هذا المبلغ ان تلاشى اذ انفق جزء منه لسداد دين للمصرف وذهب الجزء الآخر ثمنا للمواد والأدوات٠ لكن الزوجين وايلز وجدا نفسهما للمرة الأولى منذ زواجهما غير مضطرين الى التوسل لمأموري الحجز او الى الصراع مع الديون٠ واستطاعت هيزل ان تستمتع بحياة هادئة ناعمة لم تكن تتخيلها في طفولتها التي انقضت في عربة متنقلة او في مراهقتها الحافلة بالعذاب٠

ولم توضع نقود تيري في يديه مباشرة في طبيعة الحال، وانما اصبح نصيبه يدار بواسطة مجلس اوصياء يضم والديه وتصرف منه المبالغ اللازمة لحاجات تيري الشخصية المحددة٠ وكان من بين هذه الحاجات شراء بيت ريفي صغير باسمه، يمكن تعديله بما يناسب حاجاته كي يتمكن - اذا شاء - من قضاء بقية حياته فيه٠

وكان تيري هو الذي اختار البيت٠ فقد التحق منذ الخريف بمدرسة أرنولف في بلدة سانت نيوتس على مسافة ١١ كيلومترا من برامبتون، وادى ذلك الى ارهاق ليونارد وهيزل لاضطرارهما الى القيادة الطويلة كل يوم لايصاله الى المدرسة ثم العودة به منها، حتى عثروا ذات يوم مصادفة على اعلان عن بيع بيت يقع على مسافة قريبة من المدرسة٠ والقى تيري نظرة واحدة على الحديقة الواقعة خلف البيت، وعلى حجرة الجلوس الفسيحة والاماكن التي تتسع لوضع كرسيه من دون ان تزدحم الطريق، ثم اطلق صيحة ابتهاج طويلة٠

وهمس في أذن هيزل: "هذا هو ما يصلح لنا يا أماه، بل إن فيه مدفأة مفتوحة أيضاً"٠

وبمجرد انتقالهم الى البيت الجديد، بدأ ليونارد يعمل في تهيئته فوضع روافع خاصة على مقدم حوض المطبخ بحيث يتمكن تيري - باستخدام زعنفيته وامساك الكوب بين اسنانه - من ان يملأ لنفسه قدحا من الماء، كما ادخل تعديلات على تصميم الأبواب واقام منحدرات على الدرجات الخارجية وركب دورة مياه اسوجية فيها نافورات للمياه والهواء الساخن، فأصبح تيري بذلك قادرا على الوفاء بحاجاته من دون معونة من احد٠ وغدا في امكانه ان يضبط ارتفاع مقعد كرسيه في مستوى الفراش وينزلق الى سريره الصغير وحده، وان يستخدم كتفه او زعنفته لاضاءة النور الخاص به او ادارة جهاز الراديو او التلفزيون٠ واضاف ليونارد توصيلة لبقة الى جهاز التلفون تتيح لتيري ان يتصل بأصدقائه٠

واشتملت الحديقة على كوخ خشبي صغير يحمل في بابه مقبضا مخفوضا٠ واصبح ذلك هو عرين تيري الذي لا يسمح لأحد من الكبار بدخوله من دون تصريح٠ وغدا تيري يستقبل اصدقاءه في ذلك العرين وينجز فيه واجباته المدرسية في احيان كثيرة٠ لكنه

حافظ على كرامته ومكانته. فهو يركب عربته الى المدرسة او يشدها الى مؤخر سيارة أبيه، وما ان يبلغ المدرسة حتى يصبح مكتفيا بذاته تقريبا.

ويقول ليونارد وهو يبتسم: "ان الاشياء التي يتعذر عملها على تيري قليلة بالفعل. ونحن نريد له ان يجرب كل ما هو ممكن قبل ان يبلغ العشرين، فيعرف انه قادر على رشق السهام وقذائف اللعب وعلى ركوب الخيل والحياكة والطبخ، وزراعة الخضر او العزف على الارغن. وهو لا يحتاج الى عمل كل ذلك الآن، ولكنه يستطيع أختيار اي منها حين يصبح أكبر سنا. والأمر المهم هو ان يكون قد جربها وهو صغير".

غير ان مجموعة الاجهزة التي تيسر هذه الانشطة كانت ستغدو مجرد اشياء للزينة من دون عربة تيري الحديثة، المسماة "الشبح الفضي". فهذه "المعجزة" ذات اللون الرمادي - الفضي باتت محور حياة العائلة ومن دونها يصبح تيري - الامير الطويل القامة - مجرد ضفدع ضئيل يحتاج الى العون في كل حركة... فالبيت والحديقة والسيارة كلها مهيأة بما يتناسب مع العربة، التي تبدو كبقعة من الضوء الوهاج وسط لوحة مزدحمة بالألوان والاشكال، تنير الجدار وتضفي المعنى على كل ما حولها.

لقد انقضت اكثر من عشرة اعوام منذ رأى ليونارد للمرة الأولى تلك الكتلة البشرية الصغيرة التي اصبحت تدعى تيري. وهو يقول: "ان مجرد النظر الى طفل مثل تيري يجعلك تتحول الى حالم يمتلىء رأسه بالرؤى". ولكن ليونارد رجل لا يقتنع بالرؤى، كما ان طموحه لا يقف عند تيري. وهو يرى في عرباته امكانا لتحرير الآلاف من ضحايا الشلل ومن كبار السن الذين يعيشون منفردين، او الاطفال المعاقين الذين يعوزهم التحرر من حياة الأسر وسط الكبار.

وقد نما تيري خلال هذه السنين العشر فأصبح شابا متحمسا فصيح اللسان. حقيقة ان جسمه لم يكبر، فطوله لا يزال اكثر قليلا من نصف متر ووزنه لا يزال اقل من وزن طفل ابن عامين، لكن قصوره الجسدي لا يضايقه، كما انه لا يهاب شيئا، وهو مفعم بالآمال في مستقبله، ويريد ان يصبح كاتبا او موسيقيا.

وتعلم تيري من ليونارد وهيزل ان يكون على ثقة متنامية بالحياة. وهو مقتنع مثلهما بأن ارتباط حيواتهم الثلاث معا لم يحدث مصادفة. وهو يؤمن ايمانا عميقا بأن الاقدار قد عوضته افتقاره الى ذراعين وساقين باهتدائه الى هذين الأبوين الممتازين وبما حظي به من الهبات المتعددة الأخرى.

وقد كتب تيري: "اود ان اصف حياتي بأنها طريق لا نهائي تتخلله العقبات والمسيرات السهلة الناعمة، وقد اعترضتني ذات مرة عقبة دفعتني الى الاعتقاد بأن الحياة لا تستحق من المرء ان يعيشها، ثم التقيت فجأة ابوين مفعمين بالحب أسبغا علي الحماية من مصاعب الحياة، وهأنذا الآن قد قطعت شوطا طويلا طويلا على طريق الحرية".

■ مارجوري والاس
■ ومايكل روبسون


CITIZEN QUARTZ
Special Citizens
for special citizens
CITIZEN
12:38 PM 28
QUARTZ
CRYSTRON LC
لأناقة فائقة
سيتيزن كوارتز المتناهية الدقة
مصممة لتعطيك الوقت بدقة ، لا تزيد ولا تنقص
عشر ثوان في الشهر وتتيح لك معرفة اليوم ، التاريخ والشهر
سيتيزن
CITIZEN

